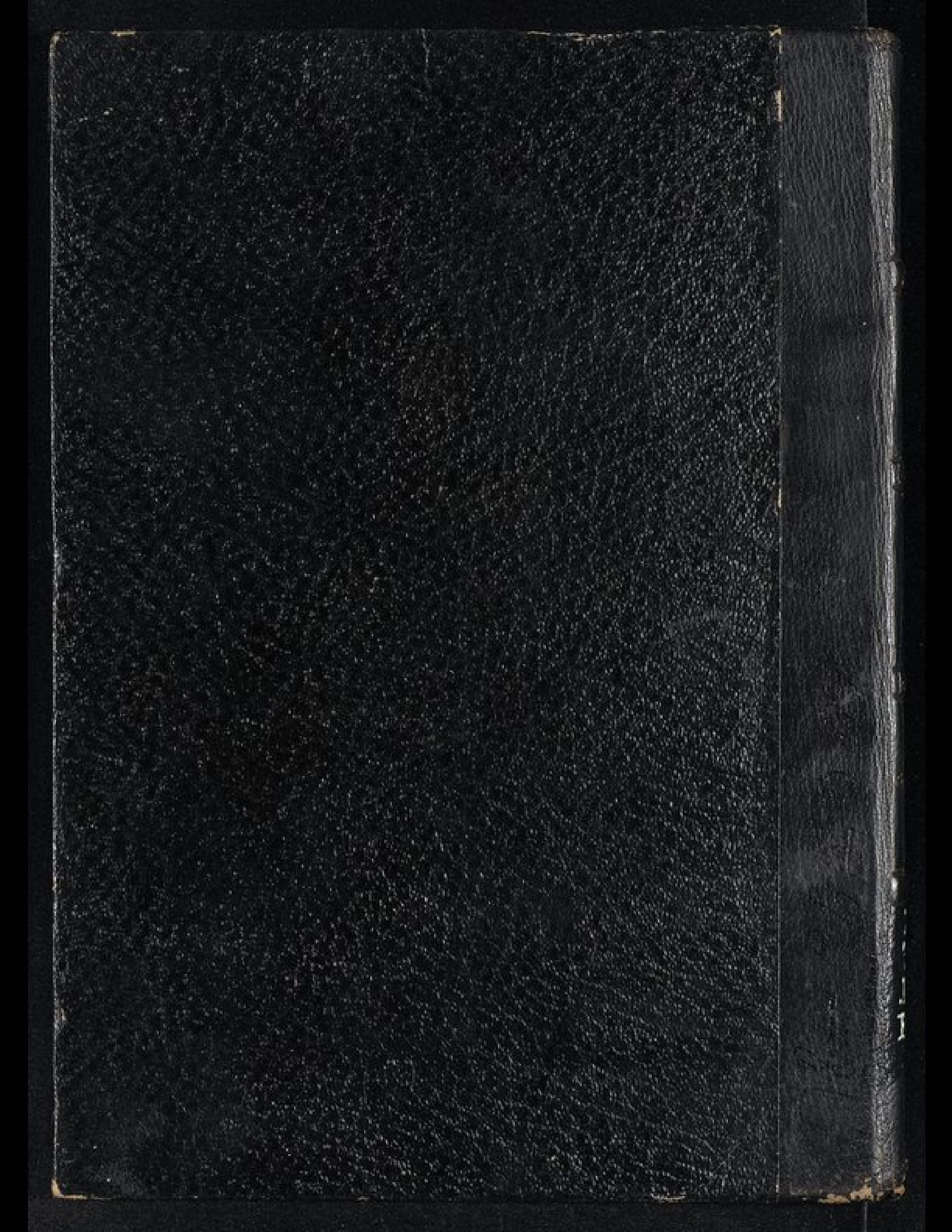
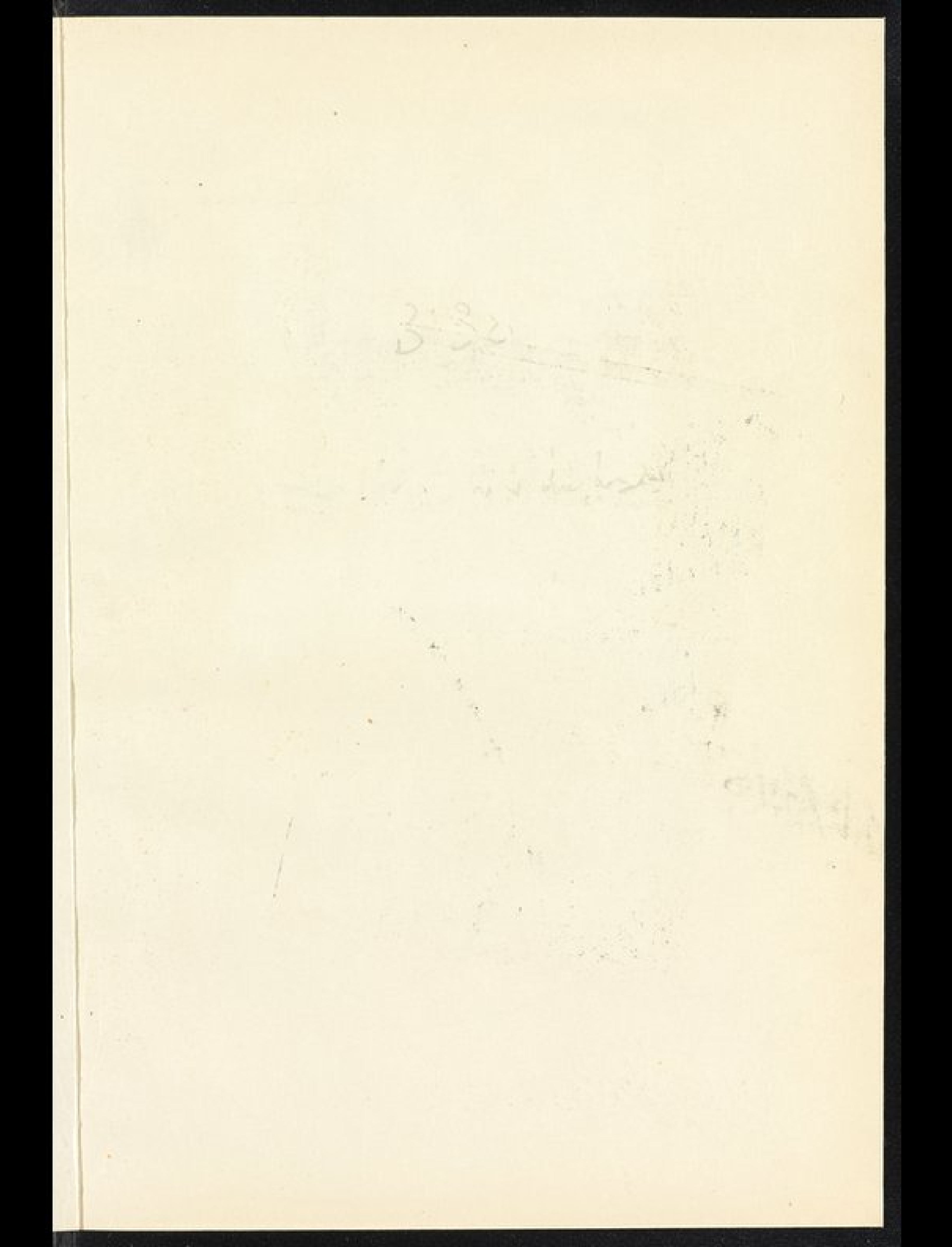


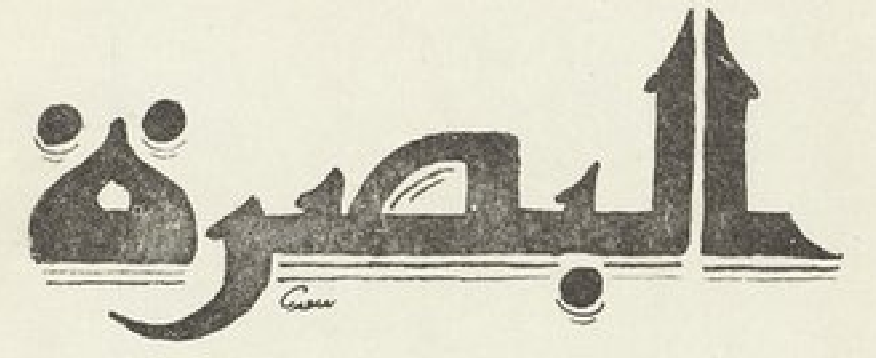
البصرة

في الفترة المظلمة وما بعدها

حامد البازي



من التاريخ وللتاريخ



في الفترة المظلمة

بقلم

حامد البازي

الناشر

دار منشورات البصري

بغـــداد

١٣٨٩ هـ ـ ١٣٦٩

مطبعة دار البصري ـ بغداد تلفون ٨٩٢٧٩

المقدمة

زعماء الاجيال وقوادها هم من ابنائها المفكرين الذين اعطوا ميزات لم تكن موجودة في غيرهم .

والامة التي تنجب اكثر عظماء هي الامة التي تكون اكثر مجداً وسؤدداً .

والامة العربية من اكثر الامم ولادة للبناة والاحرار ورجال الفكر والعلم والمعرفة فهي وفي بقعتها هذه انجبت الانبياء والاولياء .

ونحن نقيس عظمة الشعوب بمقياس اعمال ابنائها فهي سجل خلودهم ولا اظن ان احداً من المثقفين وغيرهم قد نسى بان قرطبة وبغـداد والقاهرة والبصرة والكوفة وواسط والفسطاط وغيرها من المدن هي من صنع أيدي ابناء العرب .

والبصرة هي الحاضرة العربية الاسلامية التي انجبت اعظم الرجال من حملة السيوف والاقلام من رجال الحرب والعلم .

رجال الطب والهندسة والفلسفة والحكمة والشعر والحديث حتى سميت بقبة الدنيا ومحراب الخليل وبلد اخوان الصفا .

فالبصرة مدينة عربية خالدة بالرغم مما اصابها من خراب ودمار ! !

تعالوا نسأل التاريخ كم مرة احرقت البصرة ؟

كم مرة هاجمها الزنج والبدو والخوارج والقرامطة ؟

كم مرة هدمت بيوتها وسفكت دماء ابنائها ؟

وهي بالرغم من ذلك خالدة تنتقل من قلب الصحراء الى محل قريب من دجلة العوراء (شط العرب) لتعطي لأبنائها من قوة المياه ما يساعدهم على الجد والعمل.

* * *

ونحن وفي هذا الوطن العربي الكبير الذي نعيش فيه

فانني لافتخر أن اكون احد ابناء هذه المدينة الكريمة .

افتخر بالبصرة بلا اقليمية فهي بقعة من ارض وطني العربي العزيز .

ووفاء لهذا الفخر وهذا الاعتزاز

وخدمة لبلدتي الحبيبة كعبة العلم ومهد العرفان .

فقد تقدمت لأطرح الى المجتمع العربي هـذا السجل البسيط معبراً فيه عن معنى الحب .

اتقدم وأنا لا أدعي العصمة فالتاريخ حافل بالاحداث التي الى الآن لم يكشف النقاب عن بعضها أو جاءت المصادر عنها متضاربة ولذا فانني بمباحثي هذه رجعت الى ما يتحقق عندي صحتها وذلك بعد أن انظر الى المؤرخ او المتحدث او محقق البحث .

ومواضيع هذا الكتاب كنت قد نشرت اكثرها فى مجلة التاجر الغـراء وجريدة النهار الغراء وكل من جريدتي الحياة والبريد وكلها صحف بصرية .

وقد اطلقت لفظة الفترة المظلمة للعمومية علماً بانني فى قسم من بعضها كنت قد تحدثت عن أزمنة سبقت هذه الفترة او أعقبتها .

والفترة المظلمة فى تاريخ البصرة تحدد من سنة ٩٤٥ هـ الى سنة ١٣٣٣ هـ . ١٥٣٨ م الى ١٩١٤ م .

والبحث التاريخي عن هـذه المئات الاربع من تاريخ العراق عامة وتاريخ البصرة خاصة لذيذ وشيق للقارىء والسامع حيث ان أخبار هذه الحقبة من الزمن كان مطموراً وبعضه لا يزال في طي المخطوطات والسجلات والمذكرات وكان شوقي للبحث والتاريخ قد دفعني الى ان اتحمل المشاق واتجشم المصاعب لاستقصي

التاريخ وأنا أقضي الليالي والايام منهمكا بين الكتب والمكتبات والاتصال بالناس والعلماء والمعمرين لاحصل على اخبار ذكر بعضها في مصدر واحد او جاء على لسان واحدة مرة واحدة أو هو لا يزال محجوزاً في مكتبات احد من الناس .

هناك من الناس من اختزن الكتب القديمة والمخطوطات وراح يفتخر أنه يمتلك مثل هذه ولكنه لم يساعد أحد البحاث على تكملة بحثه ولا هو يريد أن يخرج ما هو مدون في المخطوطات الى المجتمع ليعرف الناس ما هناك من أحداث .

أما أنا فلله الحمد لم يساعدني احد من الناس على البحث او اعطاني أي مصدر سوى ماقدمه لي المرحوم صبري افندي أمين صندوق البصرة وهو بعض المذكرات

كما وانني فى نقلي وكتابتي ومراجعة المواضيع لم احصل على مساعد سوى ما كانت تقوم به ابنتي استقلال من تبييض بعض المسودات ونقلها ومناولتي الكتب والمصادر التي اريدها وكنت لا أريد ان اشغلها عن دروسها فلها مني الشكر .

اما فكرة التحدث عن الفترة المظلمة فكانت تراودني منذ عدة سنين واذكر انني والسيد غالب الناهي كنا نتحدث عنها ونود لو أن أحداً يقوم بها فكنت أنا ذلك الأحد .

وكذلك ساعدني المرحوم عبود الشبر فهو كان يشجعني على المضي في هذه البحوث وكان الأخ كثير المدح لي على طريقة العصر الحديث وهو ان اشاعة مدح الشخص في نوع من العمل تجعله يندفع به واليه .

ولقد قسمت تاريخ البصرة الى قسمين الأول يبحث عن هذه المدينة الخالدة من قبل أن يؤسسها المسلمون سنة ١٤ هـ الى سنة ٩٤٠ هـ .

وسيصدر في جزءين أعددت مسودتها عندي .

والقسم الثاني يبحث عن تاريخ البصرة في الفترة المظلمة وهو هـذا الذي أضعه بين يدي القاري .

ولربما يتساءل البعض عن سبب تقديمي القسم المتأخر من تاريخ البصرة وتأجيلي التاريخ المتقدم منها . . . ولكن الأخ المتساءل سيكون معي عندما يعرف بانني جئت بالبحث المتأخر لغموض حوادثه وعدم سرد التاريخ لها فقد التقطت أخبار هذه الفترة من مصادر اكثرها لم تدخل المطبعة لحد الآن ولقد اخذ الأخ علي البصري على عاتقه اخراجه للقراء .

هذا وأرجو أن اكون قد وفقت لخدمة امتي ووطني وبلدني والتاريخ والله نسأل ان يوفق الجميع الى ما فيه خدمة الشعب ومنه العون وبه الرجاء والسلام .

حامد البازي

البصرة في ١٤/٩/١٩٦٩

كلمة الناشر

سمعت بالاخ حامد البازي انه يكتب عن البصرة ، ويكتب حوادث غامضة ومسلية عن فترة من فترات البصرة المظلمة ، وكم وددت أن اقرأ هذه الابحاث لأني احب البصرة حيث فيها ولدت وترعرعت وفيها دفنت اخوتي واخواني ثم والدي وخرجت منها مرغماً . واخيراً علمت انه ينشر جل ابحاثه في مجلة غرفة تجارة البصرة التي يهيمن عليها الاخ جواد الشيخ حسين . وكم وعدني هذا بارسال المجلة إلي ببدل الاشتراك او على حد قوله بالمبادلة فتبين انه يأخذ ولا يعطي واخيراً يئست من وعوده فبحثت عن الاخ البازي ، واذا به هو ايضاً يبحث عني بغية طبع ابحاثه في كتاب مستقل .

والتقينا عدة مرات وطلبت منه تنسيق الابحاث بعد جمعها والحصول على الصور اللازمة ، وفي فترة قصيرة جهز كل شيء وقبل أقل من شهر دفع لي المسودات مع الصور و (الكلايش) وقد أجاز لي التصرف بكتابه وانه لا يريد جزاء ولا شكوراً وانما يكتفي بكمية من النسخ يحتفظ بها لأصدقائه . وغاية قصده اخراج الكتاب الى الوجود كي يبقى له ذكراً للمستقبل فما يكتب فى القرطاس هو الذي يبقى للكاتب ذكراً ابدياً يخلده فى بطون التاريخ .

هذا وارجو ان اكون قد أديت قسما مما يترتب علي في خدمة البصرة ، استمد التوفيق من الله تعالى فهو نعم المولى ونعم النصير .

الناشر

بغداد في ١٤/ ١٠/ ١٩٦٩ — علي البصري

صاحب دار منشورات البصري فى بغداد

البصرة

معنى البصرة وتأسيسها :

روايات عديدة عن معنى هذه التسمية . .

قال البلاذري في ص ٣٤٣ من فتوح البلدان : انها سميت بالبصرة لأن فيها حجاراً سوداً او أن حجارتها كانت رخوة ضاربة الى البياض .

وقال ياقوت في ج ٢ ص ١٨٣ من معجم البلدان : انها في كلام العرب الأرض الغليظة .

وفي لسان العرب مادة ـ بصر ـ هي الحجارة الرخوة البيضاء او الصلبة السوداء

وقال ابن الفقيه في ص ١٨٧ من البلدان : انها الحجارة الصلبة .

وقال الجوهري في التاج في مادة ـ بصر ـ والبصرة بلد معروف . . واسم البصرة قديماً تدمر والمؤتفكه لأنها ائتفكت باهلها أي انقلبت في الزمن الأول

وقال العلامة هارتمان في ج ٣ ص ٦٦٩ من دائرة المعارف الاسلامية : انها كانت تسمى قديماً (تردن) وكان اليونانيون قد بنوها حينما استقروا بعد غزو الاسكندر للشرق فاطلقوا عليها اسم تردن وهي في محل يبعد عن الماء فراسخ ثم بنوا (الابلـه) لتكون مرفأ لها .

وتحدث ياقوت مرة اخرى لقبول ان المثنى بن حارثة الشيباني هاجم مدينة فارسية اسمها (دهشتاباذ اردشير) وخربها فلما فتح العرب المنطقة سموها الخربية ثم اطلق عليها اسم البصرة .

ويقول الدكتور احمد كمال زكي في ص٢١ من كتابه (الحياة الادبية في البصرة)

ولو رجعنا الى الوراء . . الى ما قبل الفتح الاسلامي لاقليم العراق وجدنا لفظة (بصرياثا) في الآرامية وردت في نبذة نقلها المستشرق (لسترنج) في عرضه لكتاب جغرافي لابن سرابيون .

وقال: ويرى البحاث ان (بصر) بالكلدانية هو الجزء الضعيف و(بصريا) و (بصربي) تعني الافنية و (بيت‌صربي) و (باصربي) و (باصرا) محل الاكواخ

وانا مع الدكتور عندما يرى بأن هناك شدة تقارب بين هـــذه الالفاظ الكلدانية والاسم الجديد العربي الاسلامي لمدينة البصرة .

ولنرجع الى ياقوت ايضاً حيث يقول : انها كانت يوماً ما تسمى (سي‌راه) ومعناها بالفارسية الطرق الثلاثين . ولربما كانت الطرق نهرية اكثر مما هي برية .

ويكاد يكون‌الاجماع تاماً على انها اسست سنة اربع‌عشرة للهجرة بعد معركة القادسية كما يذكر ابن الفقيه انها مصرت سنة ١٦ هـ .

أما الغاية من تأسيسها فهو واضح حتى ان العلامة هارتمان يتفق معنا بان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) قصد ببناء البصرة ان تكون مركزاً للجيش الزاحف لبث الدعوة .

وحينما تقدم عتبة بن غزوان للفتح اصطدم بالفرس عـــدة مرات ثم هاجم الابله التي كان يسكنها الاجانب ولكن ليس ذلك ان هذه المنطقة كانت خاليـة من العرب فلقد ذكر الطبري فى ج ٢ ص ٢٨ من تاريخـه وذكر ابن الاثير في ج ١ ص ١١٦ من تاريخه بان عدة قبائل من أولاد معد بن عدنان كانوا قـــد هاجروا من الحجاز ايام بختنصر فسكنوا منطقة جنوب العراق .

وكان بختنصر قد خافهم فاسكنهم حران ثم الأنبار والسواد بمرور الزمن

سكنوا منطقة البصرة .

ويذكر المسعودي ان تبع بن حمير انزل بعض الضعفاء من قومه المنطقة الجنوبية من العراق وفي الابلة وعلى هذا يكون العرب قد سكنوا منطقة البصرة قبل المسيح بثمانية قرون .

وكانت البصرة تسمى ارض الهند حتى ان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) قال لعتبة بن غزوان اني اريد أن اوجهك الى ارض الهند لتمنع اهل تلك الجيرة من امداد اخوانهم على اخوانكم .

استنتاجا من هذه بيان لنا بان منطقة البصرة قبل الفتح الاسلامي كان يسكنها خليط من الناس منهم الفرس والزط والهنود .

وقد ذكر المؤرخون بان العرب في اول بناء البصرة كانوا لا يكادوا أن يخرجوا من بيوتهم واحيائهم حتى يجدون انفسهم اقلية بين اقوام من غير العرب

وكان سكان هذه المنطقة من الزراع ولكن بعد تمصير البصرة والاستقرار بدأت التجارة تأخذ دورها في حياة الناس وهكذا اجتمعت مقومات العيش السعيد من زراعة وتجارة لابناء المنطقة الذين وصفهم انس بن حجية قائلا : لقد انثالت عليهم الدنيا فهم يهيلون الذهب والفضة .

ويقول البلاذري ان الصحابة والفقهاء والزهاد والنساك انصرفوا الى التمتع بالنعيم فاقتنى انس بن مالك قصره الضخم وهو في الزاوية عند الطفوف كما يقول اليعقوبي في ج ٢ ص ٣٣٨ من تاريخه ان راتب امير البصرة خالد القسري بلغ عشرين الف الف درهم .

وتحدث ابو الفداء في كتابه تقويم البلدان فقال ان البصرة مدينة اسلامية

بنيت ايام عمر بن الخطاب (رض) وفي غرب البصرة وجنوبها جبل سنام كما تحيطها من غربيها وجنوبيها البربة كما فيه وادي النساء حيث يظهرن النساء ليلتقطن الكماة .

وسنام عن البصرة نحو نصف مرحلة وليس في بربة البصرة مزروع على المطر اصلا . ومربد البصرة محلة عظيمة من جهة البر كان يجتمع فيها العرب من الاقطار يتناشدون الاشعار ويبيعون ويشترون .

وقال ابن قتيبة في ج ١ ص ٢١٦ من عيون الاخبار : قست البصرة في ولاية خالد القسري فوجدت طولها فرسخين .

وقال الطبري ان عدد سكان البصرة بين ٣٠٠ ـ ٤٠٠ الف نسمة وان عدد جيش البصرة المحارب في خراسان كان اربعين الفا .

وقال النووي في ج ١ ص ٣٧ من كتابه تهذيب الاسماء واللغات : البصرة بفتح الباء البصرة المشهورة وفيها ثلاث لغات فتح الباء وضمها وكسرها وافصحهن الفتح .

وقال السمعاني : البصرة قبة الدنيا بل قبة الاسلام وخزانة العرب ولم يعبد في ارضها صنم والنسبة اليها بصري .

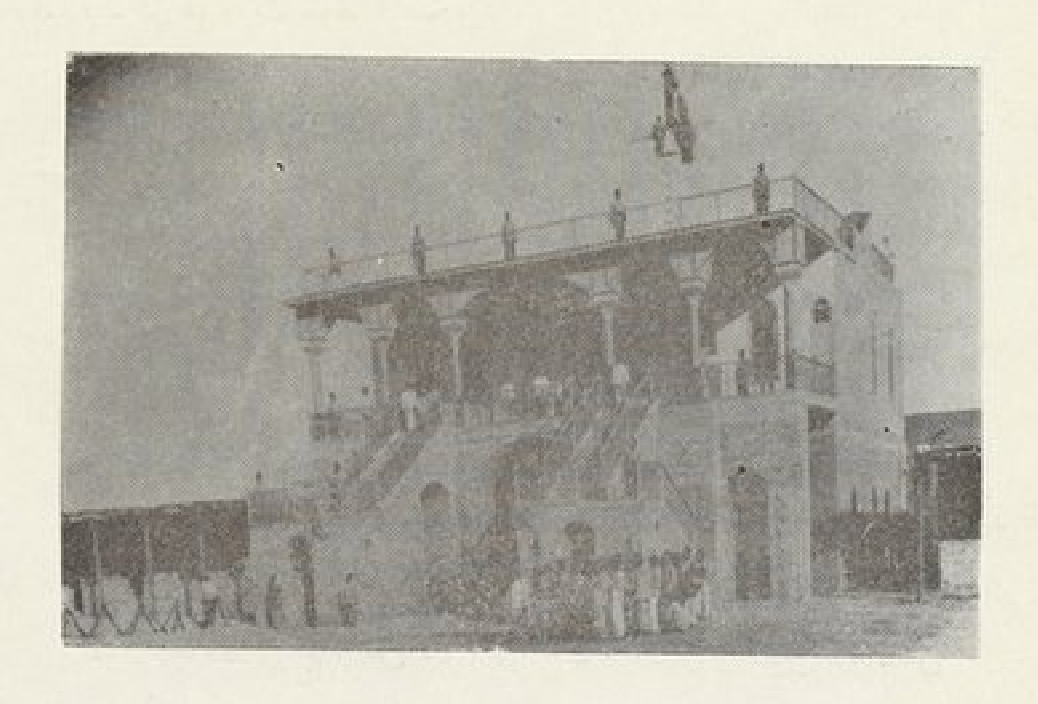
ويقول الجاحظ في ج ١ ص ٣٤٠ من كتابه البيان والتبيين ان الهذلي كان يفاخر بالبصرة فيقول للكوفيين نحن اكثر منكم ساجا وعاجا وديباجا ونهراً عجاجا

وكان خالد بن صفوان يفاخر الكوفيين فيقول : منابتنا قصب وانهارنا عجب وسماؤنا رطب وأرضنا ذهب .

ويروي صاحب مروج الذهب عن الفتيات البصريات بانهن ذوات الألسن

العذبة والقدود المهفهفة والاوساط المحصرة والاصداغ المزرفنة والعيون المكحلة والثدي المحققة .

هذه نبذة قصيرة رسمتها هنا للتعريف بمعنى اسم هذه المدينة العربية الاسلامية الخالدة التي سنتحدث عنها في فصولنا القادمة من هذا السجل العظيم .



﴿ قشلة البصرة سنة ١٩٠٦ ﴾

تجارة البصرة

مع تطور الزمن

ماذا قال عنها الرحالة ؟ صكوك البصرة ومصارفها قبل الف سنة !!

أول باخـــرة رست في شط العرب .

أول تاجر اشتري الصوف العراقي وصدره عن طريق البصرة :

بتاريخ ٢٠ شعبان سنة ٤٤٣ هـ ٢٨ كانون الاول سنة ١٠٥١ م زار البصرة الرحالة الايراني ناصر خسرو المولود في بلدة ـ قباديان ـ من اعمال بلـخ سنة ٣٩٤ هـ ـ ١٠٠٣ م

وقد مكث هذا الرحالة في البصرة ٥٤ يوماً حيث غادرها في ١٣ رمضان سنة ٤٤٣ هـ ٢٠ شباط سنة ١٠٥٢ م .

وكان ناصر خسرو قد الف رحلته هـــذه في كتاب سماه (سفرنامه) وهو بالفارسية ولكنه ترجم الى العربية كما سبق وان ترجم الى التركية والفرنسية

ولسنا الآن بصدد التحدث عن بعض الاخطاء والاوهام التي وقع بها الرحالة المذكور وخاصة عند تحدثه عن انهار البصرة ولكنه كان موفقاً في وصفه لتجارة البصرة وطرق البيع والشراء والصيرفة والصكوك وكيفية صرفها .

وفي أحد احاديثه قال : ان السوق في هذه المدينة تنصب في ثلاث جهات يوميا . ففي الصباح يجري التبادل في سوق خزاعة وفي الظهر في سوق عثمان وفي

المغرب في سوق القداحين . . وهكذا كل يوم .

أما عن كيفية الصرف والبيع والشراء فقال : « كل من معه مال يعطيه للصراف ويأخذ منه صكا . ثم يشتري ما يلزمه ويحول الثمن على الصراف وفى هذه الطريقة لا يستخدم المشتري شيئاً غير صك الصراف طالما يقيم بالمدينة » .

ان هذا الوصف يبين لنا بان المشترين وزوار البصرة ورواد أسواقها قبل عشرة قرون كانوا لا يستعملون النقود في معاملاتهم اليومية في كل شيء بل انما يودعون أموالهم عند الصرافين وفي المصارف ويأخذون منهم اقراراً بتسلمها ويستلمون الصكوك للشراء وبدفع قيمتها أصحاب المصارف الى البائع على شكل حوالة . .

أما الرحالة (مدام ديو لافوا) التي زارت البصرة في ٣ أيلول سنة ١٨٨١م فهي فى وصفها للبصرة تقول انها بندقية الشرق ذات البيوت المختفية تحت ظلال غابات النخيل واشجار الليمون والموز .

ثم ترجع الى تجارة المدينة فتقول بانها شاهدت اكداس الحبوب وخاصة الحنطة وهي تملأ الساحات كما شاهدت التمر الذي سمته بالثمرة اللذيذة السكرية ذات الشهرة العالمية والتي لها اسواق رائجة في العالم حيث تصدر من البصرة في سلال وأقفاص تصنع من الجريد وسعف النخيل اللين وتحمله السفن الشراعية العديدة .

وكان كلام (مدام ديو لافوا) يؤيد ما قاله الرحالة (انجهولت) الذي زار البصرة في تشرين الثاني من سنة ١٨٦٦ م فقال : ان تمور البصرة الكثيرة ترسل الى اوربا بالسفن الشراعية التي تقف في شط العرب .

وكذلك ذكر الرحالة (فونتانيه) في رحلته بان بأن في كل سنة ترسو في

شط العرب اكثر من ١٥٠ سفينة شراعية تسمى كل واحـــدة (بغلة) فتحمل التمور ومعدل حمولة كل سفينة (٦٠ طنا) ويبلغ قيمة هذه الصادرات اكثر من مليونين فرنك .

كذلك يذكر (فونتانيه) بانه انحدر من بغداد الى البصرة بالباخرة المسماة (وفريتس) وهي كما أظن أنا بأنها كانت تابعة الى بعثـــة (جسني) وهي أول باخرة جربت حظها في نهر دجلة كما كانت شركة الهند الشرقية قد جلبت بعض البواخر لنقل البريد وكانت من أشهر تلك البواخر (هيو لندسي) التي يقال بأن اهل القرنة اضطربوا لما رأوها لانهم لم يتعودوا على مشاهدة باخرة وعلى هذا تكون شركة الهند الشرقية أول من قام بتسيير البواخر التجارية في دجلة

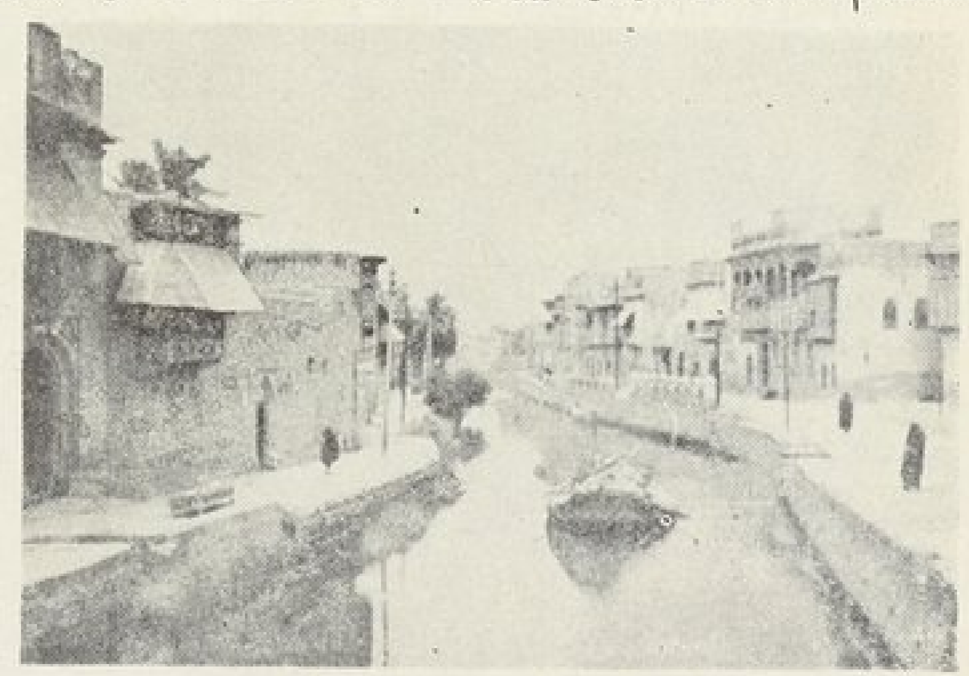
أما البواخر البحرية التي كانت ترسو في شط العرب فاهمها (بار مانتيه) التي غادرت البصرة بتاريخ ٥ كانون الاول سنة ١٨٦٥ م والباخرة (آشور) التي غادرت البصرة بتاريخ ٦ كانون الأول سنة ١٨٦٥ م والباخرة (آراكس) كانت تحمل الفحم لتزويد البواخر المحتاجة الى هذه المادة .

أما اول باخرة دخلت مياه شط العرب وهي لا تعود الى شركة الهند الشرقية فهي (مولا) وكان ذلك بتاريخ ١٥ مايس سنة ١٨٦٩ م وبقيت في الشط ثلاثـة أيام .

وكان أول تاجر اجنبي اشترى الصوف العراقي من بغداد وحمله بالباخرة الى البصرة ليصدره الى اوربا هو (ويبر) وكان سويسريا وقـــد اشترى بتاريـخ ٦ حزيران سنة ١٨٦٥ م (١٥٦) بالة صوف حملت على الباخرة (بارمنتيه) التي غادرت بغداد في ١٩ تموز سنة ١٨٦٥ م[1] قاصدة البصرة .

ومما تجدر الاشارة اليه ان البصرة كانت تدخلها السفن الشراعية القادمة من اليمن وموانيء البحر العربي وخليج البصرة وكانت تسمى (الخشب) كما هناك نوع (البتيل) ثم (البغلة) ولكن التجار الكبار كانوا يفضلون تحميل بضائعهم على ظهر البواخر عوضاً عن السفن ـ بالرغم من رخص السفن ـ وذلك لسرعة وصول البضائع كما كانوا يطلبون ضمانا من شركات التحميل وكان هـذا الضمان يسمى (شوكرانس) الذي نسميه في هـذا الوقت ـ سيكورتا ـ واللفظتان مأخوذتان عن الايطالية وكان أول ضمان قيل انه جرى لتجارة حملت من كلكتا الى البصررة سنة ١٨٢٥ م وكان مقدار السيكورتا خمسة بالمائة .

ويقول ماسينيون فى ـ ص ٣١٢ من كتابه ـ اثر الاسلام في تأسيس ونشاط المصارف اليهودية في القرون الوسطى ـ بان الصيرفة كانت في البصرة اولا بيـد النصارى ثم انتقلت الى الايدي اليهوديـة وذلك لأن كلا من الطرفين



﴿ منظر داخل مدينة البصرة ﴾

كان يتعاطى الربا .

وكانت العينة منتشرة في البلاد الاسلامية ويذكر الجاحظ في ص ١٢٤ من كتابه (البخلاء) بان ابا سعيد المدائني كان من كبار المعينين ومياسيرهم فى البصرة

ولربما يتساءل البعض عن معنى العينة فهي ان يبيع الشخص سلعة بثمن معلوم الى أجل مسمى ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذي باعها به .

وهناك طريقة ثانية للعينة وهي ان الدائن يشتري للمدين بضاعة بقدر معلوم ويدفع ثمنها الى التاجر الذي يأخذ حصته بالنسبة للبضاعة ويعيد الباقي الى المدين .

وسميت عينة من الاعانة حيث يحصل النقد للمحتاج ان المال هو المعين . .

وكانت هذه المعاملات تجري يومياً بين عدد كبير من التجار الصغار والكبار وخاصة فى الفرض والاسواق البحرية حيث تنزل البضائع وتباع من واحد الى الآخر وكان من اشهر تلك الأسواق البحرية (سوق الكلأ) الذي اندثر فكان ان يقول فيه الشاعر مسلم بن الوليد :

ضلت في فرضة الكلاء مكتئبا   ابكي عليها بعين دمعها سرب

وكذلك ذكرها ياقوت في الجزء السابع ص ٢٦٨ من معجم البلدان فقال : اسم محلة مشهورة وسوق بالبصرة ايضاً .

كما جاء في ج ١٨ ص ٧٢ من لسان العرب وفى مادة بدا قوله : ﴿ لم تلهه السوق ولا كلاؤه ﴾ .

وكان الجزء الرابع من كتابه (النهاية في غريب الحديث) قد تطرق الى حديث انس بن مالك القائل : اياك وسباخها وكلأها ويعني بذلك البصرة .

وكان يسكن البصرة عدد كبير من التجار الحلبيين الذين جاءوا مع اواخر

القرن السابع عشر الميلادي والذين تحدث عنهم الرحالة ـ بارسنس ـ الذي أقام في البصرة نحو من ثلاثين يوماً سنة ١٧٧٤ م فقال بانهم يجلبون الى البصرة أموالا اوربية ترد حلب عن طريق البندقية كما كانوا يجلبون اللؤلؤ من البحرين والبن من اليمن .

وكذلك ـ فونتانيه ـ وهو الرحالة الذي كان قنصلا لفرنسا بالبصرة سنة ١٨٣٨ م كتب رحلته في كتاب سماه « رحلة الى الهند والخليج الفارسي » فقال ان علاقة البصرة بمدينة كلكتا الهندية قوية جداً فهي تصدر اليها البضائع الاوربية كما تصدر المرجان والاواني وخاصة الطينية منها والتي تسمى (غليون) .

ومن أشهر الحلبيين الذين سكنوا البصرة ميخائيل عبود الذي مكث فيها ثلاث سنوات من ٢٤ كانون الثاني سنة ١٨١١ ثم غادرها الى كلكتا في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٨١٤ م وقيل انه ترك اخاه يوسف عبود في البصرة ليدير أمواله التجارية ونزل ضيفا في كلكتا على التاجر الحلبي فتح الله حنا أصفر ولكن ميخائيل هذا توفي بدار فتح الله بعد شهر من وصوله كلكتا وذلك في ٣٠ تموز سنة ١٨١٤ م .

وكان ميخائيل اثناء مكوثه في البصرة قد سجل في مذكراته كل الحوادث التي جرت ومن طرائف مذكراته قوله :

١ ـ في ٨ نيسان سنة ١٨١١ م وصل مركب يوفرتس ـ ويسمى الفرات ـ الى البصرة بسلامة .

٢ ـ في ٦ حزيران من السنة نفسها توجه مركب السلطاني الى بنغاله .

٣ ـ في ١٢ كانون الثاني سنة ١٨١٢ م ورد البصرة جملة خشب من البحرين وفيها أموال .

٤ ـ في ٣٠ ايلول من السنة نفسها كانت القهوة تنباع ـ تباع ـ على العطارين والتجار ليس لهم رغبة بها . والبيلاز (عملة تركية) في ٦ وربع وخمسة ريال فرنسه

٥ ـ في ٢٦ تشرين الاول من نفس السنة بهذه الايام انطلب الذهب ـ طلبية على الذهب ـ وصعد الى سعر ٦ ونصف عين .

وكان التجار والصرافون في البصرة يتعاملون بحساب ـ الاقجة ـ وهذا نقد ظهر ثم اندثر ولكنه بقي كوحدة في المعاملات ، وكانت كل ثلاث اقجات تساوي بارة وكل اربعين بارة تساوي قرشاً وكل مائة قرش يساوي ليرة ذهبية

وكذلك الشامي كان يدخل في المعاملات ويقال انه كان يسمى قرشاً قبل ضرب الليرة الذهبية العثمانية .

والبعض يسميه قرش رومي وكان كثير الاستعمال في معاملات التمور وقد زيدت قيمته بعد ذلك فاصبح يعادل تسعة قروش .

وعلى سبيل المثال نقول ان بدل التزام بعض مقاطعات البصرة سنة ١٨٦٦ م كان حسب ما يلي :

مقاطعة الفياضية ٥٠٠٠ شامي ، ويوسفان ١١٣٠٠ شامي ، وكوت الفرنكي ٢١٥٠ شامي ، والكباسي ٣٥٥٠ شامي ، وكتيبان ٣١٥٥٠ شامي .

وكان بدل الالتزام يدفع على اربعة أقساط يبتديء من اول كانون الاول أما الدلالية فتدفع نقداً .

أما طريقة تبادل السلع فقد استعملت قديماً طريقة المقايضة كما كانت تستعمل طريقة دفع السبائك الفضية والذهبية وهي تدفع بالوزن . وكان المقدسي قد تحدث عن هذه الطريقة مما يدل لنا بأن النقد الورقي كان قليلا كما كانت وسائل السكة

عديمة أو صعبة وقليلة .

ويقول (لافوا) في الجزء الأول ص ٧ من كتابه النقود الاسلامية بان أقدم نقود سكة في البصرة هي التي سكها الامام علي بن ابي طالب (ع) وذلك سنة ٤٠ للهجرة .

ولكنه يقول بأن البصرة عرفت النقود سنة ٢٥ هـ ولم تكن تلك النقود باسلامية كما وان عبيدالله بن زياد ضرب بالبصرة سنة ٥٦ هـ سكة كانت عليها كتابة بالعبرية لأن العمال كانوا من اليهود .

ويقول بيريه في ص ٢٥٧ من كتابه (الحجاج) بأن فى سنة ٨٦ هـ اسهم الحجاج في ايجاد سكة عربية خالصة حيث نقشت السكة البصرية بالنقوش والكتابة العربية .

ومن انواع هذه النقود هو الدينار والدرهم والطسوج والدانق والفلس والحبة ومما تجدر الاشارة اليه ان الفلس البصري كان اكبر الفلوس العربية حجماً .

اما الكيل والمقاييس فى البصرة بعد أن كثرت تجارتها وتوسعت رقعتها فكانت ـ الذراع الهاشمية ـ للقياس المحلي كما كان يستعمل الفرسخ في اكثر قياسات المسافات الطويلة .

ومن أهم المكاييل ـ القفيز ـ وهو ثلاثون منا ـ والمكوك ـ وهو حسب ما يقول شارل بلات كان خمسة امنان . اما الحاجري فيقول انه يسع صاعا ونصفا او نصف رطل الى ثمان آواق وكذلك تستعمل الكيلجة والرطل والدرهم الذي يقول عنه الاستاذ الكرملي بأنه ماخوذ من اليونانية حيث يسمى (دراخمى) .

ثم هناك القيراط والدانق والحبة وهي اصغر مقياس للاوزان .

وهذه الاوزان تطورت مع مكاييلها فكانت - الوقيـة والحقة والدرهم - وكذلك المن البصري والطغار والكارة البصرية التي هي كارة كبيرة وكارة صغيرة

وفي رجوعنا الى بعض مسميات البصرة (مطرح البر) نقدر أن نقيس مقدار اتصال هذه المدينة الخالدة بالمدن البحرية فحيث عندها تطرح الاحمال الآتية من جميع انحاء العالم كما تصدر منها البضائع سميت - بالمطرح - وزيد عليهـا - البر - حيث هـذا اللفظ بحري يطلق على اليابسة التي ينزل عليها البحارة للتفريغ والتحميل .

ولقد جاء في مادة - سوق - من دائرة المعارف الاسلامية بان المربد وهو خارج البصرة حيث تحط القوافل اصبح مركزاً للفعالية التجارية البصريه .

وقال البلاذري في ص ٣٦٤ من فتوح البلدان بأن بلال بن ابي بردة احتفر سنة ١١٠ هـ نهر بلال وجعل على جانبيه حوانيت ونقل اليها السوق حيث تباع السلع الثمينة ومنها اللؤلؤ العماني والياقوت الهندي والعقاقير الصينية والادم من اليمن والجلود النمريـة من الهند والحرير من الصين والبن من اليمن وكذلك تباع الجواري والغلمان والخيول والطواويس والسروج والاواني الخزفية .

وكان من محصولات البصرة ونواحيها الخز والحناء وثياب الكتان والبنفسج والرمان وماء الورد والحرير والوسائد والديباج وحصر الحلفاء زيادة على التمور والحبوب والفواكه التي كثرت حتى اصبحت البصرة من جنان الدنيا .

والى هذا المختصر الرشيد من هـذا الموضوع المفيد نقف على ان لنا عودة لمباحث اخرى تخص هـذه الحاضرة العربية الاسلامية البصرة مدينة الساج والعاج والديباج والذهب الوهاج ..

البصرة قبة الدنيا

أول سايلو واول برج مراقبة يؤسسان في البصرة سنة ٢٠ هـ

اسالة الماء قبل سنة ١٢٠٠ في البصرة . .

وزارة النفط فى البصرة ـ أول مدرسة طب ومختبر حيواني ..

مصانع ضرب وصهر المعادن .. من هو الباليوز ؟

البواخر ترسو فى شط العرب ـ البصريون يرفلون فى الحضارة .

آل رزق من تجار البصرة ..

أول رئيس غرفة تجارة فى العهد العثماني والعهد الوطني . .

كانت علاقة منطقة البصرة التجارية بالعالم قوية جداً حتى قبل تأسيسها حيث ان ارض (تردون) أو حسب التسمية الثانيـة (تدمر) أو (المؤتفكه) وهي البصرة الحالية ـ والتي كانت تدعى بارض الهند ـ كانت تتصل بالعالم المعروف وتتجر معه بريا وبحريا ولـكن تجارة البصرة كانت قوية اكثر مع بلاد الهند حتى ان الطبري في ج ٤ ص ١٤٨ من تاريخه يقول : « ان البواخر الهنديـة كانت ترسو في منطقة البصرة وكان عدد كبير من الهنود يسكنون هذه المنطقة » .

وعلى هذا الاساس جاء الجاحظ ليؤكد في رسائله بأن أهل البصرة لم يكونوا ليشتهون من النساء سوى الهنديات وبنات الهنديات .

أما العرب فقد سكنوا منطقة البصرة قبل حكم الاسكندر المكدوني باربعة قرون والمعروف عن الاسكندر انه حكم سنة ٣٣٦ قبل الميلاد ، وعلى هذا يكون العرب قد سكنوا منطقة البصرة قبل نحو من خمسة وعشرين قرناً بالرغم من أن سابور الفارسي المعروف - بذي الاكتاف - الذي خلع اكتاف العرب وأراد أن يشردهم عن منطقة البصرة ولكنهم ثبتوا وقالوا على لسان شاعرهم :

على رغم سابور بن سابور اصبحت   قباب أياد حولها الخيل والنعم

حتى اذا جاء العرب مع الاسلام ومصرت البصرة حدثنا التاريخ ان المجتمع البصري كانت تسوده الطبقة الارستقراطية تقابلها الطبقة الكادحة هذا من حيث الزراعة ولكن طبيعة موقع البصرة الطبوغرافي شجع اهلها على العمل في التجارة وذلك لما فيه من فائدة اعم واسهل وكثرة في الثراء على ان الزراعة وهي التي تصاحب نشأة الامم - حيث هي من شمارات الاستقرار - جعلت من البصرة جنة الدنيا حتى يروي البلاذري في فتوح البلدان بأن عدد أنهار البصرة بلغت يوما ما ١٢٠ الف نهر فكانت الحبوب وكانت النخيل وكانت الثمرات والاعناب والخضر واذا بهذه المدينة العربية الاسلامية الفتية في مدة قصيرة من عمر الزمن هي القبة الخالدة .

ثم انشأت الجسور والطرق والاسوار والمعابر والاسواق وبنيت المستودعات للخزن فكان اول سايلو أقيم في البصرة سنة ٢٠ للهجرة كما اقيمت الصواري والعلامات البرية والبحرية ونظمت بروج المراقبة لارشاد السفن القادمة ونظمت أمور التجارة فكان قضاة الصكوك والتجارة (كتاب عدل) حتى طبقت قوانين البيع والشراء والمعاملات والعقود وتسجيلها للحفاظ على المعاملات .

ثم زادت من أهمية البصرة وجود النفط فيها وهو المـادة التي عرفها الشعب السامي منذ آلاف السنين حتى ثبت أن شوارع مدينة بابل واور كانت مبلطة بالقير وتستضيء بالنفط .

ثم البيهقي في ص ١٨٢ من المحاسن والمساوىء يقول بأن الدولة الاسلامية اهتمت بامور النفط الى درجة انها استحدثت وظيفة (وزير) او ما يسمى (والي) لمن ولي النفاطات وعلى هـذا الاساس نستمع الى الشاعر البصري عبد الصمد بن المعذل يعاتب احد اصدقائه الذين عينوا لوزارة النفط فبات يثنيه بها :

لعمري لقد أظهرت فيها كأنما	توليت للفضل بن مردان منبرا
بحفظ عيون النفط أظهرت نخوة	فكيف به لو كان مسكا وعنبرا
دع الكبر واستبق التواضع انه	قبيـح بوالي النفط ان يتكبرا

وكان ابن جبير في رحلته الى العراق قد ذكر انه شاهد اراضي القير والنفط بين البصرة والكوفة ولربما هي منطقة (المقير) ـ الاور ـ وهي اكثر الاماكن ظهوراً له كما يقال ان ذي قار هو اسم لمحل يكثر فيه القير .

وبمناسبة تحدثنا عن هذه المنطقة نقول ان الرحالة (ديلافاله) كان قد كتب فى رحلته الى الشرق بانه بوصوله الى (كويبده) بين البصرة والمقير انه شاهد في هذا المحل رسوم الكمارك تؤخذ باسم شيخ هذه المنطقة واسمه عبدالله .

وقال : انه شاهد التتن (التبغ) وهو يرسم ولكنه لم يذكر لنا هل أن هـذا التبغ كان مصدراً من جنوب العراق الى شماله أم بالعكس علماً بأن شمال العراق هو منطقة زراعة التبغ فاذا كان التبغ الذي شاهد ترسيمه الرحالة قد صدر من جنوب العراق الى شماله فيكون حين ذاك اما أن يكون تبغـاً هنديا او ايرانياً

جاء عن طريق البصرة على أن البصرة عرفت زراعة التبغ أيضاً وصدرت منه الى محلات اخرى ولكن الى حد .

وكان (ديلافاله) قد زار البصرة سنة ١٦٢٥م ١٠٣٥ هـ وتطرق الى البصرة و (كويبده) وهو على خلاف حديث الرحالة (نيبور) الذي قال بان بين البصرة القديمة وجبل سنام واد خصيب كثير الخضرة يدعى وادي (سيد سبان) وان اكبر قراه (كويبده) التي حرفها الناس الى الخريبة .

واذا ابتعدنا اكثر نستمع الى الطبري في ج ٤ ص ١٤٨ يقول : بان تجارة البصرة قبل تأسيسها كانت متمركزة في منطقة الابلة منذ عهد الاسكندر ثم السلوقيين فالاشكانيين وبعدهم الفرس وبقيت الابله مرفأ السفن الآتية من الصين وما دونها حتى فتحها عتبة بن غزوان .

ثم يصف لنا البلاذري فى ص ١٣٣ من فتوح البلدان بأن نهر معقل في التقائه بنهر الابلة اصبح طريقاً تجاريا هاما وكانت السفن تمخر عباب هذه المياه فتدخل التجارة الى آخر حدود البصرة كما تنقل منها وبهذا سهلت وسائط النقل وكثرت الصادرات وازدادت السلع المعروضة ، فاثرى أهالي البصرة زيادة على اثرائهم من غنائم الفتح والذي قيل فيه أن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) لما سأل احد العائدين من البصرة الى المدينة وهو انس بن حجيه عن مسلمي البصرة اجابه انس:

لقد انثالت عليهم الدنيا فهم يهيلون الذهب والفضة . . وحتى بلغ الصحابي الناسك انس بن مالك ان يبني له قصراً بمائة الف دينار كما كان خالد القسري ينفق مائة الف درهم .

وكذلك الرخاء التجاري والزراعي جعل من البداوة العربية حضارة متجددة

وقد ادخلت أدوات جديدة للطبخ والعمل وافرشة ووسائد وملابس متحضرة فاستعمل اهل البصرة (البرفكان) وهو أزار أو ثوب يلبس على الملابس لحفظها وقد ذكر في ج ١ ص ١٤٤ من البيان والتبيين بقول الشاعر :

انى وان كان أزاري خلقا   وبرفكاني سملا قد اخلقا

قد جعل الله لساني طلقا

ولقد روى العلامة (دوزي) في معجم الملابس ان اهالي الامصار المتحضرة كانت تستعمل البرفكان وهو أزار او كساء جميل يلف به الجسم ويستعمل للنساء والرجال . . وكان البرفكان البصري حضري فى صنعه وجيوبه وازراره التي عملت من الذهب دلالة على اثراء البصريين .

واستعمل اهالي البصرة (المرفقه) وهي المخدة من الريش - ريش النعام - وكان قد قيل فيها :

كسح الهجر ساحة الوحل لما   غير البين في وجوه الصفاء

وجرى البين فى مرافق ريش   هي مذخورة ليوم اللقاء

وكذلك استعملت المطارح - جمع مطرح - وهي المفارش من الحرير كما استعملت - المتكأ - والذي عرفه العرب منذ القدم وقد جاء ذكره في سورة يوسف من القرآن الكريم ولكن البصريين تفننوا فى الزخرفة والعمل وهكذا عملت ثروة البصرة فى رقي الحالة الاجتماعية .

ولم تقف الثروة البصرية الى هذا الحد بل تجاوزتها الى العلم والمعرفة فكانت أول مكتبة عامة في البصرة هي التي اسسها ابن سوار فى القرن الرابع للهجرة ورتب معاشاً للعلماء الذين يشتغلون بها كما وقف القاضي ابو الفرج ابن

ابي البقاء مكتبة تحتوي على نحو من خمسين الف مجلد .

ويعد مالك بن ابي السمح مؤسس المدرسة البصرية في الغناء وهو من تلاميذ معبد في المدينة وقد وفد على والي البصرة سليمان بن علي فاحسن وفادته .

ويعتبر باتكين بن عبدالله الرومي الناصري مؤسس مدرسة علم الطب بالبصرة وذلك عندما ولي البصرة من قبل الخليفة العباسي المستنجد بالله سنة ٦١٨ هـ .

وكذلك يذكر لنا البغدادي في ص ١٨٤ من الفرق بين الفرق بان الباطنية في البصرة اخذوا يدرسون حالة الحيوانات كما اخذوا يقومون بالبحوث والمقارنة والنظريات كما ان الجاحظ ذكر في ج ٢ ص ٢٢٨ من الحيوان بان محمد بن علي بن سليمان كان يجري التجارب الطبية والعلمية على الظباء والبقر والافعى .

ولقد اسست مصالح الميـــاه واسالة توزيعها على البيوت حتى ذكرت المصادر بان محمد بن سليمان الهاشمي عمل (الدواليب) وحفر الارض وبنى الاحواض لخزن المياه ثم عمل انابيب واقنية من رصاص لتوزع على البيوت وهكذا وزعت المياه لتسهل الحياة .

ثم سكت النقود من الفضة والذهب والمعادن الاخرى لتسهل التجارة فكانت النقود التي سكها الامام علي (ع) أول نقود سكة بالعربية في البصرة كما سك بعـــده زياد ثم الخلفـــاء العباسيين حتى جاء الزنج فكانت العاصمة المختارة على نهر ابي الخصيب ثم انتشرت سكتهم فى منطقة البصرة الى أن جاء الموفق ليحل بسكته عوضاً عن سكة الزنج التي يقال أن بعضها كتب عليه ـ لا حكم الا لله ـ وهو من شعار الخوارج .

وذكر الرحالة الفرنسي (تافرنيه) عند مروره بالبصرة سنة ١٦٥٢م ١٠٦٣هـ

وايام حكم حسين باشا أفراسياب انه شاهد مصانع ضرب النقود باسم الحاكم وان كميات كبيرة من الفضة والذهب كانت تصهر وان عدداً كبيراً من العمال والموظفين يشتغلون في معامل السكة .

كذلك ذكر الرحالة (بارسنس) الذي زار البصرة سنة ١٧٧٤ م ومكث بها ثلاثين يوماً والرحالة تكسير الذي زار البصرة بتاريخ ٦ من شهر آب سنة ١٦٠٤م بانهما شاهدا مصانع النقود وباقي الصناعات اليدوية وخاصة صناعة الحديد والخشب.

ولقد وصف تكسير البصرة فقال ان تجارتها كانت رائجة وانه شاهد بيوتاً كثيرة متهدمة ولاحظ العمل يجري فيها بسرعة ولما سأل عن هذه الظاهرة علم بانه قبل اسبوع من قدومه كانت النار قد شبت في مستودع للبارود والذخيرة ومعامل الاسلحة عائد للحكومة فالتهمت النيران آلاف الاكياس من المعدات الحربية فحدث انفجار كبير أدى الى اهتزاز البيوت وسقوط بعضها .

وفي سنة ١٨٤٨ م ١٢٦٥ هـ صدر من الباب العالي امر بأن يؤسس في البصرة مسفناً ومعملا لتصليح الاسطول وعلى اثر ذلك ارسلت الحكومة من الاستانة الاميرال (بيري بك) مع عدد من الضباط والعمال الفنيين علما بأن الحكومة العثمانية لم تكن لها بواخر نهرية الى ذلك التاريخ اذ انها اشترت مركب الرصافة سنة ١٢٨٦ هـ ليسير بدجلة بين بغداد والبصرة كما اشترت مركب (بصرة) ليسير في الفرات وكان يستعمل للكشف .

ثم اشترت الحكومة مركب بابل وحولت (الرصافة) الى (بوسطة) وعلى اثر ذلك تأسست دائرة حكومية باسم دائرة الملاحة النهرية وكانت على شط العرب (الكورنيش حالياً) .

ثم اشترى نقيب البصرة السيد عبدالرحمن بن السيد طالب مركب (الفيحاء) الى أن كانت سنة ١٢٨٦ هـ حيث اكمل مركب بابل وحول الى مركب ركاب جاهز للسفر الطويل ونقل الحجاج من البصرة الى جدة في ١٥ يوما وهو في اجوره على ثلاث درجات ٤٠٠٠ قرش للموقع الاول ٢٥٠٠ قرش للموقع الثاني و ١٢٠٠ قرش للموقع الثالث وهكذا قضى على الشركة الانكليزية التي كانت تحتكر النقل باسعار عالية .

وعلى هذا الاساس كثرت الايدي العاملة وانتعشت التجارة وخاصة بعد أن كان علي رضا باشا والي البصرة قد احتل المحمرة كما احتل جزيرة الخضر وجزيرة المحلة سنة ١٢٥٣ هـ وباتت المحصولات تنقل من البصرة واليها .

ومما تجدر الاشارة اليه ان المحمرة مدينة حديثة شيدت سنة ١٢٢٩ هـ ١٨١٢م وقد سكنتها قبيلة كعب العربية وكان من امرائها الشيخ جابر المتوفى سنة ١٢٩٨هـ والشيخ مزعل المتوفى سنة ١٣١٥ هـ ، والشيخ خزعل المتوفى في ٢٦ ايار سنة ١٩٣٦ م .

ولندع هذه الالتفاتة لنرجع الى موضوعنا فنقول : وفي اواخر شعبان من سنة ١٢٥٠ هـ كانون الاول سنة ١٨٣٤ م طلبت الحكومة البريطانية من الدولة العثمانية اجازة بتسيير باخرتين للنقل في نهر الفرات وبتوسط علي رضا باشا والي البصرة صدر الفرمان بالموافقة حالا ثم حصلت الاجازة لتسيير باخرتين في نهر دجلة وعلى هذا الاساس تأسست ولأول مرة ـ شركة المراكب البخارية في نهري الفرات ودجلة ـ وصار مقرها البصرة واتخذت لها محلا على ضفاف شط العرب وزادت حركة التجارة بزيادة حركة النقل .

والحقيقة ان عهد علي رضا باشا في البصرة كان من العهود الزاهرة بالاعمال ولكن بعض المغرضين وشوا به واتهموه ـ بالبكتاشية ـ وخاصة بعد مباحثاته مع السيد محمد سعيد المفتي ومحمود الآلوسي حول اسلام ابي طالب .

ومما زاد الحقد عليه ان القنصلية الانكليزية كانت قد تأسست فى البصرة سنة ١٧٩٧ م وكان قنصلها يلقب بالمقيم ومن اشهر القناصل الانكليز (رج) وكانت تتمتع هذه القنصلية بامتيازات كبيرة فلها ١٢ قواساً وعدد من الجنود الاهلية يزيدون على الستين وتحت تصرف القنصلية باخرة خاصة تدعى (كوميت) ولقد اخذ القنصل الانكليزي باستبدال الجنود العرب الاهليين باخرين من الهنود .

فلما رأى علي رضا باشا ذلك شدد الرقابة على القنصلية ومنع استبدال الجنود الاهليين بالهنود مما جعل القنصل يشكيه الى الحكومة العثمانية التي كانت لعبة بيد الانكليز ولذا عزلت الوالى ارضاء للانكليز بينما كان يقوم الوالى بواجبه .

ومما يلاحظ أن قناصل الاجنبية عدا الايرانية كانت تدعى (باليوز) وهو يقابل لفظ اجنبي (بايلوز) كما كان يدعى القنصل (روزدنت) ولكن (باليوز) وهو (ايطالى) شاع بين اهالي البصرة حتى باتوا يطلقونه على جميع القناصل .

والى وقت ليس بالبعيد كانت البواخر تحمل البريد من الهند الى البصرة ومنها الى اوربا وحتى قبل افتتاح قناة السويس فلقد جاء في مذكرات (جوزيف زفوبودا) وكان احد كتاب شركة بيت لنج بقوله : بتاريخ ١٥ أيار سنة ١٨٦٩ وصلت البصرة من بومبي الباخرة (مولا) وهي تحمل البوسطة ـ أي البريد ـ ثم كان أن يزداد رسو السفن التجارية البحرية في ميناء البصرة حتى بلغ سنة

١٩٠٧ م (٢٠٠) باخرة ثم تحول سنة ١٩٣٩ م الى (٢٥٦) باخرة ثم ازداد هـذا العدد مع الحرب حتى كانت تدخل الميناء يومياً ثلاث بواخر أي بمعدل ١٢٠٠ باخرة سنويا .

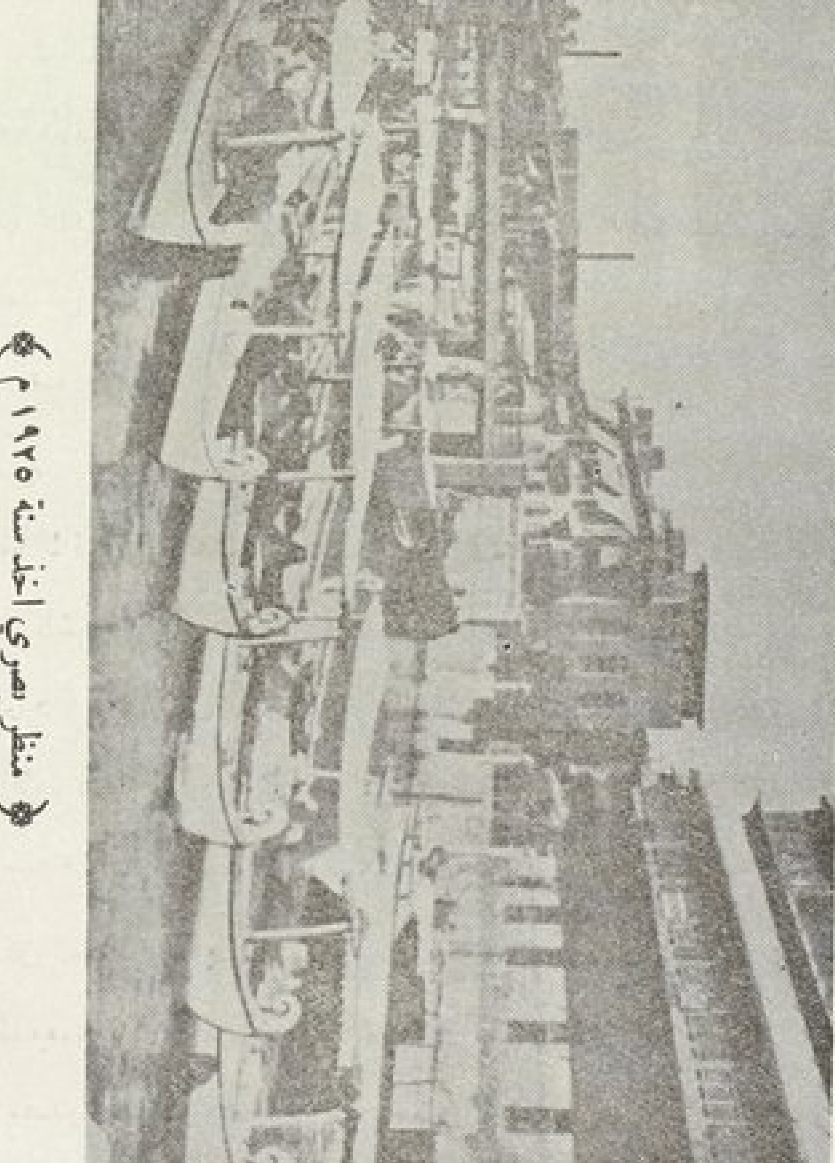
ويحدثنا جوزيف زفوبودا فيقول : وفي الساعة ١١ والدقيقة ٢٠ من بعد ظهر يوم ٣ حزيران سنة ١٨٦٩ م وصلت البصرة الباخرة (ابيسينيا) وعلى ظهرها مسعود بك البلجكي وهو مهندس ركب الباخرتين البصرة وبغداد اللتين اشترتها الحكومة العثمانية وانه ذاهب الى بغداد لانشاء الترامواي .

كما تحدث هذا الكاتب فقال : في ٢٢ اذار سنة ١٨٧٠ قدم مسعود بك من بومبي بعد ان كان قد اشترى للحكومة العثمانية باخرة نهرية مع دوبتين بخمسة وستين الف روبية .

ثم بعد احتلال العجم للبصرة أرادوا ان ينقلوا مركز التجارة من البصرة الى الضفة الثانية من شط العرب فاسسوا اولا قلعة (كردلان) وقد سماها صاحب كتاب (كلشن خلفا) باسم (كردكان) ومعناها (المأوى العالي) او (ارض التل) كما ذكرها صاحب كتاب (تاريخ راشد) فقال اسمها (كوردلان) وقد ذكرها الاستاذ العزاوي في تاريخ العراق بين احتلالين فقال ان يحيى باشا والي البصرة سنة ١٠٧٨ هـ حولها الى معسكر جمع فيه انواع العساكر .

وكان العجم بعد انسحابهم من البصرة قد تركوا هذه القلعة التي اصبحت بعد ذلك معمورة كما نقلت اليها القوات العسكرية والارزاق والمدافع فكانت البصرة مصدراً لاعاشة هذه الجموع في هذه البلدة الجديدة . وهكذا ازدادت الايدي العاملة .

وكذلك فان الحكومة العثمانية عينت مصطفى باشا سنة ١٠٨٠ هـ ١٦٦٩ م لينظم امور البصرة المالية فوصل البصرة وعين مخمنين من الرجال الاكفاء المخلصين حيث ضبطت الاراضي الاميرية ورسومها والاوقاف والاملاك المعفاة من الرسوم العرفية والأعشار .



منظر بصري اخذ سنة ١٩٢٥ م

ثم سجلت اراضي البصرة ونخيلها وواردات‍‍‍ها وصادراتها ومحصولاتها ومصروفاتها ومسكت دفاتر التسجيل تحت تواقيع الرؤس‍‍اء واشراف الوالي وتوقيعه فكان ان يجمع الوالي في خزينة الدولة الاموال المتوفرة ولأول مرة بعد أن كانت تذهب الى جيوب الولاة وزمرتهم .

ثم بدأت تجارة البصرة بالانتظام حتى دخلت ـ هولندا ـ المجال التجاري في خليج البصرة وارسلت قائد بحريتها بتاريخ ٢٢ رجب سنة ١١١٧ هـ ٧ تشرين الثاني ١٧٠٥ م الى أمير البصرة ـ مغامس بن مانع ـ ليوقع معاهدة تجارية وان يؤسس فرع للشركة الهولندية بالبصرة وان تحمى كنيسة الكرملين في البصرة وهكذا صارت السفن والتجارة الهولندية تصل الى أرض البصرة بعد موافق‍ة مغامس بن مانع كما كانت الحاصلات البصرية تنقل الى انحاء العالم بواسطة الشركة الهولندية التي اخذت تشتري المحصولات العراقية كما برز عدد كبير من التجار البصريين منهم خالد بن احمد بن رزق التاجر الذي وصفه احد كتاب ذلك العهد وهو (نعمة الله عبود) بقوله : انه من التجار البصريين الذين لهم شغف بالعلم والادب حتى أن ذلك بات يلهيه عن اشغاله التجارية .

ويظهر ان والده كان ق‍د نزل (الزبارة) من اعمال البحرين وصار يرسل التجارة الى البصرة كما يستورد منها وقد ذكره النبهاني في تحفته فقال انه اول من نزل الزبارة وعمرها كما كان عثمان بن سند ق‍‍د صنف كتابه فيه سماه ـ سبائك العسجد في اخبار احمد نجل رزق الاسعد ـ .

ولربما يقال أن احمد هذا كان اولا من رجالات الكويت ثم قصد البصرة وصار هو وولده من التجار أصحاب القصور حتى أن الاستاذ يعقوب سركيس

في القسم الاول من المباحث العراقية يقول بأن خالداً بن رزق شرع في بناء قصور تم بناؤها سنة ١٢٣٢ هـ ١٨١٦ م وانـــه طلب من الشعراء قصيدة يزين بها مجلس احد القصور .

ومما تجدر الاشارة اليه ان آل رزق هم الذين بنوا قصراً في منطقة ام قصر الحالية حيث سميت المنطقة باسم ذلك القصر .

ومن جهة ثانية فانه في ١٤ صفر سنة ١٢٧٦ هـ نشر قانون الاراضي وانظمة الطابو في البصرة واحتسبت الاراضي الخالية بحساب الدونم وانه يؤخذ عن كل دونم من الاراضي المغروسة ٣٠ قرشا سنويا أما الاراضي الصالحة للزراعة وهي غير مغروسة فيؤخذ منها العشر وما يغرس جديداً يعفى عن الرسوم لمدة ست سنوات مما شجع الملاكين على الزراعة ولكن الى حد ولكن عند زيارة مدحت باشا للبصرة اصبحت تؤخذ الرسوم الاميرية على كل دونم ١٥ قرشا والغى الخرص واصبحت الرسوم تؤخذ على جميع الاراضي المغروسة وغير المغروسة بالتساوي وهنا اخذ كل ملاك من زراعة ارضه الخالية حتى يقال انه بينما كانت واردات البصرة تساوي ٤٨ حملا من النقود ارتفعت بعد سنين الى ٧٠ حملا ..

وكانت زيارة مدحت باشا هـذه فى ٤ شوال سنة ١٢٨٦ هـ حيث نظمت امور البصرة المالية بينما زار مدحت باشا البصرة في ٢١ شعبان سنة ١٢٨٨ هـ عند توجهه الى الاحساء ونجد حيث عند رجوعه أصبحت هذه المناطق تابعة للبصرة .

ان مساحة الاراضي المزروعة بالاشجار والنخيل بالعراق تبلغ ٧٤٩ الف مشارة فيها من شجر العنب نحو ١٢ مليون ومن الرمان ٢ مليون ونصف ومن البرتقال مليون وسبعمائة وخمسين الفا كما فيها اكثر من ٩٠٠ الف شجرة تفاح كما هناك

٣٩٨ الف مشارة تزرع بالخضروات منها ٦٨ الف مشارة تزرع بالرقي ونحو ٤٤ الف مشارة للبطيخ و ٥٢ الف مشارة للطماطة .

أما عن النخيل في العراق ٢٦ مليون نخلة والعالم كله يعرف بأن منطقة البصرة أغنى بقاع العالم بالنخيل فهي تضم ١٠٨ أميال وبعرض ميل واحد وتحتوي على ١٣٨ الف فدان او اكثر وان قسما منهـا تابعاً لايران بينما للعراق ١١٢ الف فدان وبمعدل ١٥٠ نخلة للفدان يكون العـدد التقريبي لنخيل البصرة ١٧ مليون تدخل تحت حوالي ٣٥٠ نوع تختلف من حيث الذائقة والحجم وكمية السكر وكان الحلاوي اول نوع صدر الى اميركا سنة ١٩١٤ م ثم اخذ بالازدياد خاصة بعد أن عرف بأن التمر لا يحمل المكروبات وحتى مكروب الكوليرا فانه يموت بعد ٤٨ ساعة من وجوده في التمر .

وكان ابو بكرة وهو من اصحاب مؤسس البصرة عتبة بن غزوان اول من غرس النخيل في البصرة وذلك سنة ١٤ هـ فكان هـذا التمر الجنى الذي يتحدث عنه الكولونيل (ودد) وهو مدير الموانيء في العهـد البائد المتوفى في ١٠ تشرين أول سنة ١٩٤٢ م فيقول عن فائدة التمر بأنه وفي العهد العثماني كان ضابطاً بحريا يعمل في الاسطول الانكليزي في مياه خليج البصرة وقد أثر بـه وبباقي الجنود مناخ الخليج فاصيبوا ـ بدمامل ـ دموية فى وجوههم وايديهم وصادف ان نصحهم احد أعراب سواحل الخليج بأن ياكل التمر فاخذ الانكليز بنصيحته مع الاستهزاء ولكن سرعان ما زالت تلك الدمامل . . وعاد صفاء البشرة . . . وهـذه شهادة اجنبي لتمرنا .

الباون الواحد من التمر يعطي ١٣٣٠ سعرة حرارية بينما يعطي البيض ٦٣٤

سعرة والخبز ١٠١٤ والسمك ٣٠٠ ـ ٧٠٠ واللحم ١٠٩٠ سعرة والبطاطة ٤٠٠ ولحم الخنزير ١٢٧٣ سعرة .

وفي ١٥ صفر سنة ١٣٢٨ هـ فوجيء البصريون بأمر من نظارة الدفتر الخاقاني التركي باعتبار اراضي البصرة اميرية واشجارها ونخيلها ملكا لاصحابها فكان أن تكتب جريدة (الايقاظ) البصرية لصاحبها سليمان فيضي وفي عدد رقم ٣٧ الصادر في ٢٠ صفر سنة ١٣٢٨ ـ ٢ آذار سنة ١٩١٠ م كلمة مطولة عن عدم شرعية هذا القرار وقد نشرت الجريدة المذكورة برقيـة احتجاج أهالي البصرة الى الباب العالي وكان ان تستفتي الحكومة المشيخة الاسلامية التي اعلنت بان اراضي البصرة عشرية مملوكة لاصحابها وليس لاحد غيرهم حق التصرف بها وهكذا الغي الامر .

ويتخلل أراضي البصرة و بساتينها ٦٣٥ نهراً بين كبير وصغير كلها تتفرع من شط العرب ويكون ٤٧٠ منها على جانبي شط العرب الغربي ابتداء من القرنة حتى الفاو وكما يكون منها ١٦٥ نهراً على الجانب الشرقي من الشط ابتداء من القرنة الى نهر الخزنوبية في اخر الحدود العراقية الايرانية .

وتبعد البصرة عن الخليج ٨٨ كيلومتر وعن بغداد ٤٢٠ كم وكانت في العهد العثماني تنقسم الى اربع متصرفيات هي المنتفك والعمارة والقطيف والهفوف بما فيها ٢٣ قضاء و ١٥ ناحية وكان لوالي البصرة السيطرة على كل هذه المناطق .

ولقد ازدادت أهمية البصرة التجارية بعد زيادة اهميتها العسكرية وأصبح الأجانب ينزلونها ليعملوا فيها كما ان اهالي البصرة في اواخر العهد العثماني جدوا في العمل فكانت معامل الثلج والطحن والهبش والحلج والحيـاكة والمبردات

ومعامل الطابوق وبناء السفن وكبس التمور والنحاسة والصياغة .

وقد تأسست اول غرفة تجارة للبصرة سنة ١٣٢٤هـ - ١٩٠٥م وكان مسؤولها محمود بن علي كاظم بك الذي جلب بذور القطن فكان اول من زرعـه الشيخ عبدالواحد باش اعيان في مزرعته بالصالحية كما جلب - محلجة - لحلج القطن وتنظيفه من الجذور كما زرع الخروع وجلب معصرة لاستخراج دهنه .

وكان محمود بك هذا قـد جلب بذر التوت - التكي - ايضاً حيث اخذت تربية دودة الحرير بالكثرة وعلى هـذا انتشرت صناعة الحرير وباتت تحاك منه الملابس والافرشة لتصديرها الى الخارج .

وفي سنة ١٩٢٦ م تأسست غرفة تجارة البصرة بموجب قانون غرف التجارة رقم ٤٠ لسنة ١٩٢٦ وكان أول رئيس للغرفة الحاج عبدالله الخليل وهو شخصية فذة ومن كبار رجالات البصرة وكان قد ولد في مكة المكرمة سنة ١٨٧٠ م ولكنه عاش بالبصرة وعمل من أجلها . . .

البصرة حاضرة
تجاريـــة زراعيـــة

كم كانت تبعد المدن التجارية العالمية عن البصرة ؟ ..

ما هي طرق المواصلات في البصرة ؟ . .

من الذي شق طريق بصرة ـ عشار ؟ .

وماذا تعرف عن السراجي والزبير والقرنة ؟ .

لماذا سميت الفاو ـ وفي أي دقيقة احتلها الانكليز ؟

كم عدد جزر شط العرب ، ومن كان يحب الثمن البصري ؟ ..

لقد كان نهر معقل يطوق البصرة من جهتها الشمالية كما يطوقها من الجنوب نهر الابلة ثم يلتقيان في فرعين لهما ليشيدا من البصرة جزيرة على شكل قبـــة ثم يفترقان من محلين اخرين ليتصلا بالصحراء وعلى هـــذا الاساس كانت تجري حركة ـ المسافنة ـ وهي عملية نقل البضاعة من سفينة الى اخرى حيث ان السلع التي كانت تأتي الى البصرة من شمال العراق تدخل من المعقل بينما البضائع التي كانت تأتي من خارج البلاد تدخل من نهر الابلة فكانت البصرة مستودع الخزن والمركز التجاري البحري زيادة على اتصالهـــا بالصحراء لتكون طرق مواصلات القوافل .

والبصرة تبعد عن الكوفة ٨٥ فرسخاً وعن مكة ٢٧ مرحلة وعن واسط ٥٠ فرسخاً وعن عمان ٢٢ مرحلة وعن اليمامة ٣٢ مرحلة كما كانت تتصل بسيراف التي تبعد عنها ٥٠ فرسخاً بطريق بحري منتظم زيادة على اتصالها بالاهواز وايران والهند واليمن والصين .

وصارت البصرة قاعدة بحرية حربية عثمانية وفي سنة ٩٦١ هـ قدمها سيدي علي رئيس احد القواد البحريين العثمانيين وكان يحمل فرمانا سلطانياً لاستلام القوة البحرية الموجودة في البصرة والذهاب بها الى مصر . . وكانت قوة البصره تتكون من خمس عشرة قطعة كل منها تسمى (قدرغة) وقد مكث سيدي علي رئيس في البصرة خمسة اشهر زار خلالها مسجد الامام علي (ع) والزبير وطلحة وأنس والحسن البصري رضي الله عنهم جميعاً كما امر بتصليح بعض القطع البحرية التي كانت تحتاج الى تصليح .

كذلك كانت في البصرة عدة قطع بحرية حربية راسية منها القطعة المسماة ـ بركندة ـ والقطعة ـ فاليته ـ والقطعة ـ قرلا نغيج ـ .

ولقد ازدادت علاقة البصرة مع الهند تجاريا وعسكريا بعد أن استنجد حاكم كجرات المسلم بالعثمانيين ضد الضغط البرتغالي فساعده الاتراك بالسلع والحبوب والحيوانات كما ساعدوه بالقوات .

* * *

وحتى في الايام الاخيرة من حكم آل ثويني للبصرة كانت الطرق العالمية تمر في هذه المدينة الاسلامية الخالدة .

ان ثويني هذا هو أحد شيوخ المنتفك وقد استولى على البصرة سنة ١٢٠٢ هـ

١٧٨٧ م بدون مقاومة فلما دخلها بجيشه اصدر امراً شديداً لرجاله انذرهم فيه بالقتل اذا ما تعرضوا لاحد من السكان او اموالهم ومع ان حكمه لم يدم اكثر من ثلاثة أشهر فقد اتصل بالتجار العالميين كما اتصل بالحكومات والشركات لتزدهر التجارة وذلك لأن تجارة البصرة بعد ايام من احتلاله لها زادت اضعافا مع انها كانت قبل الاحتلال كاسدة حتى جاء فى مذكرات احد موظفى شركة الهند الشرقية وكان موجوداً في البصرة سنة ١٢٠١ هـ - ١٧٨٦ م بأن تجارة البصرة فى تدهور ثم جاء فى مذكراته لسنة ١٢٠٣ هـ - ١٧٨٨ م بأن تجارة البصرة لم تكن زاهرة مع انها لا تزال المخزن التجاري لهذه الاصقاع فيثري التاجر فيها، وأما حاكمها فتركي وسكانها عرب وتوطنتها أسر ارمنية .

والحقيقة أن ثويني قام بعمل عجيب في احتلاله للبصرة حتى تذكر التواريخ بأن الحياة التجارية عادت الى المدينة وفتحت الحوانيت والمحلات التجارية بعد ساعة من احتلال المدينة وكان روح النظام العسكري العربي قد تجسم في ارواح الجند الفاتحين حتى انهم قاموا بشق الطرق وتوسيع الشوارع وخصص حرس في خارج المدينة لتامين التجارة والقوافل كما خصصت قوات فى سفن تجوب مياه شط العرب وفم الخليج لتأمين التجارة البحرية .

وكان اخر الولاة العثمانيين الذين اهتموا لطرق تجارة البصرة وتنظيمها هو سليمان نظيف بك الذي شق طريق بصرة - عشار الحالي سنة ١٣٢٧ هـ كما امر بقص الطريق من باب سليمان ومن عند قصر شعبان جلبي الى باب العريض ثم امر بمده الى باب الطويل فى ابي الخصيب .

وسليمان نظيف بك كان قد وصل البصرة فى اليوم الثامن عشر من شهر

تشرين الاول سنة ١٩٠٩م لاستلام وظيفته ولكن السلطات الصحية حجرته لمدة اربعة عشر يوماً ثم خرج في اليوم الاول من شهر تشرين الثاني وفي طريقه الى مقر عمله امر بهدم بعض المباني التي كانت تزاحم الطريق ومنها دار المنديل ودار البهرة الكبير علماً بان القنصل البريطاني في البصرة احتج على هدم بيت البهرة بدون انذار او اعطاء مهلة لنقل من فيه من الناس او من الحاجيات كما امر بهدم سوق السيمر العائد الى آغا جعفر دون أن يعطي صاحبه ما يعوضه فكثرت عليه الشكايات فصدر الامر بعزله ثم غادر الفاو على ظهر باخرة لتقله الى استانبول وذلك في ٣ تشرين الاول سنة ١٩١٠ م .

* * *

لنترك مدينة البصرة ولنعرج على أهم النقاط التجارية في هذا اللواء حيث يمكننا ان نحصرها في مناطق اربع هي :

١ ـ السراجي :

ويقال ان هذه الناحية سميت بالنسبة لنهر السراجي المنسوب الى رجل كان يبيع السروج .

وتحتوي هذه المنطقة على (٤٥٠٠) جريب من النخيل ونظراً لاهميتها في السابق شيد فيها مسجد كبير مع منارة عالية وجميلة لا تزال باقية الى اليوم .

وفي نفس المنطقة شيد عبدالوهاب باشا بن احمد القرطاس قصراً فخماً لقرينته كما بنى عدة بيوت لفلاحيه وزودهم بالبذور واشترى لهم البقر والدجاج وساعدهم على حفر انهار البساتين وحراثتها وانشاء السدود فازدادت الحاصلات النباتية والحيوانية زيادة على حاصلات التمور وكانت نساؤهم تقوم بغزل الصوف وجمع

الحطب فكان الناس من البصرة وباقي المناطق يأمون السراجي للشراء محلياً كما كانت السفن الشراعية والابواب والمراكب تقف امام هذه المنطقة لشراء حاجياتها كما كان يتم تبادل السلع فالشخاط والتبغ والتوابل والاواني والبصل والحلوى كانت تنزل من السفن لتأخذ محلها في مخازن السراجي كما ازدادت علاقة ابناء الخليج العربي مع ابناء هذه المنطقة فازدادت الثقة التجارية ..

ومن هذه المنطقة ينبع نحو من ٢٠ نهراً منها نهر المحرقة والمقام والبراذعية والدوغة والمزاينة وميثان وفريق الصخر وكوت الضاحي وابي سلال والشمشاعي والشطبان ..

كما شيد أغا جعفر قصراً فخماً مزيناً بالصور البارزة والزخارف وفي مدخله اسدين جميلين من البرنز لذا سمي القصر (قصر ابو السباع) وبالحقيقة ان هذا القصر يستحق ان يكون متحفاً او معرضاً للبصرة في شتى مجالاتها .

وكان الرحالة البرتغالي (تكسيرا) عند زيارته للبصرة في ٦ آب سنة ١٦٠٤م قد تحدث عن منطقة السراجي ونهرها فقال ان السفينة التي كانت تقله رست امام السراجي حيث كانت ترسو السفن القادمة الى البصرة في هذه المنطقة لتفريغ شحناتها وتحميل البضائع الى خارج العراق .

ثم يقول تكسيرا بأن على صدر النهر قلعة عسكرية كبيرة للاتراك وهي مزودة بالمدافع كما تضم عدداً كبيراً من الجنود الى ان يقول بأنه استقل زورقاً صغيراً سار به في نهر السراجي ما بين بساتين النخيل المكتضة وحقول الذرة حتى وصل الى مدينة البصرة وبعد أن قطع ما يقارب الفرسخ حيث أن البصرة تتصل بشط العرب عن طريق هذا النهر كما وانها محاطة بخندق عميق خارج سورها الطيني

وهذا الخندق يستمد ماءه من نهر السراجي .

* * *

٢ - الفـــاو :

وهي الارض الجنوبية من العراق وتقع عند منتهى نهر شط العرب وعلى جهته الغربية وتحتوي المنطقة على اكثر من ثلاثة وثلاثين نهراً اهمها نهر العشار - ولذا يقولون بأن البصرة اولها العشار وآخرها العشار - ثم نهر معتوق الذي جرت عنده معارك سنة ١٩١٤ بين الاتراك والانكليز في الحرب العظمى الاولى ونهر القشلة حيث عنده بنيت ثكنة عسكرية ونهر المهلبان الذي حفرته (خيرة) زوجة المهلب بن ابي صفرة ولكن اسم زوجها المهلب غلب عليه .

وتبعد الفاو عن البصرة نحو من ٦٣ ميلا وكانت قديماً قطعة من مقاطعة تدعى (الدكاك) وهي منطقة غير عامرة وتابعة الى راشد السعدون الذي ضمنها الى احد شيوخ (الدوامر) المدعو يوسف الخليفة الذي عمرها وزرعها فسميت بالمعامر وكان ذلك سنة ١٢٢٦ هـ .

وقد انتقلت من ايدي آل السعدون الى آل الصباح ثم التزمها سنة ١٢٥٥هـ ابن جبران ثم التزمها حاج راشد النابندي سنة ١٢٥٩ هـ .

اما سبب تسميتها بالفاو فهو ان سفينة اسمها (الفاو) كانت تابعة لاهل الديلم جاءت الى تلك المنطقة ليشتري ذووها حاجياتهم من التمر وصادف ان هبت رياح شديدة أدت الى غرق هذه السفينة في نهر المهلبان فاخذ الناس يطلقون على المنطقة اسم الفاو فيقولون محل غرق الفاو ثم حذفت لفظة غرق لتبقى (الفاو) ثم سميت المنطقة كلها بهذا الاسم .

وكانت الفاو قد تعرضت للطاعون الجارف الذي اصاب البصرة سنة ١٢٤٧ﻫ فهجرها الكثير من سكانها ولكن الحكومة العثمانية اهتمت بالأخير بها كما شيدت فيها الحوانيت والمقاهي ودار للبريد ومراي للحكومة الذي يقال انه من أعمال مدحت باشا .

كذلك أراد سليمان نظيف بك والي البصرة أن يثقف أبناء المنطقة فبنى مدرسة فيها سنة ١٣٢٧ ولكن الاهالي قاطعوها ولكن الوالي بنى محجراً صحياً ومستوصفاً ورصيفاً ودوراً للموظفين مما زاد في سعة المدينة وأهميتها .

ثم نظراً لوقوع المدينة على فم الخليج فقد سكنها الكثير من أبناء الكويت والبحرين والاحساء ومسقط والهند وكان اللؤلؤ يأتي اليها والمحار ودهن الحوت والاسماك البحرية والجوت « الگواني » والخشب كما كانت السفن الشراعية تنقل منها التمــر والفواكه وخاصة الرمان كما تنقل الدبس وماء الورد وماء القداح والحناء .

وكان الانكليز قــد احتلوا الفاو في تمام الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والاربعين من يوم ٦ تشرين الثانى سنة ١٩١٤ م بقيادة الجنرال (ديلامين) وبعد أن قصفت الدراعة البريطانية (اودين) الاستحكامات التركية وخربتها .

وباتصال الفاو مع البصرة بريا اخذت المدينة فى التقدم وخاصة بعد أن صارت مرفأ لشحن النفط كما زادها اهمية وجود ام قصر هذا الميناء العظيم الذي من المؤمل أن يصبح ميناء حراً حيث يكون للفاو شأن كبير .

٣ - الزبير :

وكانت هذه البقعة قد دخلت في قبضة العثمانيين سنة ٩٥٣ ﻫ وعند احتلالهم

للبصرة ، واهتم الاتراك بالزبير فبنوا مسجداً عنـــد ضريح الزبير (رض) الى ان جاء الأمر السلطاني سنة ٩٧٩ هـ من سليم الثاني بانشاء قبتين على ضريح الزبير وطلحة ثم اخذ الناس يبنون بيوتهم حول المسجد اولا ثم توسعت المدينة .

وكان الوهابيون قد اجلوا اهل بلدة حريملة التابعة لبلدة الوشم وأهل بلدة حرمة التابعة لبلدة السدير . .

كانت قد اجلتهم عن ديارهم فجاءوا ليستوطنوا مدينة الزبير وكانوا تحت رئاسة يحيي بن الزهير الذي تمكن من اقناع العثمانيين فاعطوه مساعدة وبنوا سوراً حول الزبير وزودوه بالمدافع والبارود والمؤن والاموال لرد غارات الوهابيين كما وان العثمانيين خصصوا مرتبات شهرية لجميع سكان الزبير كل حسب عدد عائلته وحسب مرتبته كما وانها أعفت اهل الزبير من الخدمة العسكرية وكانت حكومة بني عثمان تصانع الزبيريين ليساعدوها ضد الوهابيين ولذا فان المدينة كانت مهمة بالنسبة لهم باعتبارها قلعة تقف في وجه الاعداء .

ثم ان الزبير بين البصرة والكويت ومناطق المنتفق وصحارى نجد وطريق الخليج جنوبا مع سير مياه الفيضان وخور موسى جعلها منطقة تجارية استفاد منها اهلها فكانت نعم المورد لهم .

وكان الزبيريون على اتصال مع امارات الخليج والهنـــد والصين حتى ان المؤرخ فصيح بن نعمة الله الحيدري ذكر في كتابه (احوال البصرة) اسماء تجار البصرة فكان اكثر من نصفهم من أهل الزبير زيادة على ما هو معروف عن الزبيري فهو عامل مجـد يحب الشغل ويخرج من الصحراء ماءاً ليروي بها ارضاً ميتة واذا بها خضراء تنبت الخضر والفواكه .

وكان الرحالة تكسيرا عند تحدثه عن سفرته الى البصرة سنة ١٠٦٤ ﻫ ومن ثم مغادرته الى النجف عن الطريق البري قال انه شاهد سهلا فسيحاً بين البصرة والدريهمية وقال انه كانت عادة البصريين أن يجتمعوا في هذا السهل ايام الجمع للبيع والشراء والتسلي بالعاب الفروسية والخيل .

والحقيقة ان هذه السوق كانت زبيرية وليست بصرية فهو يقع خارج سور مدينة الزبير وهو يقام عادة لانه من تقاليد الزبيريين وكانت البضائع التي تعرض زبيرية وخاصة الصوف وغزل الشعر والوبر والمنتوجات الحيوانية والكمأ والاشواك للوقود وانواع الماشية للبيع والتبادل فكان سوق الزبير من اكبر اسواق البصرة.

* * *

٤ — القرنة :

وقد اطلق عليها اسم (العلية) نسبة الى علي باشـــا افراسياب حيث فتح الجزائر وعاد الى القرنة فحصنها بعد أن كانت صغيرة للجند العثماني ثم جاء من بعده ولده حسين باشا الذي حارب العثمانيين بقيادة ابراهيم باشا سنة ١٠٧٧ ﻫ فزاد في تحصينها فكانت ثلاث قلاع الواحدة تحيط بالثانية وبينها فرج صالحة للقتال كما احاطها بالماء وزودها بالمدافع فكان سورها لا يؤثر فيه الرصاص .

ومن أهم القصبات التابعة للقرنة هي (سحاب) ومنها كانت تشد الاحمال الى الحويزة وهي نقطة استراتيجية مهمة ثم (السويب) وكان اسمه السوب ثم صغر لكثرة تناقله على الالسن حيث هو مركز مهم لزراعة الخضرات والبطيخ . ثم الحويزة وكانت قديماً ادارة لامارة حتى سنة ١٠٧٨ ﻫ وقد سميت بالحيسنية نسبة الى عشيرة الحيسن والرئيس محسن وكانت محاطة بسور . . ومن ثم (الدير) وهو آخـــر

حدود القرنة الجنوبية وقد ذكر المرحوم سليمان فيضي انه كان فيه (دير الدهدار) وانها لفظة فارسية معناها النخلات العشرة وفاتـه رحمه الله ان (ده) بالفارسية اذا كانت مفتوحة معناها (عشرة) واذا كانت مضمومة معناها القرية ولكن (دار) ليس معناها النخيل أو النخلات ابداً وانما تأتي بمعنى الصاحب او المالك او الرئيس

ويقال انه في الدير كانت منارة طويلة بقيت الى نهاية القرن الحادي عشر للهجرة وكان هناك من يزعم بأنها من بناء الجن وقد بنيت من نفسها دون بنائين او عمال ولا حتى مواد انشائية !

وفي القرنة توجد الشجرة المقدسة التي يقال انها شجرة الخلد التي اكل منها آدم ولا يزال جذع هذه الشجرة محط رحال السواح الاجانب .

وفي الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر اليوم التاسع من شهر كانون الاول سنة ١٩١٤م والمصادف ٢٠ محرم سنة ١٣٣٣ هـ سلم صبحي بك القائد التركى القرنة الى الكولونيل (فرازان) قائد الحملة البريطانية . ثم بعد الحكم الوطني اصبحت القرنة قضاء تابعاً للبصرة .

أما اهمية هـذه المنطقة فتتلخص فى انها ملتقى دجلة والفرات وفى اقترانهما بشط العرب (سميت القرنة) شكلت منطقة مائية خصبة للزراعة والرعاية وصيد الاسماك وتربية الدواجن زيادة على وجود القصب والمردي وعرق السوس والبردي وزيادة على وجود الطيور والعصافير التي تغطي مياه الاهوار .

ويتحدث لنا التاريخ عن العلاقة التجارية ووفرة المواد الغذائية حتى ان احد السواح ممن سافر من البصرة الى بغـــداد قال اشتريت ثلاث دجاجات في قرش واحد من القرنة .

ثم كانت السفن (والفلك) (سفينة فيها ماكنة) والابلام الكبيرة تأتي الى البصرة وهي محملة بأقفاص الطيور والدجاج واخـــرى محملة بالقصب والبواري وغيرها محملة بالجبن والدهن والجلود والصوف .

ثم كان الايرانيون وعرب الحويزة يأتون القرنة للتموين وتبادل السلع فكانت ايام الربيع من أجمل الأيام كما كانوا يأتون ايام الشتاء ايضاً لشراء حاجاتهم وذلك عن الطريق البري او الطريق المائي .

* * *

ولقد كان الفلاح في القرنة يقوم بنشاط كبير في زراعة الأرز ايضاً وقـــد حدثنا البعض بأن (الرحى) وهي الطواحين المحلية كان لها شأن كبير في تكوين الخبز الأرزي (خبز التمن) .

* * *

وفي شط العرب مقاطعات على شكل جزر تسمى (شلهات) وكان اهمها الدغيات والحسيبية والدعيجي والسليمانية والشلاهي والصالحية والعجيرات والدرة والطويلة والبوارين والحـــدة وام الخصاصيف والبليانية والزيادية والرميلة والفداغية والصوفية و و الخ .

وكانت عبادان قديماً تقع على شط العرب حيث ان النهر المسمى (بهمشير) والفاصل بين عبادان والمحمرة يدور حول جزيرة عبادان ليدفع بها الى شط العرب

وكانت عبادان قديماً تقع على ساحل البحر ولذا قيل ـ ما وراء عبادان قرية ـ ولكن بعد ذلك اخذ ماء البحر بالانخفاض وظهرت اراضي جـديدة فتكونت عدة قرى وراء عبادان .

ثم هناك جزيرة الصالحية حيث كان يكثر فيها الحنطة فكانت بيادره تملأ أرض الجزيرة وتداس السنابل بالأرجل وبواسطة الحيوانات ثم يجمع الحب ويعزل عن العلف ويعبأ فى اكياس فتأتي السفن الشراعية والمراكب لنقله الى الخارج كما كانت الزيادة تحول لتموين البصرة .

أما الرز فقد كثر في هذه الجزيرة حتى انتجت نوعاً جيداً منه سمي (الرز الصالحي) نسبة اليها كما ونسب الرز الحسيبي الى جزيرة الحسيبية ويشتهر بلذة طعمه ورائحته الذكية .

وعندما تحدث النبهاني عن البصرة قال في ضواحيها يستنبت الارز وكان يعني بالضواحي هذه الجزر التي كانت عبارة عن مقاطعات زراعية تابعة للبصرة .

كما ان صاحب معجم البلدان وصف ضواحي البصرة فقال انها مخصبة جداً ينبت فيها الارز والورد والحنطة والتبغ وانواع الفواكه والتمر وهو أهم تجارتها بسبب كثرته .

وتحدث فصيح بن صبغة الله الحيدري في كتابه (أحوال البصرة) فقال عن نهر الدواسر انه من المحال الجسيمة في البصرة وفيه بساتين كثيرة ومزارع للرز .

وقال ايضاً بأن جزر شط العرب تزرع الرز وتصدره بكثرة ثم عدد الجزر وقال اهمها ام الجبابي المشهورة بارزها الخاص وجزيرة المحلة وهي اكبر مخزن لهذه المادة (الرز) .

وقيل عندما استولى الشيخ جابر المرداو على جزيرة المحلة كانت تصدر هذه الجزيرة سنويا الف كيس من الرز زيادة على ما يستهلك محلياً .

وكانت البصرة قد عرفت اول طاحونة تجارية لطحن الحنطة سنة ١٣٠٥ هـ عندما جلب يامين اليهودي هـذه الطاحونة لانه كان يقوم بالتعهد لاطعام وارزاق الجيش العثماني .

ثم قام الملا عبدالرزاق العوضي سنة ١٣١٣ هـ فجلب هباشة تدار بمحرك قوته ٢٥ حصاناً وذلك لتقشير الرز وتنظيفه فباتت البصرة تصدر الرز المقشر وغير المقشر المعروف - بالشلب - كما كان هـذا الغذاء اللذيذ الرخيص المتوفر هو طعام العامة من أبناء الشعب .

وكانت البصرة تمون كل أقطار الخليج العربي بالرز (البصري) والى الآن هناك وفي اقطار الخليج يطلق على اكثر انواع الرز الجيد بالبصري مع انـه غير بصري وباتت البصرة تستورد الرز بعد أن كانت تصدره ولنا أمل وطيد بأن يعاد المجد التجاري والزراعي لمدينتنا الحبيبة .

وكان من أهم الآفات التي تؤذي البصرة مياه البحر المسماة (ماء الموح) فهو يفد الى هذه المدينة ليغمر اراضيها وقد حدث اخيراً ان نظم هذا الماء موعد غزوه فكان يأتي كل عشرين سنة تماماً .

فلقد غمرت مياه البحر أرض البصرة سنة ١٢٥٣ هـ وفي زمن احمـد جلبي وهي السنة التي اخذ بها علي باشا المحمرة حيث أرخت بالقول : (أتاها وأشعل النيران فيها ١٢٥٣ هـ) .

ثم جاء المـاء سنة ١٢٧٣ هـ واذا كانت زيارته الاولى دامت نحو من شهرين فقط فان هذه الزيارة دامت نحو من خمسة اشهر وكان ذلك في زمن (رشيد بك الكوزلكلي) وكان حازما شديداً قام ليرد طغيان هـذا الفيضان

الوبيل وحده عن المدينة .. كما كان هو الذي تمكن من استخلاص مقاطعات نهر خوز ومهيجران من ايدي المنتفك وكان بعده منيب باشا سنة ١٢٧٧ هـ قد تمكن من طرد الاعراب عن املاك الاهالي بعد ان كانوا قد احتلوها بالقوة .

وجاء الموح مرة ثالثة سنة ١٢٩٣ هـ وفي زمن ناصر باشا السعدون الذي كان يحمل رتبة (امير الامراء) حسب امر سلطاني صدر في ٢٦ شوال سنة ١٢٨٣ هـ ثم في ٢٩ شوال سنة ١٢٨٦ هـ رفع الى رتبة (مير ميران) وفي تاريخ ٧ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٨ قلد وسام المجيدي ثم في ١٧ رجب سنة ١٢٨٨ هـ بدلت رتبته الى (بكلربكي) وفى ٢٢ رجب سنة ١٢٩١ هـ وجهت اليه ولاية البصرة مع رتبة وزير وسافر الى الاستانة في ٢٣ رجب سنة ١٢٩٢ هـ عن طريق بغداد ثم عند رجوعه حاول فصل البصرة عن بغداد وكان قد حدث بينه وبين قاسم باشا الزهير مشادة حاول بعد ذلك قتل قاسم باشا الذي هرب الى الاستانة ليقدم شكايته فكان أن يفصل ناصر باشا عن ولاية البصرة ثم عين في مجلس - شوراي دولت - الى أن توفي فى الاستانة في ٩ ربيع الاول سنة ١٣٠٣ هـ كانون الاول سنة ١٨٨٥ م .

وكان آخر ماء موح غمر أراضي البصرة هو الذي حدث سنة ١٣٣٣ هـ وفي زمن صبحي بك وكان قبله ماء الموح قد جاء سنة ١٣١٣ وفي زمن الفريق حمدي باشا ولم يدم طويلا .

وكان ماء موح سنة ١٣٣٣ هـ - ١٩١٤ م أثناء الحرب العظمى الاولى حيث غمرت المنطقة بين البصرة والزبير والشعيبة الى القرب من الناصرية مما حول الحرب الى صعوبة ثانية فوق صعوبتها وقد تعبت كل من الدولتين المتحاربتين

الانكليزية والتركية فى الهجوم والدفاع وكانت معركة الشعيبة قد حدثت في ١٢ نيسان سنة ١٩١٥ م ودامت ثلاثة ايام انتهت بانكسار العثمانيين وكان الجيش الانكليزي قد غطى ظهره بمياه هذا الماء .

وبعد الانتهاء من معارك جنوب العراق بني سد كبير لحماية البصرة ومدت السكة الحديدية التي تصل البصرة ببغداد على هذا السد الذي انشيء في منطقة (خرطراد) وهي منطقة مأخوذة من (الخر) وهي الارض التي تغمرها مياه و (طراد) وهي ارض منبسطة تستخدم لطراد الخيل والعاب الفروسية والسباق .

ولقد تخلصت البصرة بعد إقامة هذا السد من مياه البحر والا فكانت المدينة تعزل عن كثير من المناطق اثناء وجود هذا الماء وكان الناس يركبون الزوارق والابلام للتنقل بين البصرة والشعيبة والزبير .

وهذا السد حافظ على البصرة من مياه البحر فقد عرضها لمياه فيضان دجلة والفرات والأهوار حيث ان هذه المياه كانت تنفذ الى البحر ولكنها اصبحت اليوم تغمر الاراضي المحيطة بها كما تغمر البساتين وتعرض اشجارها للتلف

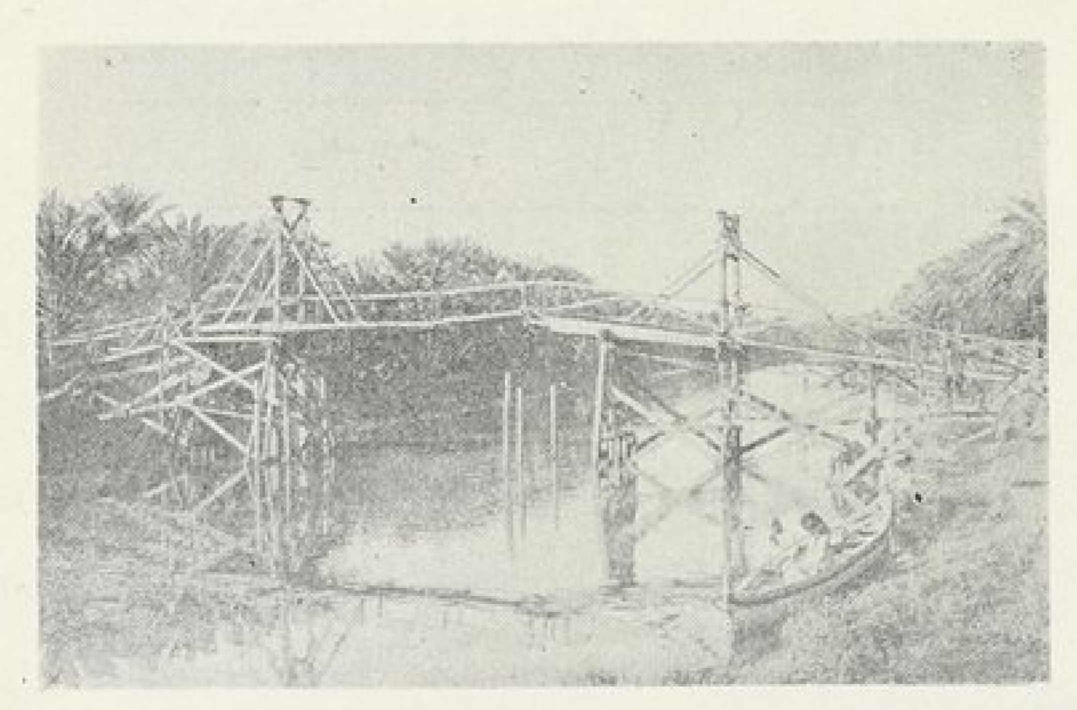
ومن أهم المناطق التي تتأثر بمياه الفيضان هي منطقة (كرمة علي) على نهر كرمة علي الذي يقال انه كان قبل ثمانين سنة يعبر بدون جسر وان مياهه كانت ضحلة جداً الا أن مياه الاهوار وسعته وعمقته .

ويقال ان اهالي البصرة كانوا يخرجون ايام ماء الموح للنزهة واحياناً يبيتون الليل فى الصحراء وعلى برودة الجو كما ان ماء البحر المالح كان يجرف معه الاسماك البحرية ومنها النوع المعروف (الخباط) كما كان يجرف الموجات العظيمة من (الروبيان) فكان الناس يكثرون من الصيد ويملأون المخازن الارضية والطينية

منها حتى اذا انخفضت المياه سهل صيد باقي الاسماك .

أما بعد رجوع ماء البحر فان الارض تصبح ملحية الى درجة ان الملح كان يبلغ ارتفاعه من الارض احياناً ثلاثين سنتيمتراً فكان الناس يجمعونه لاستعمالهم المنزلي كما كان يصدر الى الخارج .

ولقد سهل ماء الموج تجارة الملح مع بعض الاقطار المجاورة وخاصة ايران كما كانت الهند تستورد الملح البصري النظيف الذي كان الأهالي يعتنون به زيادة على أن التجار كانوا يبنون لهم محلات على شط العرب لشراء الملح البصري الذي كان يطحن أحياناً بمطاحن خاصة ثم يعبأ فى اكياس ويصدر للخارج وتبقى هذه العملية اكثر من سنة حيث تدر على الأهالي بالأرباح .



جسر بصري قديم

في الفـــترة المظلمة

الوقيـة الباذنجان والشجر بفلس وحقـة المشمش بفلسين !!

وسائط النقل على الخيل والحمير والابلام العشارية والنصارية !!

اسماء البواخر النهرية والبحرية التي كانت ترسو في شط العرب!!

طابع البريد من البصرة الى بومبي وقيمته سنة ١٨٦٣ م !!

العملة من البارة والمجيدي والباي وكيف كانت رسوم الكمرك !؟

متى اشترى المســافر ـ ١٥ ـ بيضة بعشرين فلساً !؟

ولما ضعفت الحكومة العثمانية سنة ١١٩٣ هـ تحول العراق الى (كولات) وهي مجموعة اقطاعيات يحكم كلا منها أمير ينصب من قبل الحكومة العثمانيـــة مقابل مقدار من المال يدفعه للحكومة بينما في الوقت نفسه اخذ رؤساء الكولات يؤجرون مقاطعاتهم للغير ففوضوا حاصلات البصرة الى مشايخ المنتفك كما فوضوا حاصلات العمارة الى البو محمد وبني لام مقابل مقدار من المال وفي هذه الاثناء عمت الفوضى وفقد الامان فكانت السفن النازلة من بغداد الى البصرة او الصاعدة بالعكس لا تسير الا بصورة قوافل يبلغ عدد القافلة احياناً المائة ومع ذلك كانت تقف في ثلاثة عشر موقف لتدفع (الخاوه) الضريبة للعشائر والا دمرت .

وكانت مجموعة هذه السفن تسمى (الكار) وهي تضم مجموعة من السفن الصغيرة السريعة التي تدعى (ماشوه) وجمعها ماشوات .

ومما يساعد على الفوضى مهاجمة كريم خان زند للبصرة وتناوب الولاة فكانت الحالة ان تنتقل في نوبتي واستيلاء المنتفك على البصرة واملاكها الى ان جاءت سنة ١٢٦٨ هـ حيث تمكن والي البصرة اسماعيل باشا من تخليص مقاطعات ابي الخصيب والفياضي وبوسفان ومهيجران ونهر خوز من ايدي المنتفك واعادتها الى اهلها الشرعيين الذين تعاونوا مع الحكومة واخذوا يدفعون الضرائب عن طيبة خاطر حتى اذا كانت سنة ١٢٨٦ هـ جاء البصرة الوالي منيب باشا الذي طبق نظام الجريب الذي ارتاح له الناس جميعاً . .

وكانت مقاطعات البصرة الجنوبية غنية بفواكهها ومخضراتها التي اشتهرت بالرخص كما كان التمر رخيصاً والحبوب والبقول كذلك .

فبيع الطماطة بالاقفاص فكان قفص الطماطة الذي يحتوي على ٣٠ حقة بصرية يباع بالجملة بربع مجيدي أي ٥٠ فلساً كما كانت تباع گونية (كيس) البامية والذي يحتوي على معدل ٥٠٠٠ اصبع بنصف مجيدي ١٠٠ فلساً ومما تجدر الاشارة اليه ان البامية تباع في البصرة بالعدد منذ زمن بعيد .

أما الشجر والباذنجان فتباع الوقية البصرية بخمس بارات أي اكثر من الفاس بقليل . . كما ان سعر العنب والتفاح والخوخ والمشمش والرمان الحقة بعشر بارات .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الغلاء الذي حدث في العراق سنة ١٢٠٢ هـ والذي سمي (القحط) او الذي دعي (قحط خسباك) لم يؤثر على رخص المعيشة في

في البصرة حيث بيع عثق الموز الذي يحتوي على معدل ٣٠٠ موزة بمجيدي ٢٠٠ فلساً مع لذة موز البصرة وطعمه والذي دعى العباس بن علي المكي صاحب كتاب نزهة الجليس وهو من رجال النصف الأول من القرن الثاني عشر أن يمتدح هذا الموز فقال فيه :

للموز احسان بلا ذنوب	ليس بمعدود ولا محسوب
يكاد من موقعه المحبوب	يدفعه البلع الى القلوب

وهكذا أثبت بأن البصرة عرفت الموز من نحو ثلاثة قرون مضت وليس كما يدعي يعقوب سركيس في كتابه مباحث عراقية بأن زراعة الموز حديثة جداً في البصرة .

* * *

وسائط النقل الداخلية :

وكان التنقل داخل المدينة بين الاسر والافراد واصحاب المصالح يجري بواسطة الدواب من حمير وبغال حيث تسرج بسروج جميلة ومزخرفة .

اما اصحاب الرتب العالية والموسرين فكان تنقلهم على الخيول التي كانت مجلبة المفاخرة فكانت على انواع وكانت الخيول العربية الاصيلة قد استقرت في البصرة .

ثم هناك حمير وبغال للاجرة الطويلة والشاملة سواء للتنقل والسفر او لنقل المحصولات والحاجيات والأحمال الثقيلة .

وكانت هناك ساحات (مسطحات) لوقوف هذه الدواب كما بنيت عدة اكشاك وصرائف وعرائش (صوباط) لاصحاب هذه الدواب ولربما احتاج

الشخص الى عدد كبير من هذه الدواب حتى تصبح احياناً على صورة قافلة يسير معها المكاري (مجاري) .

أما الأجور فكانت حسب المسافة والحمل ووعورة الطريق وأمنه وحسب الفصول من حيث الحر والبرد كما كان ينظر الى شكل الدابة وقوتها والرحل والسرج الموضوعان عليها .

ثم تدرج الوضع فاصبحت هناك عجلات ـ عربات ـ تجر قسما منها الدواب والقسم الآخر تجره الخيول التي كانت هي ايضاً على اصناف عديدة من حيث الجودة والاصالة حتى ان قسما من الخيول سرجت بالفضة والذهب وقسما من مساند العربات كان مزيناً بالذهب .

أما الحاصلات الزراعية فتنقل من المزارع والقرى الى الاسواق والمدن والمخازن او الى السفن والمراكب على ظهور الدواب وانواع رخيصة من الخيول والحصان المسمى (كديش) .

ولقد استحصل أحد اصحاب هذه الدواب سنة ١٩١٢م عوضاً عن تحميل تسعة حمير كل حمار كان يحمل ثلاث گواني من الحنطة من حمدان الى البصرة مجيدي ونصف ٣٠٠ فلساً علماً بأن قيمة الحمار الواحد كان عشرة مجيديات .

أما بعد سنة ١٩٠٩م حيث قص سليمان نظيف بك طريق بصرة ـ عشار فكان الشخص يدفع ٥ بارات أو بيزه واحدة عن اجرة حمار يمتطيه من احد محلات الاجرة في البصرة ثم في العشار يتسلمه منه شخص آخر . وكذلك كانت الواسطة الثانية لنقل الأثمار والحاصلات والأثقال والاشخاص هي السفن والابلام وكانت الابلام ـ القوارب ـ على نوعين : عشارية ونصاربة فكان البلم العشاري

يستخدم للسفرات والنزهة والتنقل القريب بينما كان النصاري يستخدم للحمولات والسفرات البعيدة .

وأما أهم ما كانت تنقله هـذه الابلام هو التمر حيث تقف السفن الكبيرة والمراكب لنقله الى الخارج والتمر البصري يتحدث عنه ابن بطوطة عند زيارتـه للبصرة سنة ٧٢٥ هـ فيقول انه شاهد في البصرة اربعة عشر رطلا عراقيا من التمر بيعت بدرهم واحد .

وكذلك كانت السفن المسماة (مهيلة) ثم تحولت الى (فلكة) وهي سفينة ذات ماكنة كانت هذه تنقل المسافرين كما جاءت مؤخراً الماطورات ـ زوارق بخارية ـ التي استخدمت اولا لمدير الشرطة ورجال الكمارك والوالي ثم اشترت من قبل المثرين وفي مقدمتهم السيد عبدالرحمن نقيب البصرة .

وكانت أجور السفر بالسفن الى بغداد غالية بالنسبة للحالة المعاشية وذلك نظراً للصعوبات والضرائب التي تدفعها السفن للعشائر فكان المسافر يدفع ليرة عثمانية لسفره في السفن الشراعية ثم تحول السفر الى المراكب البخارية فكانت الاجرة ليرة ونصف والى ان كانت سنة ١٩١٨ حيث صارت الاجرة في الدرجة الأولى ١٢ ربية والدرجة الثانية ٨ ربيات والثالثة ٥ ربيات كما كانت اجرة السفر بالدرجة الثالثة بالقطار من البصرة الى بغداد سنة ١٩٢٠ م ثلاثة عشر ربية وربع ثم انخفضت الاجرة الى ٤٠٠ فلساً سنة ١٩٤٠ ثم بعـد الحرب العظمى الثانية اصبحت الاجرة ٧١٠ فلساً وهي الى اليوم ثابتة .

* * *

بواخر النقل النهرية والبحرية

وكانت البواخر تقف هي والسفن امام ابي الخصيب ومهيجران وغيرها من قرى جنوب البصرة لتنقل الحاصلات الزراعية والحيوانية الى انحاء العالم وكان من اهم تلك البواخر تلك المسماة ـ ديالى ـ ديالة والتي كان اسمها قبل ان تشتريها الحكومة العثمانية ـ كوكرا ـ وقوتها ١٢٠ حصاناً .

ومعلوماتنا عن هذه الباخرة ان الحكومة ارسلت المهندس مسعود بك البلجكي الى الهند لشراء باخرة نهرية مع جنيبتين وقد رجع الى البصرة بتاريخ ٢٢ اذار سنة ١٨٧٠ م بعد أن اشترى الباخرة (كوكرا) مع جنيبتين بمبلغ خمس وستين الف روبية على أن تصل البصرة قريباً .

وبتاريخ ١٩ نيسان سنة ١٨٧٠ م وبينما كانت الباخرة (كوكرا) في فم الخليج العربي وهي في طريقها الى البصرة اصطدمت بصخرة بحرية كبيرة فتضررت فارسلت الحكومة العثمانية من البصرة الباخرة (فوكس) والتي سميت اخيراً (انور) لسحبها وفعلا سحبت كوكرا وصلحت في البصرة وانهي من تصليحها في ٢٢ نيسان سنة ١٨٧٠ م وقد سميت بعد ذلك ـ ديالى ـ ديالة .

وكذلك كانت هناك بواخر نهرية وبحرية ترسانتها في البصرة ومنها الباخرة نجد قوتها ٢٥٠ حصاناً والباخرة انور وقوتها ١٢٠ حصاناً والباخرة الموصل ٨٠ حصاناً والباخرة زبيدة ٧٠ حصانا والباخرة الرصافة ٦٠ حصانا والباخرة بغداد ٥٠ حصانا والباخرة مسكنة ٤٠ حصانا والباخرة تلعفر ٣٠ حصانا والباخرة البصرة ٢٥ حصانا .

وهناك بواخر نهرية باسماء زنوبة وحميدية ومجيدية ودجلة والفرات وفلتا

ويسميه العوام (فالتو) كما كانت تأتي من الهند كل من الباخرتين ـ دي منل ودامرا ـ وهما تحملان البريد الاسبوعي وفيهما محلات للسفر وهي على ثلاث درجات اولى وثانية وثالثة حيث بعض الركاب ينزلون على ظهر الباخرة او مخازنها ـ العنابير ـ حيث ان علاقة الهند خاصة (كراچي) عاصمة باكستان اليوم كانت دائمية مع البصرة نظراً لكثرة الزوار الذين كانوا يأتون لزيارة العتبات المقدسة في كربلاء والنجف الاشرف .

ثم هناك مركب الحدباء الذي كان بقوة خمسة حصن وهو يعمل مع المركب (الشهباء) والذي قوته سبعة حصن في تطهير وكشف نهري دجلة والفرات .

كما كان مركب الفيحاء الذي اشتراه السيد عبدالرحمن نقيب البصرة ووهبه للحكومة العثمانية .

ثم اشترت الحكومة مركباً كبيراً بقوة ٣٥٠ حصانا وسعته ١٧٠٠ طنا وفيه منام ٢٨٠ راكبا وكانت قيمته ٣٣٥٠٠ ليرة عثمانية وبات يعمل بين البصرة وقناة السويس التي تبعد عن البصرة ٣٣٢٢ ميلا وسمته ـ بابل ـ وكان يسير بين البصرة واستانبول مرة في كل ثلاثة اشهر ولقد كان له فضل كبير على نقل ابناء البصرة وطلابها ورجالاتها وتجارها ونوابها الى العاصمة ايام المناسبات خاصة وان الحكومة العثمانية وفرت فيه جميع اسباب الراحة وزادت في تصليحه حتى بلغ مقدار ما صرفته عليه ثمانين الف ليرة .

وبالحقيقة ان علاقة البصرة التجارية مع انحاء المعمورة لم تكن بحديثة العهد فلقد ذكر المسعودي ان تاجراً من سمرقند خرج بتجارة كبيرة متوجها الى البصرة حيث حل فيها واتفق مع تجارها وسافر بعد ذلك بطريق البحر الى عمان ثم الى

مدينة - كلاه - حيث تنتهي اليها مراكب المسلمين من البصريين والعمانيين والسيرافيين كما تنتهي اليها المراكب القادمة من الصين بينما كانت قبل ذلك البواخـــر الصينية تصل الى ثغور المسلمين كما كانت البواخر الاسلامية تصل ثغور الصين .

أما سبب هذه القطيعة وهذا التوتر انه في سنة ٨٧٨ م قامت ثورة - هوانغ شوا - المسلحة في الصين أدت الى هدم العاصمة - كنتون - وقتل عدد كبير من أفراد الجاليات الاجنبية بما فيهم التجار العرب وهـذا أدى الى توتر العلاقات ثم المفاصلة ولكن بعـــد زمن تم الاتفاق بين الجانبين على الالتقاء في - كلاه - الواقعة في شبه جزيرة الملايو .

وكانت في الصين جاليات اسلامية وعربية كبيرة كما كانت العاصمة كنتون تضم عدداً من المساجد الاسلامية وكان للمسلمين امتيازات خاصة وقضاة خاصين

أما بعد ذلك فقد اختيرت البصرة لتكون نقطة تجمع تجارة المسلمين ثم السفر منها على صورة قوافل بحرية والتوقف في - كلاه - حيث بقيت الصين بعد ثورة - هوانغ شوا - نحو ثمانين سنة في اضطرابات ومنازعات .

وبعد هذا توثقت العلاقات التجارية بين البصرة ومدن جزر سومطرة والهند وخاصة كلكتا وبومبي ثم كراچي مما ادى الى ان عدداً كبيراً من الهنود يسكنون البصرة بينما سكن الهند عدد كبير من العراقيين وصارت المراسلات التجارية بين الطرفين وكان للبريد فضل على هذه الاتصالات .

أما البريد : فكان هناك بريد خارجي منتظم بنقل عن طريق البصرة ويسمى بوسطة وكانت اهم البواخر البحرية التي تنقل هـــذا البريد هي الباخرة المسماة

(هيولندسي) التابعة لشركة الهند وكانت تعمل بانتظام بين البصرة والهند ولكنها تحطمت سنة ١٨٦٣ م في مدخل - لنجه - في الخليج العربي .

والباخرة هيولندسي هي التي افتتحت الخط البريدي البحري بين بومبي وقناة السويس .

أما اجور البريد فكانت غالية بالنسبة للحالة المعاشية في ذلك العهد حيث أن طابع البريد على الرسالة من البصرة الى بغداد ربع مجيدي ٥٠ فلساً كما كانت اجـرة البريد - الطابع - على الرسالة من البصرة الى الهند نصف مجيدي ١٠٠ فلساً واذا فرضنا ان الشخص كان يقدر ان يشتري في نصف مجيدي ١٠٠ بيضة دجاج وفرضنا ان معدل قيمة البيضة اليوم ١٥ فلساً تكون اجرة البريد بالنسبة للوقت الحاضر من البصرة الى الهند ١٥٠٠ فلساً .

وجاء في مذكرات احد كتاب البواخر في ذلك العهد وقد كتبها في ١٥ كانون الاول سنة سنة ١٨١١ م بانه بتاريخ ٨ رمضان سنة ١٢٢٦ هجرية وصل المركب (باكيت) من بومبي وفيه بريد لنا وهي عدة مكاتيب مسجلة ولكنه لم يذكر كيف كان يتم تسجيل المكاتيب وهل كانت هناك رسائل غير مسجلة ام لا ؟ .

ومما يلاحظ ان المركب المسمى -مناريس- هو الذي كان يحمل البريد المسجل

واذا كان البريد قد ساعد على توثيق العلاقات التجارية بين البصرة وانحاء المعمورة فان مد خط التلغراف من استانبول الى البصرة ماراً ببغداد سنة ١٨٦٠م سهل الاتصال اكثر من السابق .

ولقد عين لمسؤولية التلغراف في البصرة موظفون من الاتراك وكان كل شيء

تركيا الى أن عين - كالوني افندي - في ٢٧ آذار سنة ١٨٦٦ م بوظيفة رئيس موظفي التلغراف في البصرة فكان ان يدخل ابناء البصرة في هذه الوظيفة وأخذ يدربهم على الارسال والقبض فكانوا بعد ذلك نواة لاستلام هذه الوظائف .

ويقال ان برقية من خمسة عشر كلمة من البصرة الى استانبول سنة ١٩١٠ م كانت اجرتها ٢٥ قرشاً وهي باهضة بالنسبة للحالة المعاشية ايضاً خاصة بعد أن اصبح التجار البصريون على اتصال بتجار بغداد وتجار استانبول ودار الخلافة .

وكان للبريد والتلغراف مديرية - باش مديريت - وكانت تشمل على ولاية بغداد والبصرة والموصل ثم بعد ذلك اصبحت البصرة شبه مفصولة حيث زادت أهميتها فصارت لها دائرة خاصة .

ولقد كتب ميخائيل عبود في مذكراته عن البصرة سنة ١٨١٠ م يقول بان التتر قد اشتغلوا في وظائف البريد ولكن الحقيقة ان التتر كانوا يستخدمون في نقل البريد فقط وذلك لأنهم يتحملون المتاعب في نقله خاصة وان بعض البريد كان ينقل على ظهور الخيول والدواب في المحلات النائية والطرق غير المعبدة حتى سمي البريد الذي يأتي عن طريق الأناضول بالبريد التتر - بوسطة التتر - والتتر (هي البغال القوية) .

واردات البصرة :

وكانت تجمع من الضرائب التي تسمى (ويركو) كما كانت تجمع الاموال عن طريق البدلات العسكرية وخاصة من السكان غير المسلمين وذلك قبل صدور الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ م .

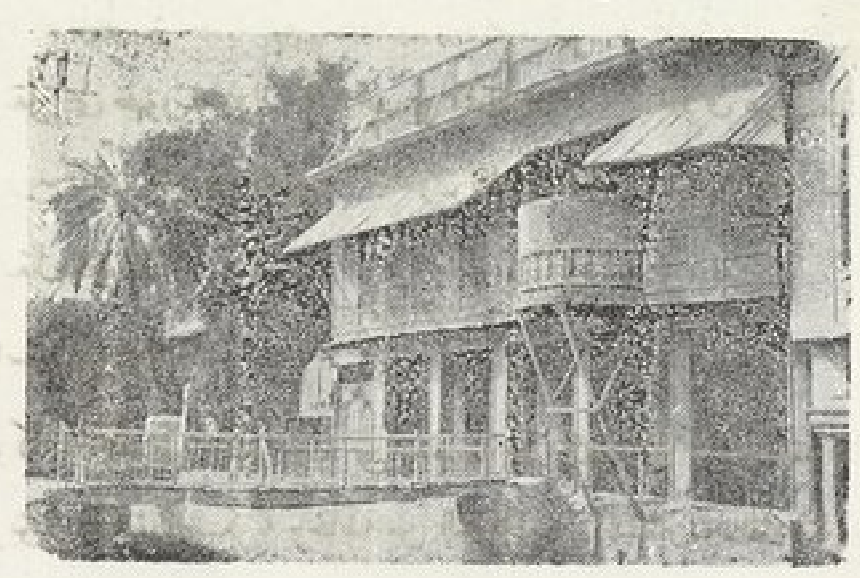
ثم هناك واردات الاوقاف التي استخدمت اخيراً في الصرف على المدارس

زيادة على ما كان يدفعه التلميذ من اجور الدراسة .

وعلى سبيل المثال نقول ان واردات البصرة سنة ١٨٩١ م كانت ١٠٤ آلاف قرش من رسوم الاغنـام واربعة ملايين ومائة وتسعة وعشرين الف قرش من حاصلات الأعشار ومائة وثلاثة وعشرين الف قرش من حاصلات متنوعة ومائة وثمانية آلاف قرش من رسوم متنوعة فيكون المجموع ٤٤٦٦٠٠٠ قرش .

وهذه الواردات ما عدا واردات البريد والتلغراف والكمارك التي بلغت ٢١٨٧٠٠٠ قرش كما كانت هناك رسوم للطابو والاملاك ورسوم المحاكم ورسوم متنوعة من ضرائب التبغ وكانت تسمى (رژي) .

وفي سنة ١٨٩٦ م بلغت واردات البصرة ١٩٠ الف ليرة أي اكثر من تسعة عشر مليون قرش كما كانت الواردات لسنة ١٩٠٤ م ١٧٠ الف ليرة وهذا النقصان سببته بعض الاضطرابات .



﴿ بيت بصري قديم ﴾

وكانت هناك رسوم كمارك تؤخذ على المرور (ترانسيت) أما الذين كانوا الواسطة في هـــذا المرور في البصرة فهم تجار من حلب ومن اشهرهم آل رزق وآل أصفر وآل عبود .

وكان هناك طريقاً بريا يربط حلب بالبصرة رأساً دون أن يمر ببغـــداد أو أي مدينة كبيرة ولقد سلكه الرحالة (ديلافاله) الذي سافر من البصرة في ٢٢ مايس سنة ١٦٢٥ م فوصل حلب في ٣٠ تموز من السنة نفسها .

كذلك تحدث الرحالة (بارسنس) الذي زار البصرة سنة ١٧٧٤ م فقال ان التجار الحلبيين في البصرة يجلبون اموالا اوربية عن طريق حلب ليبيعوا قسماً منها في العراق والباقي يحملونه بالبواخر الى الهنـد والصين وامارات الخليج التي كان التجار الحلبيون يشترون منها اللؤلؤ ويرسلونه الى تركيا واوربا وهكذا تحصل الحكومة على ضرائب الترانسيت .

وفي سنة ١٨٠١ م وصل سعر كيس القهوة ٣٠ ريالا مع ان سعر الشراء ٤٠ ريالا وذلك بسبب انقطاع مصر من شراء القهوة لأن اضطرابات حدثت فيها وتكدست كمية القهوة حيث كان مقدار كبير منها لا يزال من سنة ١٨٠٠ لم يصرف وعلى هذا قام التجار الحلبيون في البصرة بشراء القهوة والعمل على الدعاية لها وعرفوا كيف يصرفونها في سوريا ولبنان واليونان وباقي اوربا وهكذا تمكنوا من انقاذ التجار البصريين من افلاس محقق عمل الحلبيون وعملت حلب على ابعاده .

ولقد تحدث (ناصر خسرو) عن زيارته لحلب سنة ٤٣٨ هـ وكان حاكمها ـ معز الدولة من بني مرداس ـ فقال ان حلب تتمتع بيسار ورخاء اذ تلتقي عندها

طرق التجارة الشامية والرومية والعراقية والمصرية .

كذلك تحدث عن حلب الطبيب العراقي البغـــدادي (ابن بطلان) وهو مسيحي رحل من بغداد سنة ٤٤٠ هـ ـ ١٠٩٤ م فزار حلب واللاذقية وانطاكية والفسطاط فقال انه شاهد في حلب عشرين دكانا لوكلاء بيع يبيعون فيها كل يوم متاعا قدره ٢٠٠٠٠ دينار مستمر ذلك منذ عشرين سنة والى اليوم .

وقال (ابن جبير)عن حلب في رحلته بان موضوعها ضخم واسواقها واسعة والزائر يخرج من سماط صنعة ـ مصنع ـ الى سماط صنعة اخرى وهكذا كما فيها من التجار والتجارة شيء عظيم .

أما عن واردات الكمارك :

فان نظام الكمارك في العراق يرجع عهده الى الحـكم العثماني في النصف الثاني من القرن العاشر للهجرة حيث وردت في بعض الفرامين العثمانيـــة وكذلك فى الفرمان الذي اصدره السلطان ســـليمان القانوني بتاريخ ٦ محرم سنة ٩٣٥ هـ ـ ١٥٢٨م بالموافقة على المعاهدة الكركية التي وقعت بين قنصل فرنسا في الاسكندرية وحكومة المماليك فى مصر والتي كانت تمثل السلطة العثمانية وعلى ذلك فان العراق بعد أن دخل في الحكم العثماني عرف نظام الكمارك .

ولفظة الـكمرك لاتينية الاصل (كوميرجيوم) ومتكونة من كلمتين وتعطي بالعربية معنى (مع البضاعة) وعند صياغتها حسب اللغـة تقصد مبادلة التجارة ، ثم اخذها الايطاليون وحرفوها الى (كوميركو) واخيراً اصبحت حسب الاصطلاح التركي كمرك .

وكانت هناك نظارة عامة للكمارك في العراق كما هناك مديرية عامة في البصرة

وكان اشهر نظارها الحازمين (صالح افندي خزنة كاتبي) وذلك سنة ١٨١٤م وهو الذي بمساعدته وبجهوده بنى كمرك البصرة الواقع على ضفاف شط العرب وعلى صدر نهر العشار حيث شيدت معه عدة مخازن لحفظ الاموال وكان هذا الكمرك قد تعرض للنهب وذلك بعد انسحاب العثمانيين من البصرة في الحرب العظمى الاولى وكان نهبه في ٢٠ تشرين ثاني سنة ١٩١٤ م ٣٠ ذي الحجة ١٣٣٣ هـ .

وكانت الاوامر تصدر الى كمرك البصرة من بغداد حتى جاء فى مذكرات الكاتب (ميخائيل يوسف عبود) انه بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٨١١ صدر أمر من والي بغداد (عبدالله باشا) الى والي البصرة (ابراهيم اغا) بزيادة فئات الكمرك حسب متطلبات الوقت .

وفى الحقيقة ان الكمرك كان فى البصرة كما قال المستر (لونكريك) في كتابه اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: رسومه خمسة بالمائة ولكن كان بالامكان التسامح من الكمرك او من الامير بحيث يصبح الرسم اربعة بالمائة او اقل .

ثم بينما كان الرسم على التمر ثلاثة بالمائة رسمياً فان الكمارك تأخذ اثنين بالمائة وتسمح لكمية كبيرة ان تصرف بدون رسم مقابل رشوات خاصة .

واذا اردنا ان نجمع كل هذه الواردات التي ذكرناها نرجع الى قول مستر (لونكريك) فهو يقول ان امير البصرة كان حسن التدبير حاذقاً بحيث كان يوفر ثلاثة ملايين ليرة فى السنة .

* * *

بعض انواع العملة فى البصرة :

كانت المعاملات مع الاجانب تدفع ذهباً ونقدها (الليرة) التي كانت تدعى

مرة حميدية ومرة عثمانية حسب السكة والصنع وكان المجيدي يساوي عشرين قرشاً والليرة تساوي خمسة مجيديات .

وهذه القيمة لليرة فى زيادة ونقصان فبينما كانت الحكومة تنظر الى قيمة النقد بمنظارها الخاص كان الشعب وفي مقدمتهم التجار والصيارفة والباعة ينظرون اليه بمنظار آخر حتى سميت اقساماً من الليرات بالمغشوشة باعتبار وجود مادة كبيرة وغريبة في جوهر الصنع وعلى هذا الاساس اصبحت الليرة تساوي مائة واربعين قرشاً والى ان جاءت سنة ١٩٠٩م صارت قيمة الليرة مائة وقرشين واربع وعشرين بارة وهذه الأربع والعشرين بارة تساوي ستين بالمائة من القرش .

وكان الصيارفة يرمزون الى القرش العادي الرائج أما القرش الذي يتفقون على ثباته فيرمز اليه بالقرش الصاغ .

أما في البصرة فالقرش العادي الرائج كان يدعى (متليك) او متاليك وهو مأخوذ من لفظ افرنجي ـ متلك ـ ومعناه معدني .

وكذلك استعملت البصرة المتليك بعد الحرب العظمى الاولى فكان يعادل بيزتين من العملة الهندية علماً بان البيزة هي جزء من اربع وستين جزء من الروبية وعلى ذلك يكون المتليك جزء من اثنين وثلاثين جزء من الروبية .

ولما كانت الروبية تساوي ٧٥ فلساً من عملتنا الحاضرة وهي تساوي ٦٤ بيزة فعلى ذلك تكون قيمة المتليك تساوي فلسين وحوالي خمسة وثلاثين بالمائة من الفلس

أما وحدة العملة في البصرة فكانت المجيدي فكان الشخص يقول بكذا مجيدي اشتريت وبكذا مجيدي بعت كما وكان المجيدي قياس رواتب الموظفين وخاصة منهم الصغار .

وللمجيدي اجزاء منها النصف والربع كما كانت هناك عملة تدعى (قران) وتساوي ثمانية قروش ونصف قران وتساوي اربع قروش وعملة من ذات القرانين وتسمى ـ منگنه ـ .

وكان القران على نوعين فهناك قران قد سك وهو على شكل دائرة منتظمة ويسمى قران چرخ كما وهناك قران غير منتظم الاستدارة ويسمى قران ابودبيلة

ثم بالحقيقة ان النقد الايراني كان رائجاً فى البصرة نظراً لقرب ايران ولقوة العلاقات التجارية والاحتكاك الشخصي والمصاهرات وغيرهـا فكانت (الشاهية) الايرانيـة التي سماها اهل البصرة فلساً كما كانت هناك الشاهيتين والمسماة فلسين وعملة ذات ثلاث شاهيات وقيمتها قرش رائج .

وكان يستعمل القمري الايراني الذي كان فى زيادة ونقصان وسمي بالقمري لأن على أحد وجهيه ضرب هلال وكانت قيمته خمسة قروش ولذا سمي (بيشلغ) أى ذات الخمسة .

وهناك الشامي ويسمونه في غير البصرة بالقرش الرومي وكانت البصرة تتعامل به في تجارة التمور فقط وكان قد فقد من الاسواق والايدى ولكنه كان عملة تتداولها الالسن والاقلام وتباع بها التمور وتشترى دون وجود للشامي .

وبدأت العملة الهندية تدخل البصرة منذ عهد قديم فان (بهادر شاه) حاكم منطقة كجرات الهندية وهو مسلم كان قد طلب الحماية العثمانية المسلمة ضد البرتغاليين وذلك سنة ٩٤٣ هـ ثم زادت علاقة الحكومة العثمانية بالهند بعد ارسال الاستانة قوة بحرية ومعدات عثمانية لمساعدة بهادرشاه وبدأت العملة التركية تدخل اسواق الهند بينما انتشرت العملة الهندية فى البصرة .

وكذلك زادت العملة الهندية في ايدى البصريين بعد ان فتحت شركة الهند الشرقية فرعا لها في البصرة وهي شركة هولندية وذلك سنة ١٦١٠م وكانت تتعامل بكلا العملتين الهندية والتركية .

أما الوحدة الاساسية للعملة في الهند فهي (الروبية) وكانت هناك عملة لنصف روبية وربع روبية وتدعى قران ثم نصف قران ثم (آنة) وهي ربع قران كما وهناك البيزة واخيراً (الباى) وهي جزء من ثلاثة اجزاء من البيزة .

ومن مضاعفات الروبية كانت العملة من ورق فمنها الورقة ذات الروبيتين والعملة ذات الخمس روبيات والعشر روبيات والمائة روبية .

أما اعراب المنطقة الجنوبية من العراق فكانت كل معاملاتهم بالقران ويتحدث النبهاني عن رحلته من البصرة الى بغداد بالباخرة (زنوبة) فيقول انه تحرك من العشار يوم ٢٩ محرم سنة ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٤ م ولما وصلت الباخرة القرنة وقفت ونزل الركاب فاشتروا كل ١٥ بيضة بقيمة قران واحد كما اشتروا دجاجة كبيرة بقران .

والمعروف ان الاعراب هؤلاء باعوا البيض والدجاج بثمن غال بالنسبة للوقت وباعتبار ان الحاجيات في المحطات ومحلات استراحة المسافرين تباع باغلى من ثمنها العادى .

هذا والقران الهندي يعادل عشرين فلساً من عملتنا الحاضرة ، وعسى أن يعود الرخص والرخاء الى ربوع وطننا الحبيب لتقضي على الجوع والفقر ونرفل في أثواب السعادة والرفاه . .

البصرة في ٤٠٠ سنة

صفحات من الفترة المظلمة ..

البصرة تقاوم الطاعون والقحط والجراد والثلوج ..

ابو ذويل اكبر مذنب يظهر في سماء البصرة وهو على شكل سيف . !

متى عرفت البصرة التطعيم بالثوم وان التمر لا يحمل مكروب الطاعون ..

أول جمعيات تعاونية وفلاحية تأسست في البصرة .. !

متى صدر أول نظام طابو ونظام أراضي وهل طبقا حرفياً في البصرة ؟!

أول انتخاب يجري لمختاري البصرة مع نموذج لبرقية قاضي الشطرة ..

لو كانت البصرة غير هذه البصرة الاصيلة الشامخة لما تمكنت من الوقوف في وجه الزمن مثل هذا الموقف الكريم وهي الحاضرة الاسلامية التي اصيبت بالكوارث اكثر مما اصاب أي مدينة اخرى .

فلقد ابتلت البصرة بالمشاحنات الداخلية والخارجية كما ابتلت بالطواعين والقحط والجراد وغيرها من الفيضانات والامطار وماء الموح والمحل ، وهـذه نماذج مما حل في البصرة في أيام الفترة المظلمة . .

ففي الغلاء الذي اصاب بغداد في بدء سنة ١٠٣٢ هـ ١٦٢٢ م والذي ازداد فصار قحطاً لم ينل البصرة من هذا الضيق شيء كثير .

فلقد ضرب شاه عباس الايراني الحصار على بغداد وأخذ قائد بغداد بكر صوباشي بالدفاع ولما طال أمد هذا الدفاع فقدت المواد الغذائية من المدينة الى درجة الانعدام حتى تذكر بعض المصادر التأريخية ومنها تاريخ العراق بين احتلالين ان الامهات فى بغـــداد وصلن الى درجة اكل ابنائهن وبناتهن كما بلغت قيمة الحمار الف أقجه . .

وكانت بغداد قد أصابها القحط قبل سنتين من هذا التاريخ ايضاً في سنة ١٦٢١ م ـ ١٠٣١هـ لم تنزل الامطار وحدثت الفوضى بين الفرس والعثمانيين وبين الجند الترك انفسهم فصار الجوع شعار الجميع .

أما في البصرة فلم تكن الأزمة كما هي عليه في بغداد فلقد كان الحكم بيد افراسياب الذى وقف في وجه الغزو الايراني كما تمكن من تنظيم حالة معيشة الناس فسجل الاهلين في سجلات خاصة ثم سجل البيوت والانفس حسب الاعمار ورتب المراقبين والحراس وشغل الناس اجباريا في الزراعة وحفر الترع والسقي ونظم الجماعات الزراعية ليتعاونوا في غرس الاشجار وزراعة الخضر ومكافحة الاحتكار وكانت هذه اول جمعيات تعاونية زراعية تعرفها البصرة وبذلك قضي على وباء الجوع .

وحتى في حصار قائد العجم (امام قولي خان) للبصرة سنة ١٦٢٦ م ١٠٣٦هـ فان علي باشا افراسياب صمد في وجه العجم بينما كان من الجهة الثانية لا ينسى الحالة المعاشية حتى اذا ما عجز العجم عن فتح البصرة ورجعوا منهزمين استولى البصريون على خيامهم ومؤنهم فاستفادوا منها وشكلت لجان لتوزيع الغنائم على الأهالي . .

وفي اليوم الثالث من شعبان سنة ١٦٣٥ م ـ ١٠٤٥ هـ اجتاح العراق وباء الطاعون وكان من اهم اسبابه الجوع وكثرة الحروب وتعفن الموتى وانتشار المزابل والجيف حتى ذكر صاحب كتاب (تاريخ الغرابي) ان بعض الموتى في بغداد جروا من أرجلهم ورمي بهم في دجلة . .

أما في البصرة فلم يبق من يدفن الموتى كما أعقب هذا الوباء غلاء فاحش فانقرضت عائلات وزال أفراد من الوجود وقد اغلقت الحوانيت والاسواق وتجمع الناس في المساجد ومحلات العبادة يدعون الله الى أن يفرج عنهم وقد عاش الناس اياماً بلا طعام .

وتذكر بعض المصادر ان هذا الغلاء دام الى يوم عرفة وقال اخرون انه دام خمس وخمسين يوماً عوضه الاهالي بخمس وخمسين سنة فكانوا يقولون ٥٥ سنة من الجوع .

ويقول صاحب تاريخ الغرابي ان قربة الماء بيعت بـ ٥ عباسيات في بغداد لانعدام الماء بسبب انعدام السقائين ـ والعباسية نقد ايراني يساوي ثلاثة ارباع المثقال ـ . ويقال ان الفقراء بعد انتهاء الازمة اصابهم بعض الثراء نظراً لانعدام اسر من الوجود مع عدم وجود وارث لهذه الاسر . .

وكان في البصرة قد خرج الأهالي الى خارج المدينة مستقبلين القبلة للصلاة والدعاء وقد سميت تلك المنطقة التي تجمعوا فيها بمحلة القبلة كما بني فيها مسجد سمي بمسجد القبلة .

وقد سمع الله دعاء البصريين فكانت غلال السنة القادمة وحاصلاتها كثيرة حتى عوض الله المتضررين عن ضررهم فكانت سنة ١٦٣٦ م ـ ١٠٤٦ هـ سنة

خير وبركة .

وكذلك شاهد اهالي البصرة سنة ١٦٨٢ م ـ ١٠٩٣ هـ مذنباً نورانياً في كبد السماء وكان على شكل سيف وقد بقي نحو من اسبوع كان في كل يوم في تناقص حتى اضمحل وقد سماه البصريون (ابو ذويل) وفي الحقيقة انه كان من نوع النجوم المعروفة بـ (هالي) .

ولقد ظهرت المذنبات في سماء البصرة عدة مرات ولكنها لم تبلغ ما بلغه هذا المذنب الذي ذهبت فيـــه الاقاويل وبنى البصريون عليه حكمهم الزمني والمعاشي والصحي والديني .

وكان والي البصرة سلحدار حسين باشا قـد اعفي من منصبه لظلمه ثم في هذه السنة اعيد للحكم مرة ثانية فكانت اقوال الناس بان هـذا السيف السماوي بمثابة انذار للوالي وحتى قال البعض ان هذا سيف (ذو الفقار) سلطه الله على اعدائه وان الساعة لآتية لا ريب فيها .

وفي سنة ١٦٨٧ م ـ ١٠٩٩ هـ حدث غلاء في الموصل سمي بالغلاء الكبير كما اعقبه في السنة الثانية غلاء في بغـداد صحبه طاعون سمي (طاعون ابو طبر) ثم سرى الى الجنوب فاصاب البصرة التي قيل ان الاحياء من سكانها كانوا لا يقدرون على دفن موتاهم بل تركت الموتى في محلاتها ..

ولقد دمر هذا الطاعون اكثر من مائة الف من سكان بغداد وستين الف من البصرة ودام لمدة ثلاثة اشهر وكانت نهايته في غرة شوال من سنة ١١٠٠ هـ .

ومن جرائه اصيبت المناطق الكردية بالجفاف فهاجر الاكراد الى بغـــداد والى جنوب العراق وسكنوا البصرة وقد تغيرت ملامح جمالهم الى اصفرار وقد

تزوج البصريون بكثير من الفتيات الكرديات الجميلات بصداق بسيط وكان ذلك ولاول مرة يتزوج الشباب البصري بالكرديات .

ثم بدأت الهجرة الكردية تزداد للبصرة وقد سكن الاكراد في العشار وفي منطقة سميت اولا بمحلة الاكراد ولكن استبدل اسم المحلة اخيراً الى محلة الجبل وذلك نظراً لارتفاع ارضها ولكون قاطنيها من الجبليين .

وبعد ثلاث سنين عاد الطاعون والقحط الى بغداد في سنة ١٦٩٠ م ١١٠٢هـ قيل ان في بغداد كان يموت يومياً ١٠٠٠ شخص ودام الامر لمدة ثلاثة اشهر ثم سرى الى البصرة وكان واليها احمد باشا ال عثمان الذي اخذ يزيد من الرسومات على الأهليين ليسدد نفقات الحكومة حيث هرب عدد كبير من الناس وبقيت اكثر المحلات خالية حتى يقال انه احصي في محلة جسر العبيد بالبصرة فوجد ان ١٨٥ بيت خالي من مجموع ٢٥٠ بيت .

وعلى اثر ذلك توقفت الاعمال والزراعة لعدم وجود ايدي عاملة وفقدت الحاجيات من الاسواق حتى بيع كيس الحنطة بمجيديين ٤٠٠ فلساً كما بيع رأس الغنم بمجيديين ايضاً .

وكان الله في عون اهل البصرة حينما جاء ثمر النخل في هذه السنة بضعفين او اكثر من السنة السابقة حتى قيل ان بعض النخيل أثمرت ما وزنه ثلاثة امنان كما وان الاعجب من ذلك ان بعض النخيل لم تلقح ومع ذلك اثمرت ثمراً طيباً .

وكانت البصرة قد عاشت في تلك السنة في قحط وطاعون ولم يأكل الناس غير التمر الذي عوضهم الله في السنة الثانية ثمراً كثيراً بدلا عنه فباعت منه كميات كبيرة وخاصة الى البدو الذين دخلوا البصرة للاكتيال فتبادلوا في السلع فكان

فكان ان يحصل البصريون على الدهن واللبن واللبن واللحوم والوبر ايضاً .

وعرفت البصرة شتاء بارداً سنة ١٧٠٥ م ـ ١١١٧ هـ مع رياح واعاصير شديدة ثم هطول امطار غزيرة مع سقوط البرد لمدة ست ساعات متتالية ثم توقف ليسقط بعده ـ الوفر ـ الذي بلـغ ارتفاعه شبرين او كما قال بعضهم كان ارتفاعه ذراعين . .

ودام تساقط الثلج خمسة عشر يوماً جعل معظم اشجار الفاكهـة تتساقط كما ماتت الخضرات وسقطت الاوراق حتى سقطت النخيل وصار بعضها خشبا وكان سقوط هذا الثلج في ٨ رمضان وذكر بعضهم انه ظهر في ٨ شوال ولكن الاتفاق تام على مدة سقوطه . .

وأدى سقوط الثلج الى سقوط بعض الدور وتضرر الأهليين وكان الشيخ مغامس قد احتل البصرة قبل سـنة وحسن الجو مع الهولنديين الذين نقلوا الى البصرة كميات كبيرة من الاخشاب والفحم كما ساهمت كنيسة الـكرمليين في البصرة في اسعاف المنكوبين فوزعت عليهم الاقمشة والمواد العينية والنقود وكان الشيخ مغامس في معاهدته مع الهولنديين قد تعهد بحماية كنيسة الكرمليين في البصرة

وفي سنة ١٧١٣ م ـ ١١٢٥ هـ اجتاحت البصرة موجات كبيرة من الجراد النجدي قيل ان صحارى البصرة ومزارعها وطرقاتها كانت مملوءة بها كما وان سطوح المنازل وحتى الغرف كانت مملوءة بالجراد ايضاً فكان الشخص لا يقدر ان يمشي خطوة واحدة دون أن يسحق على جرادة .

وبالرغم من محاربة الناس لهذا الجراد وتجنيد انفسهم لقتله ليلا ونهاراً فقد أضر بالزرع نظراً لـكثرته وقد دام وجوده مدة اسبوعين ثم جاءت عاصفة قوية

جداً فشتت شمله و نقلته الى محلات اخرى وقد دامت هذه العاصفة ست ساعات و كان البصريون يتمنون لو انها دامت اكثر فلقد عاد الجراد بعد ثلاثة ايام فحجب نور الشمس ثم اخذ يقضم ويقرض كل شيء في طريقه حتى ابواب البيوت .

وعلى اثر هجوم الجراد حدث غلاء في اسعار الحاجيات حتى ذكر العزاوي ج ٥ من العراق بين احتلالين ان سعر وزنة الحنطة بلغ سبعة دراهم .

و كان والي البصرة عثمان باشا وزيراً قد احتاط للامر فكبس المخازن واستولى على الحاجيات ونظم أمور العيشة فلم يدع الغلاء يزداد بل قبره في مهده حتى ان والي بغداد لما سمع بعمل والي البصرة سار على خطته فاخــذ يبيع وزنة الحنطة بخمسة دراهم بدلا من السبعة .

ثم جاءت سنة ١٧٧٤ م ١١٨٨ هـ وجاء وباء الطاعون المسمى (ابو چفچير) الذي فيه توفي عدد كبير من رجالات البصرة منهم الشيخ احمد باش اعيان صاحب كتاب الطائف السنية في شرح المقامات الحريرية .

وقيل انه سمي بهذا الاسم لأن صاحبه كان يشعر و كان شخص يحاول ان يقلب احشاءه كما يقلب الأرز بالقدر . كما وان اخرون قالوا ان صاحبه كانت تظهر على جسمه بقع تشبه الچفچير .

و كان والي البصرة سليمان بك ابو سعيد الملقب بالكبير قــد احتاط للامر وعمل بنفسه على عزل المناطق الموبوءة وعرض حياته للموت في سبيل حصر المرض و كان هذا الوالي هو أول من اظهر فكرة مقاومة الطاعون باكل الثوم فلقد طرحت الحكومة كميات كبيرة من الثوم وانها شكلت لجاناً ومعها الجندرمة ـ الشرطة ـ لتطعيم الاهالي اجباريا باكلهم الثوم الطازج ـ الني ـ لمقاومــة

الامراض وقد نجحت طريقته.

كما وان هذا الوالي اول من اكتشف ان التمر لا يحمل مرض الطاعون وان المادة السكرية التي في التمرة تقتل مكروبه.

وكانت الحوادث الجسام التي مرت بالعراق جعلت منه ميداناً للخصام والفوضى حتى اذا ما جاءت سنة ١٧٨٧ - م ١٢٠٢ هـ واذا بالقطر من شماله الى جنوبه يئن تحت وطأة الجوع الذي سمي باسم خصباك وسمي القحط الذي رافقه بقحط خصباك وبالرغم من ان البصرة كانت اقل تعرضاً لهذا الجـــوع من باقي انحاء العراق فان اسم خصباك اصبح علما فكان الشخص اذا أراد ان يدعي على شخص آخر قال له - عساك بخصباك - او حسب اللغـــة العامية وعند اهالي الاهوار - تخصبكت -.

ورافقه مرض سمي بمرض خصباك وهو اصفرار في الوجه مع ضعف عام في البنية حتى بات بعض الناس لا يقدرون على السير في الطرقات.

وكان الشيخ ثويني قد احتل البصرة وعمل على القضاء على هـذا الجوع وبالرغم من ان احتلاله لم يدم طويلا فقد نظم التموين وقضى على الاحتكار فكان كل محتكر يشنق حتى شنق من المحتكرين ثلاثين شخصاً ثم اصبحت المدينة في أمان من شرهم.

وكذلك ضرب حصاراً حكومياً على محلات المرض ثم عزل المرضى في مخيمات خاصة وتفاوض مع الممثل السياسي الفرنسي فقدمت بعثة صحية فرنسية عملت على اسعاف الاهلين وكان هو قبل ذلك قد حسن العلاقات التجارية مع الدول الأجنبية فتخلصت البلدة من شر الجوع.

وبعد ربع قرن من هذا الوباء حل في البصرة مرض (النزول) وقد ابتدأ من أول شهر تموز سنة ١٨١٣ م - ١٢٢٨ هـ ثم اخذ يزداد حتى بلغ قوته في آب وكانت الحميات تأتي الشخص ثم يصاب بمرض النزول الذي هو عبارة عن نقطة سوداء وبقع تشبه - الدمامل - يصاب بها صاحبها سريعاً حتى يصير جسمه مثل العلاف ثم تشخص عيناه وتنقطع عنه حاسة السمع ثم تستك اسنانه ويموت .

وقد كتب احدهم في مذكراته ان من جملة الموتى في البصرة كان السيد شعبان وهو من اعيان البصرة كما توفي يوسف اصفر وكان قد تمرض في ٢٤ تموز ثم اخذ الدم ينزف من بطنه وقد عالجه عدة اطباء ولكنه اخذ بالازدياد الى أن كان يوم ٣١ تموز حيث تغيرت ملامحه ثم مات .

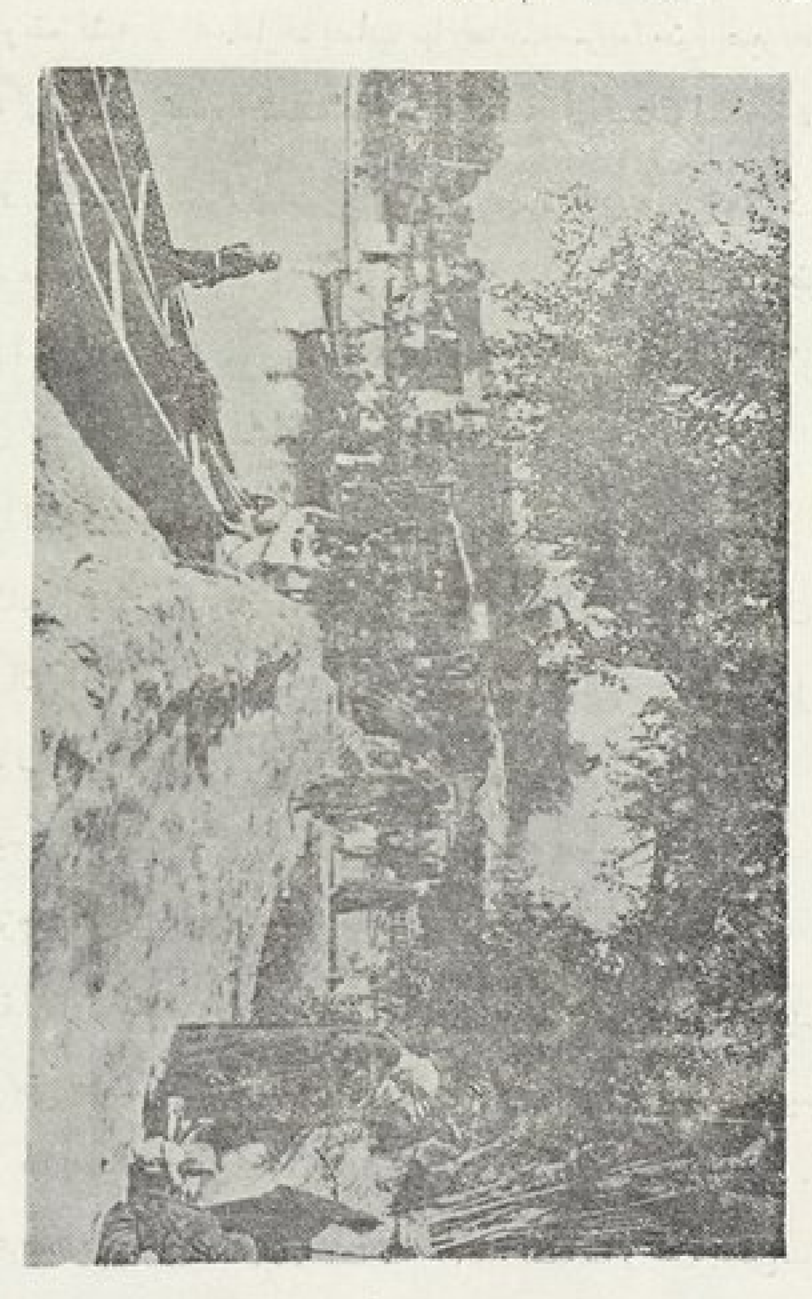
كذلك مات احد القصاد الرسوليين واسمه - بدروس - وكان قد رجع من (كابل) فمات يوم ٢٠ تموز وكان قد مات له ولد وهو لا يزال على ظهر السفينة التي اقلته الى البصرة وقبل ان ينزل الى الشاطيء دفنه على ساحل شط العرب .

ويذكر صاحب المذكرات ان خادمهم الأرمني واسمه - كيورك - اصابته نقطة النزول فافقدته الوعي واخذ الدم يسيل من فمه ثم مات .

ويقال ان هذا المرض امتد الى نهاية شهر ايلول حتى لم يبق اي بيت بدون مفقود وحتى هرب أكثر الناس تاركين عقاراتهم ولوازمهم التي بقيت بدون أن يهتم لها أحد .

وتجرعت البصرة الطاعون سنة ١٨٢٠ م - ١٢٣٦ هـ وكان يسمى - الوباء - وقد ذكرته بعض المصادر على انه كان من اعظم الطواعين التي حلت بالبصرة

حتى قال ابن سند فى كتابه (مطالع السعود) بان كثيراً من البيوت مات أهلها جميعاً وقفلت بالضبة - مفتاح خشبي - يستعمل لفتح قفل خشبي حيث تكون للمفتاح أسنان بواسطتها يتم فتح الباب وغلقه .



﴿ البصرة سنة ١٩١٤ م محل أسد بابل اليوم ﴾

وقيل ان والي البصرة محمد كاظم اغا تعرض للموت حيث كان يشرف بنفسه على عملية حصر المصابين وقد نجاه الله فرمم المسجد المعروف بمسجد عزيز اغا ولكن بعد ذلك عرف باسمه .

وقد فر الناس بالبوادي وكانت الموتى بالطرقات دون ان يهتم لهم احـــد وكان الوالي قد أمر بابعاد الجثث عن شوارع المدينة ولكن الناس كانوا يتهربون من عملية نقل الأموات .

وكانت من علامات صاحب هذا الوباء انه لا يبول فاذا بال نجى كما وان علاماته القيء والاسهال المفرط وصاحبه تعتريه حرارة شديدة حتى كان المصابون يرمون بانفسهم في المياه . .

ودامت مدة هذا الطاعون ثلاثين يوماً من نهاية شوال الى نهاية ذي القعدة من السنة نفسها ولـكن الايام العشر الاولى منه كانت شديدة جداً وقـــد سماه بعض البصريين ـ بالهواء الاصفر ـ .

ويظهر ان هذا الوباء اخاف الناس ولو لمدة فرجعوا الى الله وتمسكوا بالدين فكثر المصلون واقيمت الشعائر ومع ان الذهاب الى بيت الله كان مفروضاً ولكن البعض تركه فان السنة التالية عرفت حجاجا كثيرين نساء ورجالا من أهل البصرة . .

وبعد عشر سنوات من هـــذا التاريخ حل في البصرة الطاعون الجارف فكانت سنة ١٨٣٠م ـ ١٢٤٧هـ من السنين التي تعرضت لعلماء البصرة ورجالاتها فقد توفي الشيخ حسين بن احمد بن محمد الدوسري الناسك الشافعي وتوفي العالمان عبد الله وعبدالوهاب ولدا الشيخ عثمان بن سند كما توفي الشيخ الواعظ حسين

ابن علي بن بدران الشافعي .

وكان والي البصرة عزيز اغا قد أعفي من منصبه وعين لها السيد محمد افندي الذي لم يتمكن من محاصرة المرض كما وانه لم يهتم لحالة المصابين حتى ضج الناس منه فاعفي من منصبه بعد مدة قصيرة .

وقد امتد هذا الطاعون الى قرى البصرة الجنوبية كما امتد الى منطقة الاهواز وقد فتك باهالي تلك المناطق وكان شيخ المحمرة جابر بن مرداو قد استولى على أموال الموتى الذين هم بلا وارث فوزعها على المحتاجين من أهل المحمرة كما وانه اخذ يوزع الرواتب على المعوزين والذين بقوا بدون معيل خاصة وان منطقة الاهواز والبصرة نظراً للكساد وهروب الناس واختفاء الاحياء في دورهم ومحلاتهم خوف العدوى فقد أصيبت هذه المناطق بالغلاء وفقدان المواد المعاشية فكان والي البصرة الجديد درويش اغا من الرجال الحازمين ولذا فانه اخرج جميع المصابين من المدينة واخذ يراقب النظافة ويتجول في الطرقات ويعطي الارشادات الصحية ويضرب الحصار على أي عائلة يصاب منها فرد ثم يأمر بحرق جميع اثاث البيت ولربما كان احياناً يأمر بحرق البيت كله حتى زال هذا الوباء الذي سمي - ابو ريبة - كما وانه دام لمدة طويلة ولذا سماه الناس بالطاعون الكبير .

ولقد أدى هذا الغلاء الى أن يبقى الشيخ مرداو أمير المحمرة ولمدة ستة اشهر يطعم الناس من امواله الخاصة ويتفقد الجياع ويذهب الى بيوت الأرامل فكان أن يسير على خطتـه والي البصرة درويش أغا ولكنه لم يصل الى درجة الشيـخ مرداو . .

وكانت سنة ١٨٤٧ م - ١٢٦٤ هـ من السنين العجاف على العراق حيث

ندرت الغلال وحتى يقال ان هناك العدد الكبير من العراق من باع اولاده زيادة على بيعه لجميع حاجياته .

وأرادت الحكومة العثمانية ان تغتنم فرصة هذا الاملاق فاسست فيلقا عسكريا باسم ـ فيلق العراق والحجاز ـ وجعلت مشيره عبدي باشا واضطر عـدد كبير من أبناء بغداد والموصل وغيرهما من الانضمام لهـذا الجيش أما أهل البصرة فلم ينضم منهم سوى ١٣٠ نفراً مما جعل الحـكومة العثمانية في السنة الثانية ١٨٤٨ م ١٢٦٥ هـ تبني معملا لتصليح الأسطول في البصرة وأرسلت (بيريك بك) وهو من كبار رجالات البحرية العثمانية للاشراف على العمل وتسجيل المتطوعين البحريين فكان ان ينضم الشباب البصري للقوة البحرية .

ولقد تحدت البصرة هذا القحط نظراً لوفرة حاصلاتها واخلاص الفلاحين والعمال في العمل وتعاون الجميع على مقاومة الاوباء الفتاكة من قحط وجراد ومرض

وأنا شخصياً قبل اربعين سـنة شاهدت صخرة كبيرة في مقبرة محمد جواد ـ في محلة جسر العبيد ـ وقد حفرت عليها عبارة (اشترينا كيس الحنطة بمجيديين وما بعنا اولادنا ولا طلقنا نساءنا) .

وحدث في العراق القحط سنة ١٨٥٨ م ـ ١٢٧٥ هـ وقـد سجل احدهم في مذكراته ان أشجار الفواكه في هذه السنة لم تثمر وكان شتاء السنة شديد البرودة الى درجة ان مياه الانهار تجمدت حتى قيل ان الناس كانوا يعبرون الانهار على الأقدام كما وان شط العرب تجمد الى درجة ان بعض المراكب التي كانت راسية فيه كانت تتحرك بصعوبة .

وكان صاحب كتاب العراق بين احتلالين قد ذكر عن مجموعة الكليدار

السيد عبدالحسين ان وزنة الحنطة أصبحت بسعر ٤٥٠ قرشاً رائجاً والشعير بسعر ٣٠٠ قرشاً رائجاً .

والوزنة حسب تعريفة بغداد تعادل عشرة أمنان والمن عشرة حقق وعليه تكون الوزنة مائة حقة بغدادية .

أما في البصرة ساعدت الطبيعة الناس حيث أدى انجماد المياه الى موت الاسماك في الانهار حتى اصبح سعر الوقية من ذلك السمك بـ (نصف قرش) التي تساوي ١٠ فلوس هذا مع الغلاء .

كما سجلت السنة وفرة الفاكهة الشتوية وخاصة البرتقال الاي اخذت زراعته في الكثرة كما وان الموز البصري جاء بمحصول كبير .

ثم بعد ارتفاع درجات الحرارة أخضرت الأشجار وكان محصول (النبق) وافر الى درجة لم تعرف البصرة له مثيلا .

كما وان الجراد هاجم المحصولات فصاده الناس بكميات وافرة حتى كنت لا تجد بيتاً الا وفيه ثلاثة او أربعة اكياس جراد .

كذلك ظهر الكمأ وبصورة فضيعة ووفرة نادرة وبمحصول كبير فكانت الحبة الواحدة تزن ربع حقة او اقل احياناً مما سد في النقص الذي احدثه موت المزروعات .

وتحدث البصرة القحط الذي حدث سنة ١٨٧١ م ـ ١٢٨٨ هـ وكان هذا الجوع قد أحدث الأمراض فمات الناس وماتت الحيوانات من شدة المحل وقد حدث هذا في ولاية مدحت باشا العراق والذي كان في سنة ١٨٧٠ م قد أمر بتخفيض حصة الحكومة الاميرية من الغلال والحاصلات والضرائب الى ٥٠ بالمائة

فكان ان تستقر الامور وتعلن العشائر الطاعة وتبدأ بالعمل واستثمار الاراضي وشتل الارز وبذر الحنطة وغير ذلك

وكان الوالي مدحت باشا قد وفر ١٠٠ الف ليرة ذهبية من السنة المنصرفة فانفقها للقضاء على المحل والجوع .

أما في البصرة فان واليها سعيد افندي لم يحتاج الى مساعدات مدحت باشا وانما قام بنفسه بجمع الغلال والحاصلات ومسك سجلات المدينة وتوابعها ثم لما حاول بعض المضاربين اغتنام فرصة الانتفاع والبيع بالسوق السوداء ساق هؤلاء الى المشانق وأمر بنهب كل محتكر وأعلن انه يقبل شكاوى الناس وفتح اعتماداً حكومياً لتسليف المعوزين بدون فائض واتصل بالممثليتين الفرنسية والانكليزية لمساعدة الميناء العراقي ـ البصرة ـ فاستفاد من التبرعات الاجنبية وهكذا هزمت البصرة القحط والجوع وكانت المدينة العراقية الوحيدة التي وقفت شامخة تتحدى . .

وكان عمل الوالي هذا قد أدى الى غضب بعض التجار المحتكرين الذين قصد بعضهم بغداد ليشكوه الى الوالي مدحت باشا ولكن الوالي لم يقبل الشكاية بل اقر الوالي البصري على اعماله وشكره رسمياً وفي كتاب شكر خاص .

* * *

ان هذه المصائب والكوارث أدت الى تزايد الضرائب على ابناء الشعب وتنوعها فكان من تلك الضرائب (الخانة) او التي تسمى ايضاً (بيتية) وكانت تؤخذ من بيوت العشائر اولا ولكنها تحولت اخيراً الى بيوت اهالي القرى القريبة من المدينة وذلك لعدم تمكن الحكومة من اخذها من ابناء العشائر وكان

مقدارها ١٥ قرشاً سنويا وقد سميت اخيراً (القلمية) وقد كانت تزداد احيانا حتى قيل انها بلغت يوماً ما ١٥٠ قرشاً .

ومن الضرائب ايضاً الكودة وكانت تؤخذ عن الاغنام والمواشي وقد قرأت لاحدهم يقول ان هذه اللفظة غربية غير ان العزاوي يقول انها عربيـــة ومأخوذة من كاد يكوده . .

أما أنا فلا احسبها الا تركية الأصل ومأخوذة من لفظة (كودجي) التركية والتي معناها الراعي وهي اقرب الى الواقع :

وكانت الحكومة تعطي الاقطار والمقاطعات بالالتزام وكان هذا الالتزام قابل للزيادة والنقصان ولكن العثمانيين بعد جلوس السلطان عبدالمجيد سنة ١٢٥٥هـ ١٨٣٩ م على العرش صارت الحكومة تأخذ الضرائب بواسطة موظفين خاصين يسمون بالمحصلين وكان رئيسهم يسمى (المستوفي) .

وكانت طرق الجباية سقيمة وشرسة لان اكثر الذي يجبى يدخل الجيوب ويقال ان احد ابناء محلة السيمر كانت له دار خارج البصرة وقد طولب بدفع البيتية ولما عجز عن دفعها أخذ الجباة يضربونه امام اهله واطفاله ثم سحبوه الى ـ القلغ ـ مركز الشرطة فما كان من اهالي محلته الا ان يهجموا على الجباة لتخليصه ولما كان مع الجباة عدد من (الجندرمة) الشرطة فقد وقع اصطدام مسلح اشترك فيه أهالي العروة وجسر العبيد مما جعل الحكومة تخاف من المصير فقررت اعفاء الشخص من البيتية ثلاث سنوات . .

وكان قبل ذلك قد أرسل مختاروا المحلات البصرية تقارير الى الوالي مصطفى اغا ١٢٥٨ هـ حول فداحة ضريبة البيتية وشراسة رجال الحكومة في اساليبهم الجبرية

ومما تجدر الاشارة اليه ان أول انتخاب للمختارين جرى في البصرة كان في سنة ١٨٣٥ م ـ ١٢٥١ هـ وكانت للمختار سلطة كبيرة فهو الواسطة بين أبناء الشعب والحكومة . .

وفي هذه السنة ايضاً عين لكل محلة امام وصدر فرمان باعفاء السادة والهاشميين من ضرائب الخانـة ولكن ملا علي الخصي أحد رجال الوزير علي رضا باشا أخذ يأخذ هذه الضريبة من السادة في بغداد ولكن والي البصرة لم يأخذها .

ثم كانت تؤجر الأراضي الاميرية التي كان مصدرها في البصرة اربعة هي:

١ ــ الأراضي الخالية من البناء أو الغرس والزرع والتي لم يتصرف بها احد وهي بعيدة عن العمران .

٢ ــ أراضي مزروعة ومشيدة ـ ولكنها دون وريث شرعي أو مالك يدعي بها . .

٣ ــ أراضي كان السلطان عبد الحميد أو غيره من السلاطين قد سجلها في الطابو باسمه بدون حق ثم انتقلت ملكيتها بعد سقوط عبد الحميد الى الحكومة العثمانية ومنها الى الحكم الوطني العراقي .

٤ ــ اراضي ظهرت من البحر أو من شط العرب او الانهار ثم ردمها الملاكون وضموها الى املاكهم باعتبارها محاذية لهذه الاملاك .

وكان نظام الطابو قد صدر مع قانون الاراضي بتاريخ ١٤ صفر سنة ١٢٧٦ هـ ثم اخذت التعديلات تدخل عليه ومع ان نظام الطابو لم يطبق فان قانون الاراضي كان لا بأس به حيث صدرت الاوامر بتفويض الاراضي الخالية بحساب الدونم فكان ان يؤخذ عن كل دونم من الاراضي غير المغروسة وهي صالحة للزراعة

العشر و يؤخذ من الاراضي المعمورة ٣٠ قرشاً أما الاراضي التي تغرس جيداً فتعفى لمدة ست سنوات ثم يؤخذ ما هو مقرر .

وكان الأهالي يشكون من نظام الخرص الذي كان يتلاعب به الموظفون فيتدخلون الى جانب من يعطيهم الرشوة فكانت الأرض التي يجب أن تدفع ٣٠٠٠ قرش تدفع ١٠٠٠ قرش فقط على ان يدخل في جيب الجابي ٥٠٠ قرش ويسجل للحكومة ٥٠٠ قرش أما الذي لا يدفع الرشوة فكانت الانظمة تطبق عليه بحذافيرها ويضايق حتى يعود الى حضيرة الرشوة .

وكذلك نظام الالتزام فلقد ضايق الفلاحين حيث ان الملتزم كان يريد أن يربح ربحاً فاحشاً على حساب الزارع الذي أخذ يترك الزراعة متضايقاً من الملتزمين

وكان الوالي مدحت باشا عند زيارته البصرة سنة ١٢٨٦ هـ قد اتصل بالاهالي واستمع الى شكاياتهم فوجد ان الحكومة تجري التخمين على النخيل بواسطة خراصين متلاعبين بمقدرات الغلات ولذا فانه الغى نظام الخرص وصارت الرسوم تؤخذ عن كل دونم ١٥ قرشاً سواء للاراضي المغروسة أو الخالية مما جعل الناس يغرسون الاراضى الخالية حتى يقال أن واردات البصرة كانت ٤٨ حملا من النقود فبلغت بعد سنتين ٧٣ حملا من النقود .

أما الاراضي القليلة النخيل والكثيرة الاشجار والفواكه الاخرى فقد رسم على النخلة الواحدة من (٤٠) بارة الى (٣) قروش وذلك حسب قيمة الارض ومساحتها وعمارها ..

وبعد ذهاب مدحت باشا رجعت الفوضى ورجعت الرشوة التي هي في الحقيقة كانت تدخل كل باب من أبواب العثمانيين .

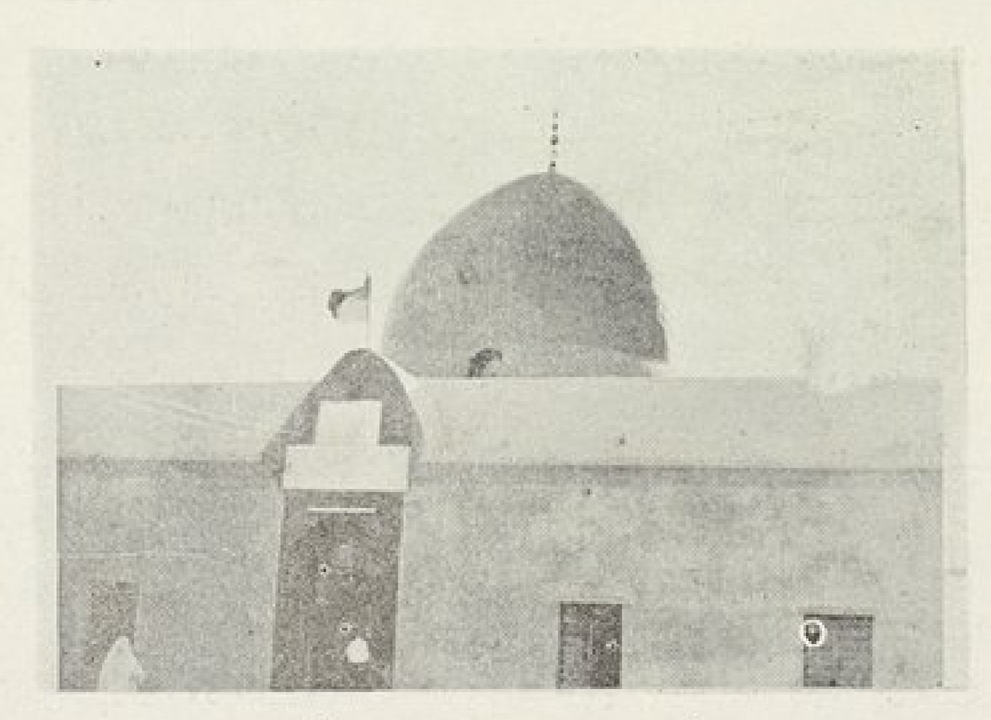
وعلى هذا الاساس نروي الطريفة التالية :

يقال ان قاضي الشطرة انتهت مدة خدمته فاعفي من منصبه فرغب في اعادته الى الوظيفة ولكن لا الى الشطرة نفسها بل الى سوق الشيوخ او الحي ولذا أبرق الى قاضي بغداد بصفته المسؤول عن تعيين القضاة البرقية التالية قال فيها :

ـ ان سقتم الشيخ الى السوق فممنون بخمسين او اودعتم الميت الى الحي فممنون بستين . .

أي انه يقول يدفع (٥٠) ليرة سنويا اذا عين قاضياً لسوق الشيوخ وانه يدفع (٦٠) ليرة اذا عين لقضاء الحي . .

وطبعاً عين قاضياً للحي لان الدفع اكثر . .



﴿ مقبرة السيد احمد الرفاعي ﴾

البصرة أيام زمان

كم مساحة لواء البصرة ونفوسها حسب تعداد سنة ١٩٢٣ ـ ١٩٤١ ـ ١٩٦٥

عدد الجاموس والغنم والبقر والخيل في البصرة والحليب يوزع في الطرقات

أول مكالمة برقية بين البصرة وبغداد وأول (قابلو) بحري بين الهند والبصرة

الحالة المعاشية في مدة خمسة قرون عندما كانت وقية السكر بقرشين . .

رحلات من البصرة الى بغـداد والهند ومكة ثم اكتيال البدو والطحين

الوقية بـ ١٤ فلساً . .

مساحة لواء البصرة (٢٠٧٠٢) كيلومتر مربع ويستثمر من هـذه المساحة ٤٠٠ الف مشارة للزراعة كما أن ربع هذه المساحة تسق بالمضخات .

أما نفوس اللواء فهو حسب تعداد سنة ١٩٢٣ م مائتين الف نسمة منها ٩٤ الف يسكنون المدن والباقي يسكنون الأرياف .

وكان احصاء سنة ١٩٤١ م قد سجل ان نفوس لواء البصرة ٤٠٧٤٥١ نسمة منهم ١١٩٠٠ يهـودي و ٨٨٠٠ مسيحي و ٤٤ هندوسي و ١٣ سـيكي و ١٨٥٢ صابئي .

أما آخر تعداد جرى للبصرة سنة ١٩٦٥ فقد سجل ٦٧٣٦٢٣ نسمة يسكن المدن منهم ٣٥٢٠٩ نسمة ويسكن الارياف ٤٣٨٤١٤ نسمة وتكون نسبة سكان الريف ثلاثة وخمسين بالمائة .

والمعروف عن سكان هذا اللواء انهم كرماء ذوو اخلاق فاضلة يحبون العلم كما يشتغلون بالزراعة والتجارة وتربية الحيوانات الاليفة .

وعلى سبيل المثال نقول ان عدد الجاموس فى منطقة البصرة كان سنة ١٩٣٩م نحو من ١٥ الف ثم اخذ بالازدياد مع ازدياد عدد المهاجرين من لواء العمارة الى البصرة زيادة على ان ظروف الحرب العظمى الثانية كانت قد ساعدت على ازدياد الطلبيات على الحليب والقشطة (الگيمر) .

* * *

ويعيش الجاموس في لواء البصرة على مياه نهر - كرمة علي - الذي هو أعرض فروع نهر شط العرب والذي تقع على نهايته قرية (حرير) بلدة الحريري صاحب المقامات الشهيرة .

ويقال ان هذا النهر قديماً كان يعتمد على مياه الاهوار فكانت المياه أيام الفيضان تملأه فيدفع بها الى الصحارى التي تحيط بـه وتصبح اليابسة التي بين البصرة والشعيبة والزبير على صورة بحيرة تسير فيها القوارب ثم تنتهي لتصب في خور عبدالله والبحر . . ولكن بعـد انتهاء معركة الشعيبة سنة ١٩١٥ م بنى الانـكليز سداً حول مياه الأهوار في محلها دون أن تصرف الى البحر وعلى هذا الاساس اخذت المياه تعمل في الاراضي التي هي حول نهر كرمة علي نفسه حتى اصبح دائم المياه مع عمق عظيم واتساع كبير فى حافتيه .

ويقال ان نهر كرمة علي كان منذ مائة سنة ضيقاً وضحلا وكان ايام الصيهود - شحة المياه - يعبره الناس على ظهور الخيل ومشيا على الاقدام وكان مع ذلك يدر على البصرة بالخير الوفير حتى قيل أن في سنة ١٩١٣ م ظهر فيه نوع من

السمك المتوسط الحجم بمقادير جعلت الناس هناك يصيدونها بالايدى .

كما وان كميات كبيرة من البطيخ والر گي -الگرماوي- غمر أسواق البصرة ثم بيعت منه كميات كبيرة الى رجال السفن الشراعية القادمة للبصرة لشراء التمر فقيل ان حمل حمار من البطيخ بيع بقرش (٢٠) فلساً .

وحدثنا المرحوم صبري افندي الذي كان يدعى - صندوق امين البصرة - انه حسب وظيفته فى مالية اللواء كان قد سجل سنة ١٩١١ م من رسوم (الكوده) من الحيوانات ١٠٩ الاف قرش منها ١٠٥ الاف قرش عن رسوم الأغنام والباقية عن رسوم باقي الحيوانات .



﴿ صبري أفندي أمين صندوق البصرة ﴾

ولقد كان عدد الجاموس في لواء البصرة سنة ١٩١٤ م لا يزيد عن الالف ثم زاد مع الحرب العظمى الأولى حتى بلغ سنة ١٩١٩ م اربعة آلاف أما اليوم فعدده ١٢٠٠٠ جاموسة .

أما عدد الأبقار فقد قدر سنة ١٩٣٧ م ٢٠٠ الف بقرة ويقال انها سنة ١٩٢٥ م كانت ٢١٠ الاف أما في أوائل سنة ١٩١٤ - ١٩١٥ م فكانت غير مضبوطة ولكن المعروف ان في كل بيت سواء أكان في المدن او القرى والارياف لابد وانه كانت توجد بقرة حلوب للعائلة .

وقيل ان أحد ابناء البصرة تحدث عن سنة ١٩١٠ م فقال انه أراد ان يبعث بكمية من الحليب كانت عنده في البيت زائدة الى الجيران او الى أحد يقبلها فلم يجد لأن الجميع أجابوه بان لديهم كميات من الحليب ومستخرجاته منذ يومين ولا يدرون لمن يعطونها .

أما الأغنام فكانت منطقة البصرة مشهورة بها حتى ليذكر بعض المؤرخين بان عددها كان الف الف رأس من الغنم أي - مليون - كما يذكر البعض بأنها كانت خمسمائة الف وقال آخرون انها ثلاثمائة الف .

وفي وجه التقريب أن عدد الأغنام في لواء البصرة سنة ١٩١١ م ربع مليون رأس حيث اننا اذا رجعنا لتقارير الحكومة العثمانية ورسومها تبينت لنا الحقيقة كما اننا لا نجحف حق من قال بانها بلغت يوما ما خمسمائة الف لأن ذلك كان ممكناً وخاصة في عصورها الزاهرة حيث الاستقرار والامان والرفاه .

وقيل ان الاحصاء الاخير اثبت ان عدد الأغنام في البصرة نحو ١٤٠ الف رأس وهذا لا يدخل ضمن الأغنام التي تأتي من دخول البدو الى

لواء البصرة في بعض الاوقات .

ثم رجعة الى عدد الخيل في هذا اللواء حيث قيل ان أهل البصرة في ايامها الاولى كانوا يمتلكون مائة الف رأس من الخيول .

ثم دمر اكثر هـذا العدد بسبب الحروب وخاصة في حرب الزنج ثم جاءت محاصرة العجم للبصرة فذبحت الخيول واستعملت كطعام حتى يروى أن شاباً رأى والده يريد ذبح حصانه فاخذ يتوسل بوالده ان يذبحـه هو ويترك حصانه العزيز .

وبعد سنة ٩٤١ هـ أخذ محصول الخيول بالازدياد وخاصة بعد أن نظمت قوات الخيالة ـ سوارية ـ ثم اخـذ المنتفكيون يدخلون البصرة ومعهم الخيول واصبح للبصرة شهرة كبيرة بالخيول الاصائل .

ولما جاءت سنة ١٣٠٠ هـ اخذ الاتراك ينظمون قوات الخيالة واستعملت البنادق فكان ان صنعت في البصرة انواع الاغمدة ـ كراب ـ وتفننوا فى عمل هذه الاغمدة مع التفنن فى عمل السروج .

وقيل ان عدد الخيول بلغ سنة ١٣٢٩ هـ ستين الفاً ثم جاءت الحرب العظمى الاولى التي أدت الى قتل عـدد كبير من الخيول كما وان الانكليز بعد احتلال البصرة اشتروا عدداً كبيراً منها باثمان عالية ليستخدموها في حربهم مع الاتراك.

وحدثني احـد المسؤولين بان في سنة ١٩٤٠ م لم يكن في البصرة اكثر من ثلاثة الاف رأس من الخيول وهي منتشرة في انحـاء القرى والمزارع وعند العشائر وهي لا تزيد اليوم عن هذا العدد .

﴿ تجارة الخيول ﴾ : جاء في مذكرات احد كتاب البصرة الذي كان يسكن

منطقة العشار للاشتغال على البواخر انه بتاريخ ١٣ آب سنة ١٨١٢ م سافر من البصرة كل من المركبين (البزة) و (سفينة الرسول) وكانت قد حملت بخيول شركة الهند الشرقية قاصدة بنكالة وكانت اجرة تحميل الحصان الواحد مع راكب يرافقه مائة روبية .

ثم قال وفي ٢٥ آب من السنة نفسها سافر مركب ـ ميكالي ـ من البصرة وكان قد حمل قليلا من الخيول البصرية حيث يقصد مدينة (بوشهر) لتحميل الخيول من هناك .

وكانت الخيول البصرية سمعة طيبة في جميع ميادين السباقات وخاصة الهند وبريطانيا فكان الحصان الذي يحمل شهادة بصرية تعطى له قيمة اكبر ويشترى باثمان عالية وذلك نظراً لان البصريين كانوا يعتنون بتربية الجياد الاصائل المعدة للسباقات .

والى سنة ١٩٣٠ م ثم سنة ١٩٣٢ م كان سباق الخيل في البصرة يدفع بالالوف من ابناء العراق والخليج العربي لمشاهدة السباقات والاشتراك بالرهان . وكانت الخيول المشهورة لها اسماء خاصة مثل : منوة، ودجلة، وسهيلة، ونجمة الصباح ، وابو الهيل والهاشمي، والاسمر، وصقر الميدان، وسيف الصحراء ، وحرب وغيرها .

كما وان اسماء الخيول البصرية وسرعتها كانت ترسل من وسطاء خاصين في البصرة الى ميادين السباقات وكانت البرقيات والرسائل والرسل الخاصين من البصرة الى الهند وبريطانيا خاصة تذهب وهي تحمل الرموز أحياناً خوفا من حل محتوياتها ومعرفة أسرارها .

وكانت أول مكالمة برقية جرت بين البصرة وبغداد حدثت في ٢٨

كانون الثاني سنة ١٩٦٥ م وهي تصادف غرة رمضان سنة ١٢٨١ هـ ثم افتتحت الخطوط البرقية مع استانبول وغيرها حيث كان رئيس موظفي التلغراف في البصرة سنة ١٨٦٦ م رجل اسمه (كالوتي أفندي) .

وتحدثنا الانباء بأن بريطانيا مدت حبلا سلكيا ـ قابلو ـ بين الهند والبصرة وذلك عن طريق قعر البحر ثم مدت خطا سلكيا آخر ـ قابلو ـ من البصرة الى بغداد عن طريق نهر دجلة وذلك سنة ١٨٥٥ م .

وتحدث التاريخ بأن شركة الهند الشرقية طلبت من الحكومة العثمانية ان تمد خطا ارضيا من بيروت الى البصرة والخليج سنة ١٨٥٦ م ولكن هذا الطلب رفض الى ان كانت سنة ١٨٥٧ م حيث اتفقت الحكومة العثمانية مع الانكليز على قيام المهندسين البريطانيين بمد خط استانبول بغداد بصرة والخليج عن طريق الفاو كما اتصلت بالاهواز عن طريق البصرة .

والذي كان يعرقل اعمال الاتصال البرقي هو الجهل الذي كان يعم الشعب حيث تعرض الخطوط الى عبث الاطفال والقبائل .

وتحدث شاهد عيان انه كان مع جماعة في سفرة على ظهور الدواب في العراق سنة ١٣٣١ هـ فمروا باعمدة التلغراف فما كان من بعضهم الا ان يتسلق بعضها ويقطع من الاسلاك ـ الوايرات ـ حيث انها كانت حسب معرفته يمكن ان تستخدم لربط الامتعة والحمولات على الدواب .

كما وان اجرة البرقيات كانت غالية زيادة على ان بعض افراد الشعب كان لجهله لا يعتقد بصحتها لانه لا يصدق ان هذا الارسال هو كلام موجه من بلد الى آخر .

﴿ واردات البصرة ﴾ : وكان يرد البصرة من الشمال الكشمش والزبيب والموز والجوز والفستق والبندق والكمثرى والاجاص وكذلك الشب والمحلب والزرنيخ والتين اليابس .

ويردها ايضاً التوتياء والكمون و (ورد لسان الثور) الورد الماوي والعسل وهذا كلـه من ايران .

ويرد من الهند الجوب چيني والكحل والعصفر والتفاح والبانج والدارصيني وجوز الهند والموز والكركم والعنبة والفلفل الأسود والقنب الزري والشاي والزعفران والأخشاب ومصنوعات الجوت كالگواني والسوتلي .

ويرد من الصين الحرير والسكر وبكرات الفضة والأواني الخزفية والثريات والأفيون والمليلج والقطن المحلوج وبذر القطن والشاي .

ومن امارات الخليج الحلوى المسكتية والسمك الكبار والمتوث ـ سمك صغار ـ والبخور واللؤلؤ .

ومن حلب الصابون وبذر الخيار وحب البطيخ والقصدير والنحاس (البرنج) والثعلبية والزئبق والتوتياء والميل والشمع والجوارب .

ويرد من اوربا الاقمشة و(الصفر) النحاس الاحمر والجلود المدبوغة والسيجاير والسكاكين والفانيلات والزجاج والشخاط وورق السيكاير والنفط والعطريات .

ومن اليمن التوابل والبهار والبن والمرجان والاخشاب وبعض انواع الاسماك والاسلحة من سيوف وخناجر وغدارات وغيرها .

ثم بعد تقدم المدنية اخذت ترد الى البصرة الكماليات بما فيها أدوات الزينة والبودر والاصباغ والاحذية الرجالية والنسائية والمعاطف وخاصة النسائية ذات

الفرو والمواد الانشائية .

كذلك اخذت ترد الادوات والمكائن والاسرة الحديدية والمعامل وآلات الزراعة والسقي والمشروبات الروحية والسيكاير وبنادق الصيد والمسدسات والادوات الرياضية والطباخات ومعدلات الهواء وأدوات الحلاقة والثلاجات والتلفزيونات والسيارات .

كذلك ايضاً كان ولا زال يرد الحليب والجبن والمعلبات من مربيات وكرزات ولحوم وزبوت وعجلات وورق وانواع القرطاسية .

ولم يعرف العراق استيراد الطحين والدهن والرز وانواع الجوت الا في الايام الاخيرة من سنة ١٩٤١ م حيث كان العراق مخزناً كبيراً لها .

وكانت اهم الدول التي تتاجر معها البصرة قديماً ايران والهند والصين وامارات الخليج واليمن وسوريا كما كانت تتاجر مع تركيا واليونان وجميع انحاء العراق وخاصة بغداد .

أما اهم الممالك التي اصبح التاجر البصري يبني علاقاته معها بعد سنة ١٩١٤ فهي الهند وبريطانيا والصين واليابان واستراليا وفرنسا والمانيا والنمسا والسويد وبلجيكا وامارات الخليج وسوريا والاردن ومصر وتركيا وايران والولايات المتحدة

وكانت أرخص الحاجيات هي التي تستورد من اليابان والصين ولكن اقواها كانت التي تستورد من بريطانيا والمانيا .

وكنا نشتري مثلا لعبة الاطفال التي ارتفاعها قدم واحد من البضائع اليابانية بخمسين فلساً بينما كانت نفس اللعبة نشتريها من البضائع البريطانية بمائة فلس .

ونشتري الياردة من القماش القطني الهندي بستة عشر فلساً بينما كنا نشتري

نفس النوع من الصناعة البريطانية باربعين فلساً .

وكان باكيت شلفات حلاقة الماني من نوع مانورا بثمان فلوس بينما كانت شلفات الحلاقة البريطانية من نوع (ناسيت) بخمسة عشر فلساً .

كذلك الزوج من الجوارب الحريرية النسائية من النوع الافرنسي (باريس نايت) كان ثمنه سبعين فلساً بينما كان الجورب من نفس النوع والمادة من الصناعة اليابانية يباع بثلاثين فلساً .

وكانت الياردة من القماش الهندي (كشمير) والانكليزي (مانجستر) وهي من الصوف الخالص تباع بثمانين فلسا بينما كان القماش الالماني من نفس النوع يباع بمائة وعشرين فلساً حيث ان قاطاً رجالياً من القماش الانكليزي كان يكلف دينار ونصف بينما القاط من القماش الالماني كان يكلف تسعمائةفلساً.

وكانت وقية السكر من النرع البلجيكي البلوري تباع في سنة ۱۹۰۰ بقرشين أي اربعين فلساً ثم بيعت سنة ۱۹۱۹ بربيتين ۱٥۰ فلساً ثم بيعت سنة ۱۹۲٥ بربية (۷٥) فلساً ثم اصبحت تباع سنة ۱۹۳۹ بثلاثين فلساً علماً بان الوقيـة البصرية تساوي ثلاثة كيلوات وهي حقتين ونصف اسطنبول .

أما السكر البنغالي - بنگالة - وهو هندي فكانت الوقية منه تباع سنة ۱۹۳۹ بعشرين فلساً وهو لا يستعمل إلا للحلوى والشربت ولا يستعمل للشاي ابداً .

وكذلك العطور الفرنسية كانت تباع بثلاثة اضعاف العطور اليابانية والهندية ودهن الورد الهندي كانت (الشيشة) تباع بثلاثين فلساً والياباني كذلك أما الفرنسي فكانت الشيشة بمائة فلس او اقل بقليل .

ويمكن للفرد أن يتصور بأن درزن مواعين صيني من النوع المتوسط كانت

تباع سنة ١٩١٢م بقرضين ونصف (٥٠) فلساً وبيعت سنة ١٩٣٠ بمائة وعشرين فلساً وبيعت سنة ١٩٤٤ بدينار وتباع اليوم بحوالي ٦٠٠ فلساً .

والوقية اللحم بيعت قبل ١٠٠ سنة بقرش ونصف (٣٠ فلساً) وبيعت سنة ١٩١٠ بقرشين (٤٠) فلساً وبيعت سنة ١٩١٦ بثلاث ربيات (٢٢٥) فلسا وبيعت سنة ١٩٣٢ بمائة فلساً وبيعت سنة ١٩٥٦ بتسمائة فلساً وتباع اليوم بنحو دينار وار بعمائة فلساً .

أما الذهب فنظراً لتعرض البصرة دائماً للاضطرابات فكان سعره بالارتفاع فلقد قيل ان سعر المثقال الواحد كان سنة ١٦٠٠ م (٤٠) قرشاً ثم بعد سنة ١٧٠٥ م وبعد ظهور الانكليز كتجار فى اسواق البصرة ارتفع سعره الى (٤٥) قرشا وبقى على هذه الحالة الى سنة ١٧٢٠ م وبعد أن قوي نفوذ الهولنديين حاول الانكليز تخفيض سعر السوق لتخسر التجارة الهولندية حيث اصبح سعر المثقال الذهب (٣٥) قرشا ولكن الهولنديين تحدوا هذا الانتقام فغامروا بالمال في سبيل كسب الوقت والدعاية فنقلوا كميات كبيرة من بضائعهم على ظهر ثمان سفن وأفرغوها في منطقة المناوي وباعوها باثمان رخيصة جداً واشتروا بالمال ذهبا حتى وصل سعر المثقال الى (٤٧) قرشا كما وأسسوا بعض المعامل لتشغيل الايدي العاملة .

وكذلك كان سعر الذهب قبل ذلك قد ارتفع سنة ١٠٧٦ هـ ـ ١٦٦٥ م وفى أثناء الحرب بين العثمانيين وحسين افراسياب حيث كان اليهود ومنهم الصرافين ـ يوسف وصالح ـ كانا قد اشتريا جميع ذهب البصرة فوصل سعر المثقال الى (٤١) قرشا .

كما وان في ايام الطاعون الذي أصاب البصرة سنة ١١٠٢ هـ ١٦٩٠ م وكان الناس يموتون بمقدار خمسمائة شخص في اليوم وتكدست الجثث في الطرقات فاخذ الناس يبيعون كل شيء عندهم وحتى بيوتهم ومزارعهم واثاثهم واشتروا به ذهباً وهربوا الى الجهات البعيدة مما ادى الى زيادة سعر الذهب حتى أصبح المثقال منه يباع بخمسين قرشاً .

رحلة من البصرة :

ويصف لنا أحمد الحجاج انه ركب الباخرة المسماة (دجلة) من البصرة في ٦ شوال سنة ١٣٢٨ هـ ١٠ تشرين اول سنة ١٩١٠ م وفي اليوم العشرين من شوال ٣٠ تشرين اول من السنة نفسها القت الباخرة مراسيها في جزيرة ابي سعد مقابل جدة في الحجاز حيث من جدة ركب الدابة الى مكة والتي قال عنها بانها تعيش برفاه وأمان تحت سلطة الشريف حسين كما وان كل شيء فيها رخص ما عدا اجرة المنزل فهو يقول نظراً لبرودة الجو فقد استأجرت غرفة مع أثاثها ووجبات الطعام الثلاث بنصف مجيدي يومياً (١٠٠) فلساً وان هذا الغلاء سببه كثرة الحجاج .

ثم يصف عودته عن طريق المدينة المنورة وخط الحجاز الحديدي ثم سفره الى حلب ومنها الى مسكنه التي تقع على الفرات ثم ركوبه منها بزورق بخاري حيث وصل الرمادي بعد اربعة أيام .

وبعد ذلك سار الى الفلوجة ثم الى بغداد على ظهور الخيل واخيراً ركوبه الباخرة (برهانية) التي غادرت بغداد فوصلت البصرة بعد سبعة أيام .

ويقول صاحب الرحلة بانه في هذه السفرة النهرية لاقى مصاعب ولكنه

يرجع فيقول بانه شاهد المزارع على ضفتي دجلة حتى ان الخيال - اي الرجل الراكب على حصان - كان اذا دخل بين الزرع ضاع بين سنابل الحنطة والشعير والأذرة وغيرها .

ثم يتحدث عن الجبن واللبن والزبد الذي كان يشتريه الركاب فيقول بانه اشترى قطعه من الجبن وزنها حقة بصرية بعشرين فلسا كما وانه اشترى خروفين كبيرين من القرنة بمجيدين (٤٠٠) فلسا .

وتحدث مسافر ركب الباخرة (مجيدية) من البصرة في ١٣ تموز سنة ١٩١٣ فوصلت القرنة في اليوم الثاني حيث اشترى حمل جحش من البطيخ - اكثر من ثلاثين بطيخة - بربع مجيدي (٥٠) فلسا .

ثم يقول بان الباخرة توحلت في الطين في منطقة - ابو روبة - فكان المسافرون يشترون كل ثلاثة ارغفة من الخبز في بارة واحدة - اكثر من فلس بقليل - كما وانهم عند وصولهم العمارة اشتروا قفص دجاج فيه ٢٠ دجاجة بمجيدي ونصف (٣٠٠) فلسا .

وهناك مسافر ركب الباخرة (دامرا) من البصرة بتاريخ ٥ شباط سنة ١٩١٣م فسارت فيه حيث وصلت الى البحرين التي يقول بانه اشترى منها سمكتين كبيرتين وزن كل واحدة اكثر من عشرة كيلوغرامات بنصف مجيدي .

ثم سار فوصل مسقط وهناك اشترى قوطي حلوى وزنه اكثر من ثلاثة حقق بمجيدي ٢٠٠ فلسا علما بان الحلوى كانت معجونة باللوز . أما عند وصوله كراجي فيقول انه اشترى معطفا رجاليا بخمس ربيات أي (٣٧٥) فلسا وهو اليوم يباع بعشرين ديناراً .

ثم يقول انه بعد ذلك سافر الى بومبي ومكث فيها أياما اشترى منها ثلاثة قرود بقران (٢٠) فلسا ثم اشترى قفصا بديعا من البرنز المنقوش بالشذر وفي داخله ثلاث ببغاوات جميلة بمجيدي واحد أي قيمة القفص والببغاوات ٢٠٠ فلسا

* * *

اكتيال البدو من البصرة :

يقال ان لفظة (الجلبي) ماخوذة من الصليبي الذي حرفه الاتراك فاعطوه الى كل رجل هادىء ولكن المعروف عن البدو (الصلبة) انهم ذوو اخلاق شرسة فلماذا ينسبهم البعض الى الصليبيين ؟

ان القبيلة التي ينتمي اليها الصلبة هي (هيم) وهي ليست قبيلة بالحقيقة ولكنها مجموعة قبائل وكان الاستاذ العزاوي قد سماهم بالقبائل المتحيرة .

وليس كل بدوي صلبي ، حيث أن البدو الذين يكتالون من العراق فيهم من السعوديين والعراقيين الذين لا ينتمون الى الصلبة باي صلة .

وقد جاء على لسان أحد المعمرين ونقله عنه احفاده بأن في سنة ١٢٢٠ هـ دخل بدو نجد البصرة للاكتيال وكان دخولهم على صورة التناوب والتفاوت من حيث العدد والشراء والاحمال وقد اشتروا من البصرة في الدفعة الاولى خمسمائة حمل جمل من الارز غير المهبش والطحين والتمر والشعير .

ثم اشتروا في المرة الثانية حمولة اربعمائة وعشرين جملا من الذرة وعلف الحيوان والحطب والتمر بما فيه نوى التمر ايضا وهكذا دامت ايام الاكتيال نحو من شهر حتى ارتفعت اسعار الحاجيات في البصرة حيث اصبح سعر كيس الطحين الذي وزنه ٢٤ وقية من مجيدي وربع ٢٥٠ فلسا الى مجيدي ونصف ٣٠٠ فلسا

وفي سنة ١٣١٠ هـ باع اهالي المطيحة في البصرة الف كارة تمر الى بدو المملكة السعودية والعراق كما باعوهم حمولة سبعين جمل من السعف والحطب والنوى .

وقبيل الحرب العظمى الاولى وفي سنة ١٣١٢ هـ دخل البدو البصرة للاكتيال وكانوا خليطا من بدو شمر وعنزة والضفير ولما كانت بينهم عداوات سابقة كادت ان تحدث فتنة وينشب القتال داخل المدينة لولا تدخل السيد طالب باشا النقيب



﴿ السيد طالب باشا النقيب ﴾

وانـه أشرف بنفسه على الاكتيال وقـد قسمت المشتريات بالتساوي وكان قد حدث في تلك السنة جفاف في الصحراء وقـد خاف البدو على ابلهم ومواشيهم من الهلاك فباعوا الالوف من الاغنام والمعز باقيام رخيصة وكان مقدار ما اشتروه من اسواق البصرة ثلاثة الاف كيس دقيق والف وخمسمائة كيس ارز وستة الاف خصافة (حلانة) تمر وستمائة كيس شعير وكمية من القماش والدبس.

وفي سنة ١٩٢٨ م حيث عادت العلاقات طيبة بين العراق والسعودية جاء البدو الى البصرة وهم يحملون الدهن والوبر والصوف والجلود كما باعوا الى منطقة جنوب العراق ما قيمته ١٠٠ الف ربية من الحيوانات وقد اشتروا بهذه الكمية من النقود تمراً ودبساً وشعيراً ودقيقاً وكميات من الذرة والملابس ذات الالوان الزاهية وبكرات الخياطة والابر والشخاط والصابون حتى ادى ذلك الى ارتفاع أقيام بعض الحاجيات فارتفع سعر الوقية الطحين من ١٤ فلساً الى ١٦ فلساً ووقية التمن من ٢٤ فلساً الى ٢٨ فلساً وتنكة الدبس من ١٤٠ فلساً الى ١٦٠ فلساً والبكرة ام الزنجيل من فلسين الى ثلاثة فلوس والصابونة الركي من خمسة فلوس الى ستة فلوس .

وفي اجتماع متصرفيات الالوية الذي عقـد في البصرة بتاريخ ١٧ مايس سنة ١٩٥٢ م وضعت خطة موحدة لاكتيال البدو من انحاء العراق ثم صودق على هذا القرار في الاجتماع الذي عقده متصرفو الالوية في ديوان وزارة الداخلية وذلك بتاريخ ٥ حزيران من السنة نفسها والذي اعطى فيه لكل بدوي خمسين كيلوغرام من الرز وعشرين من الطحين وعشرين من الشعير ولكن لم تحدد كميات الدبس او التمر او المواد الأخرى حيث كانت لجان التموين

هي المسؤولة عن ذلك وقد زود البدوي السعودي من دوائر الاستهلاك باستمارة رقم ـ س ـ ١٤ ـ وزود البدوي العراقي باستمارة رقم س ـ ١٥ .

أما البدو بصورة عامة فكانوا يتعاملون بالسوق السوداء والتهريب وكانت كميات السيكاير الافرنجية وأدوات السيارات والشاي وورق اللف والاحذية هم الذين يدخلونها الى اراضي العراق .

وأرجو أن ألفت نظر الأخ القاريء الى أن البدو في اكتيالهم من العراق دائماً يحدثون ارتفاعاً في اسعار بعض الحاجيات التي يستهلكونها هم اكثر من الغير مثل التمر والطحين والشعير والارز والدبس والقماش .

وبهذه المناسبة نذكر حادثاً حول هذا الموضوع حيث ان التمر البصري حصل بسعره ارتفاع كبير سنة ١٨١٢ م فقد سجل احد كتاب ذلك العهد في مذكراته ونقله عنه يعقوب سركيس قوله :

في ١٠ تشرين ثاني سنة ١٨١٢ زادت الطلبيات على التمر السائر والخضراوي حتى وصل سعر الكارة الكبيرة ١٢٠ عين للتمر السابر و ١٤٠ عين للخضراوي .

والعين عملة تساوي ـ قرش واحد ـ ، تسمى ـ قرش رومي ـ وعلى ذلك يكون سعر ٤٠ مناً بصريا من التمر السابر ١٢ ليرة والخضراوي ١٤ ليرة مع العلم ان اعلى ارتفاع لسعر التمر قبل الحرب العظمى الثانية كان نحو من ٣٢٠ فلسا للمن الواحد. وقد جاء في تلك المذكرات ان البدو صعبت عليهم الامور في تلك السنة فباعوا خيولهم للبصريين وقد غمرت الاسواق العربية بتلك الخيول الاصائل التي اشتريت باثمان رخيصة ورجع البدو وهم يحملون التمور والحبوب البصرية ولكنهم كانوا يتلفتون الى البصرة التي ضمت جيادهم والتي ارسلت بعد ذلك الى ميادين العالم الكبيرة للسباقات . . .

أبحاث بصريـــة

علاقة البرتغال والهولنديين والانكليز والمساقطة التجارية بالبصرة . . .

الملابس البصرية من دشداشة والمزوية ثم القلانس والسراويل المزركشة . .

أحياء نهر الحجاج يحيي خمسين الف ايكر من الاراضي الزراعية فى البصرة . .

تأريخ تأسيس أهم الشركات التجارية الوطنية والاجنبيـة فى البصرة . .

فلس بصري قديم عليه صورة نخلة تشبه نخلة العملة العراقية الجـديدة . .

زار البصرة سنة ١٥٨٣ م الرحالة الانكليزي ـ رالف فيتش ـ فكتب عنها فى مذكراته يقول : البصرة بلدة تجارية عظيمة التوابل والأبازير والعقاقير التي تأتيها من هرمز كما فيها اكبر مخزن للقمح والرز وينمو فيها التمر بكثرة والحالة المعاشية فيها سهلة وحلوة .

ورالف فيتش هذا أول انكليزي يزور البصرة وكانت الحكومة البريطانية قد ارسلته الى العراق ومعه كل من الرحالة ـ نيوبري ـ والرحالة ـ وايلدر ـ حيث مسحوا نهر الفرات .

ولما صارت سنة ١١٦٩ هـ ـ ١٧٥٥ م كانت التجارة فى البصرة برواج وازدياد حتى اصبح عدد الاجانب من الاوروبيين في البصرة ١٧٠٠ شخص

وصار القنصل الفرنسي والذي كان يسمى ـ وكيل ـ محلا ثابتاً في البصرة .

والوكيل هذا كان في أول الامر من القسس العلمانيين ثم اصبح يمثل فرنسا وذلك بعد زوال النفوذ البرتغالي من البصرة وانتقالهم الى جزيرة ـ خارك ـ سنة ١٧٥٢ م .

وجاءت شركة الهنـــد الشرقية ومعها المقيم البريطاني لتزاحم الفرنسيين واخذ الانكليز على عاتقهم حماية الملاحة في شط العرب حتى ان بني كعب لما اسروا سفينة تركية في مياه شط العرب اطلقت السفن البريطانية عليهم النار .

ولقد سجل التعداد عدد التجار الاجانب فى البصرة سنة ١٧٧٥ م فكان (٣٠) أرمنياً و(٨) برتغاليين و (٩) افريقيين و (١٢) انكشاريا و (٧) فرنسيين و (٤٠) هنديا .

ثم أخذ المسقطيون يتصلون بالبصرة براً وبحراً حيث سارع امام عمان بارسال اسطوله البحري الى مياه شط العرب ليحمي البصرة من العجم .

وأرسل المسقطيون أيضاً الى البصرة المعدات الحربية والمؤن وفتحوا المحلات التجارية حتى صار عدد التجار منهم (٨٥) تاجراً و (٢٠٠) ملاحا فكان أن خاف الانكليز من هذا النفوذ حيث عمل المستر ـ مانيستي ـ مدير وكالة البصرة الانكليزية على تصفية حساب المسقطيين فاشترى كل تمر البصرة وحبوبها وحتى سعف النخيل ونوى التمر ثم اشترى الدبس البصري كما اشترى الحبوب والجلود والمصارين وتعهد بتموين البصرة بكل السلع والاسلحة وكانت ولاول مرة تقف السفن الانكليزية ذات الشراعين في مياه شط العرب وانتهى النفوذ المسقطي من البصرة وحل محله النفوذ الانكليزي .

وفي سنة ١٨٠٠ م ـ ١٢١٥ هـ زار البصرة ثلاثون سائحاً كان من بينهم تاجر من مدينة البندقية في ايطاليا وصراف يوناني وراهب فرنسي وطبيب هولندي وبحاران هنديان ومهندس الماني وستة من التجار الانكليز .

كما وان المقيم البريطاني أخـذ يزور القبائل العربية في العمارة والناصرية واشترى منهم الحبوب وجلس معهم في بيوتهم وزار الاهوار واخذ يوزع عليهم الهدايا حتى صار للانكليز اصدقاء من هؤلاء القبائل مما جعل الحكومة العثمانيـة ترتاب من الامر ولكن المقيم عرف كيف يقنع العثمانيين فتمت بناية دار المقيم وصار له حرس بملابسهم المزركشة .

وكانت البصرة قد ذاقت طعم الراحة منذ عهد افراسياب الذي كان عهده عهد تجارة وثقافة حتى ان الرحالة البرتغالي ـ غودينهو ـ الذي زار البصرة سنة ١٠٧٤هـ ـ ١٦٦٣ م قال : ان البصرة سوق تجارية في هذه البحار .

وقال : واعجب من ذلك بيوتها الجميلة وجنائنها و بساتينها وسهولها الزاهرة التي تسقى بعدد كبير من الترع .

ان نهر الحجاج الذي هو احد انهار البصرة القديمة كان يسقي خمسين الف ايكر من الاراضي حيث حولها الى بساط اخضر ونخيل وكروم فكانت عناقيد العنب تبقى متدلية دون ان تمسها الايدي الى السنة الثانية وذلك لكثرة الحاصل ووفرته .

وحسبك ان يتحدث الناس الى اليوم بان فى سنة ١٩١٩ م اشترى الانكليز من فواكه البصرة ليموّنوا كل قواتهم في الخليج العربي .

وكان نائب البصرة المحامي سليمان فيضي قد أعد مشروعا سنة ١٩٢٨ م

قدمه الى الحكومة العراقية يتلخص في شق ترعة ما بين نهر گرمة علي وخور عبد الله .

وعلى أثر زيارة الملك فيصل الاول للبصرة في ١٣ كانون الاول سنة ١٩٢٨م تأسست أول جمعية زراعية ملكية وكان رئيسها السيد هاشم النقيب وسكرتيرها سليمان فيضي .

والحقيقة ان البصرة بحاجة الى جمعيات زراعية لا جمعية واحدة وكان أول من فكر في احياء نهر الحجاج وتأسيس الجمعيات الزراعية في البصرة المهندس العالمي ـ وبلكوكس ـ الذي استدعته الحكومة العثمانية سنة ١٩١١ م ليضع تقريراً عن الري في العراق فكان ان قدم مشروع احياء نهر الحجاج المطمور الذي قال انه يبدأ من نهر گرمة علي ويتصل بنهر ابي الفلوس ومن نقطة التقائه غرب البصرة يكون نهراً واحداً ليتصل بخور عبدالله وتكون عليه نواظم وخزانات صغيرة لا تفتح الا وقت الحاجة وايام الفيضان وعلى أن يكون عرض النهر ٥٠ متراً وعمقه ثلاثة امتار ونصف وبذلك تتخلص البصرة من الفيضان وتزرع الحبوب والتبوغ والكروم زيادة على النخيل والخضروات ويقال ان هذا المشروع يدر على البصرة اكثر من مليونين دينار سنويا زيادة على فوائده الاخرى وتلطيفه للجو .. ـ لو تم ذلك لكان ذا اهمية عظيمة في الوقت الحاضر ـ

ولما كانت التجارة لا تسير سيراً حسناً الا مع الامان والاطمئنان فقد كانت أيام دولة أفراسياب في البصرة من أجل هذه الايام حيث اسس الكمارك وحرس الحدود والحراس الليليين وحول الجيش المتطوع الى جيش نظامي وأرسل مدفعاً ضخماً الى بغداد للدفاع عنها ضد الهجوم الايراني حتى اذا ما جاءت

سنة ١٠٦٠ – ١٠٦١هـ — ١٦٥٠ م وحكم حسين باشا افراسياب بعد والده علي عمت روح الازدهار التجاري في البصرة وقصدها حتى الاتراك من استانبول لكي ينعموا في حرية البصرة وتجارتها حتى قيل ان الناس كانوا يتجولون فى الزوارق الى ساعات متأخرة من الليل .

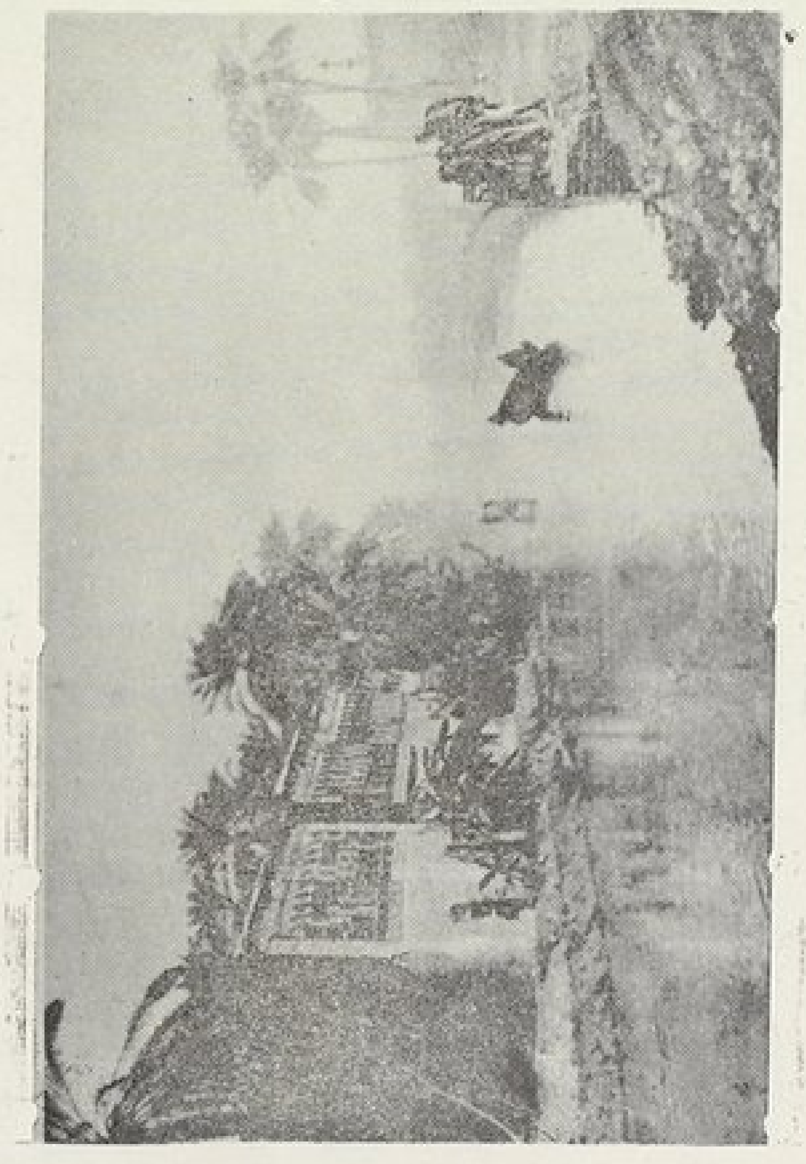
وقد جلب الهنود الاقمشة والنيل وجاء الهولنديون بالتوابل واخذ الانكليز الملح وجلبوا بدله الآلات وقصد البصرة التجار من الموصل وبغداد وديار بكر وحلب وازدادت الطلبيات على التمر البصري حتى قيل ان في سنة ١٠٦٣هـ - ١٦٥٢ م وقفت في مياه شط العرب اربعمائة سفينة .

وفي هذه الايام ضربت السكة في البصرة نقوداً بصرية جديدة حتى ان الاستاذ العزاوي يذكر انه وجد في البصرة نقد نحاسي - فلس - عليه تصوير (نخلة) وهو يشبه النقد العراقي الجديد الذي يزين احد وجهيه صور النخل وكان ذلك قبل ٣١٥ سنة .

وبينما كانت هذه الامور تسير على هذا المجرى مع التاريخ جاءت سنة ١٦٩٠م - ١١٠٢ هـ حيث تأثرت البصرة بالطاعون الذي حدث والذي كان يموت من جرائه يومياً خمسمائة شخص ومن جرائه وبقيت الشوارع والاسواق والمزارع البصرية خالية تقريباً .

وفي هذه السنة هاجمت قبائل المنتفك البصرة فكان ان يقاومها الرجال الذين نجوا من الطاعون ولكن البصرة سقطت سنة ١١٠٦هـ - ١٦٩٤ م بيد مانع بن مغامس الذي تمكن هو بدوره أيضاً من توطيد عرى التجارة مع الاجانب وبنى المدرسة المغامسية وأسس المشاريع ووطد الامان ونظم الشوارع والاسواق وشجع

الزراعة حتى قيل ان في عهده جاء الهنود بكثرة الى البصرة واعتنوا كثيراً بزراعة الموز واصبحت كل دار فيها حديقة تزينه شجرة الموز خاصة وان الطقس والماء البصري يساعدان على نمو هذه الشجرة فكانت أسواق خليج البصرة وايران وتركيا كلها تشتري الموز البصري وحتى ان احد تجار البصرة اشترى كمية من الموز البصري وصدرها الى بغداد وبعد شهر واحد جاءت طلبية اخرى ثم اخرى الى ان انتهى فصل الموز سنة ١١١٠هـ ١٦٩٨م واذا بربح هذا التاجر ١٠٠٠ ليرة ذهبية



منظر بصري أخذ سنة ١٩١٥

ثم في نظرة جدية بعد هـذا التاريخ نرى ان الشركات الاجنبية تزيد فى وكلائها فى البصرة فكانت شركة الهند الشرقية فى البصرة سنة ١٧٢٣ م وقـد استخدمت عدداً كبيراً من العمال البصريين وطلبت من الحكومة العثمانية اعطائها الامتيازات والضمانات وتخفيف الضرائب عنها لتعمل على اسعاد البلدة وقـد وافقت الحـكومة العثمانية على ذلك ولكنها عادت سنة ١٧٢٧ م لتفرض ضريبة كبيرة على الشركة وتطارد عمالها ومترجميها دون اتهـام مما أدى الى توقف الشركة عن العمل .

وطالما نحن بصدد الشركات نقول ان شركة اصفر من اقدم الشركات التي تأسست في البصرة حيث ان تاريخها يرجع الى سنة ١٧٩٤ م وكانت مهمتها استيراد الاموال من الهند بالسفن الشراعية وكان اهم ما تتعامل به من اموال هي الاقمشة والشاي والسكر كما كانت تعمل على تصدير التمور والحبوب ليس الى الهند فقط بل الى امارات الخليج وجزيرة سومطرة وجاوه والصين .

وكانت مكابسها من أول المكابس الفنية التي تأسست وهي ثلاثـة مكابس كبيرة جداً في كل من الحسيبية والحمدانية والرباط .

كما وان السيد أصفر أصبح قنصلا فخريا لفرنسا في البصرة فعمل على توثيق عرى السياسة والتجارة بين البلدين .

وكـذلك من أقدم الشركات في البصرة شركة سيمون كريبان سنة ١٨٩٦م وكانت لها فروع في انحاء العراق وصارت لها مكابس ودوائر ومعاملات وكان اكثر استيرادها الخشب ومواد البناء كما كانت تصدر الحبوب والتمور .

ثم شركة الخضيري وقـد تأسست سنة ١٩٠٠ م وكانت لها عدة بواخر

نهرية وجنائب تعمل في دجلة ثم اخذت تزاحم الشركات الاجنبية التي أرادت الاستيلاء على ثروة البلاد .

وهناك أيضاً شركة اندروبر وقد تأسست سنة ١٩٠٥ م وكانت اعمالها اولا تنحصر في الملاحة البحرية بين البصرة والعالم الخارجي حيث تنقل تمور البصرة وحبوبها وجلود حيواناتها وصوفها الى الخارج وهناك تصرف بواسطة فروع الشركة ووكالاتها .

ثم اصبحت شركة اندروبر هي وكيلة لعدة شركات اجنبيـة لبيع السمنت والآلات واجهزة صنع الحديد والمضخات وعصير الليمون .

واخيراً منحت امتياز احتكار بيع التمور فاوجدت للتمر البصري أسواقا في جميع انحاء العالم وكان على عهدها الدعاية الكبيرة للتمر .

وكذلك هناك شركة ـ فرنك ستريك ـ وقد تأسست سنة ١٨٩٠ م وكان عملها للخطوط العالمية للمواصلات فكانت لها بواخر بحـريـة تعمل بين البصرة ولندن كما تحمل الركاب والبضائع كما وان هـذه الشركة كانت وكيلة لشركة ـ باما شينا ـ اليابانية .

ثم زادت فاحتكرت استيراد المشروبات الروحية فكان باسمها تستورد بيرة ـ تينتس ـ ومنتوجات ـ جلاسكو ـ بما فيها الحليب الشهير (ابو البنت) وويسكي (جون هيكس) .

ومن الشركات ايضاً شركة ـ كرى مكنزي ـ وقـد تأسست سنة ١٨٤٠ م وهي ممثلة لشركة الهند البريطانية للبواخر البحرية كما وانها تمثل شركة بيت لنج للملاحة النهرية في دجلة .

وكانت تستورد انواع البضائع كما وانها تعمل في تصدير الحبوب والتمور

وكان لها ـ مزلق ـ يسمى (دوكيارد) لتصليح الزوارق التجارية والسفن النهرية والجنائب .

ومن الشركات ايضاً شركة مايكل اخوان وقد تأسست من قبل الاخوين وليم ورزوق مايكل وذلك سنة ١٩٠٨ م وكانت تتعامل في تصدير الحبوب والتمور ولها عدة مكابس وتتعامل مع اميركا كما وانها تستورد البطاريات الكهربائية والحوامض الكيماوية والمواد التي تستعمل في صناعة الصودا والنامليت والثلج .

وتأتي ايضاً شركة هلس اخوان التي تأسست سنة ١٩٠٤ م وكان لها وكيل في البصرة لشراء التمور ثم فتحت لها محلا ثانياً في البصرة سنة ١٩٠٧ م وبنت محلا يطل على نهر شط العرب واصبحت هذه الشركة لها شهرة عالمية في كبس التمور بصناديق صغيرة وهي محشاة بالجوز .

وكذلك هناك شركة مزرعة كوت السيد التي تأسست من قبل شركة هلس اخوان سنة ١٩٢٢ م ثم اصبحت شركة مساهمة وكانت تعمل في تنظيم الزراعة فهي عندما حصلت على أرض مقاطعة كوت السيد حولتها الى مزرعة فنية وكانت أول من نصب المضخات لارواء الزروع .

وكان مديرها (داوسن) موظفا في مديرية الزراعة العراقية وهو خريج جامعة كمبرج وله عدة مؤلفات منها كتاب اشترك معه الاستاذ عبود الشبر في تأليفه وكان يبحث في أسماء تمور البصرة .

وعمل اليهودي مير لاوي سنة ١٩٠٠ شركة باسمه كانت تتعامل في التجارة ثم في سنة ١٩١٨ م تحولت الى شركة لبيع السيارات وأدواتها واخذت عدة

وكالات لمعامل سيارات بيوك وشفروليت ومبردات فيرجيد وتايرات كودير وكان الانكليز قد ساعدوا هذا اليهودي حتى نمت شركته بسرعة .

كما اسس اليهودي المجرم (عدس) سنة ١٩٢٠ شركة تجارية ثم اصبحت وكيلة لمعامل سيارات فورد وأدواتها والدهون ووكالة شركة تايرات (ميشلن) وشركة تأمين انيو وشركة فراتني لبيع المواد الكهربائية والراديوات وكان الانكليز في الخارج يتصلون بهذه الشركة ويعملون على أن تكون نقطة تجسس لهم في البصرة .

* * *

وبعد أن استعرضنا بعض تواريخ تأسيس الشركات في البصرة ولو بلمحة قصيرة نرجع الى ما تحدثنا به عن توثيق عرى التجارة بين البصرة والدول الاجنبية فنقول ان مرجعه حكومة افراسياب وخاصة بعد سقوط هرمز بيد الانكليز سنة ١٦٢٥ م وخروج النفوذ البرتغالي من هناك حيث قوى البرتغاليون صلتهم مع العثمانيين وافراسياب حتى ان افراسياب رفض انذاراً ايرانياً معتمداً على مساعدة البرتغال فلما قام الجيش الايراني محاولا الهجوم على البصرة قصفته القوة البحرية البرتغالية ودمرته وذلك فى منطقة قبان .

ثم أرسل البرتغاليون سفنهم وبضائعهم للبصرة مما جعل الانكليز يسرعون في دحر هذا التقدم الاقتصادي البرتغالي وكان أن ظهرت التجارة الانكليزية بوصول سفن تحمل السلع لبيعها في أسواق البصرة بابخس الأثمان لتقاوم السلع البرتغالية الرخيصة .

ثم نزل الهولنديون الى ميدان المنافسة التجارية في البصرة ونقلوا البضائع

من ـ غومبرون ـ الى البصرة سنة ١٦٤٥ م ثم جاءوا باسطولهم التجاري المكون من ثمان سفن لينزلوا حمولتها في المناوي فكادت أن تتدهور الاسواق التجارية البريطانية فى يوم واحد .

قيل ان خسارة الانكليز بلغت عشرة آلاف ليرة فى شهر واحد حيث اقبل الناس على شراء البضائع الهولندية ولكن الانكليز عرفوا كيف يتدبرون الامر فاتصلوا بالحكومة فى استانبول حيث فرضت الضرائب الكمركية على الحاجيات الهولندية بمقدار خمسة وعشرين بالمائه بينما خفضت الضريبة على البضائع الانكليزية الى ثلاثة بالمائة حتى بعد مرور شهرين فقدت البضاعة الهولندية من أسواق البصرة لعدم اقبال الناس عليها بسبب غلائها .

ثم عاد الهولنديون الى البصرة بعد احتلال الشيخ مغامس بن مانع للبصرة سنة ١١١٧ هـ ـ ١٧٠٥ م وقد ذكر احد الآباء الكرمليين الذين كانوا يسكنون البصرة في ذلك الوقت في مذكراته انه في اليوم السابع من شـــهر تشرين الثاني سنة ١٧٠٥م حضرنا أمام الامير مغامس فرحب بنا وبعد ان هنأه الربان الهولندي ـ بيتر ـ مراراً على احتلاله للبصرة وطلب اليـــه حماية الشركات الهولندية في البصرة كما طلبت انا منه حماية كنيستنا ـ كنيسة الكرمليين ـ ودارنا .

وكان الكرمليون قد سكنوا البصرة منذ سنة ١٦٢٣ م أي قبل ســـكناهم بغداد بقرن حيث انهم سكنوا بغداد سنة ١٧٢١ م .

وبعد هذه المقابلة أصدر الامير مغامس براءة وحمايـة بتاريخ ٢٢ رجب ١١١٧ هـ ـ ١٧٠٥ م وعلى اساسها اصبح للهولنديين امتيازات خاصة كما قويت العلاقات بين الجانبين الى درجة اصبحت اسواق البصرة لا تجد فيها غير البضائع

والسلع الهولندية كما وان الهولنديين اشتروا التمر البصري وحملوه على ظهر مائة سفينة شراعية وثمانين بتيل كما وانهم اشتروا الرمان البصري اليابس ثم اشتروا البصل والملح فانتعشت التجارة بالبصرة .

ثم جاء سنة ١٢٠٢ هـ - ١٧٨٧ م الشيخ ثويني بجيشه فاحتل الزبير ثم أخذ وثيقة من أهالي البصرة يطلبون فيها من الاتراك تعيين ثويني حاكماً عليهم .

وكانت اهم منجزات ثويني هي حفظ الأمن فقد نصب المشانق للسراق وقطاعي الطرق حتى يقال انه نصب في محلة المشراق خمس مشانق وفي محلة السبخة ثلاث وفي باب القبلة اثنتين وفي محلة السيمر ثلاث مشانق .

ثم أرسل الموظفين الى القرى ليشتروا الحبوب والبيض والفواكه والسمن لعرضها في الاسواق بقيمة رخيصة كما وانه قبض على رجال البحرية التركية الذين كانوا يساعدون على القرصنة في شط العرب ليقاسموهم الاموال .. ثم حبس بعض هؤلاء الاتراك كما جلد الآخرين منهم امام الناس حيث كان يجري الجلد أمام دار الوالي وبحضور أهالي المدينة جميعاً .

كذلك عمد الى وضع ستة الاف تومان جزاء على بعض اهالي البصرة الذين كانوا يتعاونون مع الاتراك .

كما صاح المنادي بالسكك والشوارع ان لا يغلق أحد باب بيته ليلا وان من يقبض عليه بعد الساعة التاسعة ليلا يهدم وان السارق يقطع بالسيف ويرمى لحمه للكلاب فكان ان استتب الأمن والاطمئنان فارتفعت اجرة العامل اليومية من قرش الى قرشين وزادت حاصلات البصرة من الحبوب بمقدار مائة طغار على السنين السابقة .

ثم وقف رجاله على حدود منطقة البصرة ليأخذوا رسوم الكمارك عن البضائع الداخلة وشدد على رسوم التبوغ والمواد غير الضرورية بينما خفض رسوم المواد الضرورية . وأحصيت السفن الشراعية الداخلة للبصرة في كل يوم فبلغت ١٠٠ سفينة و ٦٠ بلم نصاري و ٨٠ مهيلة تعمل على استيراد وتصدير الحبوب والسلع للبصرة .

وعلى هذا خاف والي بغداد - سليمان باشا - ان يقوى ثويني ويعلن استقلاله فجمع جيشاً كبيراً من الانكشارية كما ساعده الشيخ ثامر وقبائل من كعب وهاجموا ثويني وحصلت معركة - ام العباس - انكسر فيها ثويني نظراً لتفوق اعدائه واحتلت البصرة في آب ١٧٨٧ م بعد حكم ثويني الذي لم يدم أكثر من ثلاثة أشهر .

ولقد عين مصطفى أغا متسلماً للبصرة وحمود الثامر شيخاً للمنتفك وفرضت الغرامات على أهالي البصرة جمعت منهم بالاكراه والحبس والتعذيب حتى يقال ان بعض النسوة بعن حليهن ولوازم بيوتهن ليدفعن الغرامة وكان شاهد عيان قد روى ان امرأة أرادت أن تبيع طفلتها بمقدار (٢) تومان لتدفع ما عليها من غرامة كما وان هناك من أغلق حانوته ليفر من الحكم الجائر .

ثم ضاعف سليمان باشا رسوم الكمارك على المواد الضرورية وترك جيشاً من - اللاوند - غير النظاميين الذين أخذوا يفتكون بالناس ويعتدون على الاعراض وفي منطقة جسر العبيد - الخليلية حالياً - حيث الرجال العرب الابطال وقعت معركة بين اللاوند وأهالي المنطقة وذلك عندما هاجم هؤلاء اللاوند بيوت المحلة ليلا للاعتداء على النساء وقد بقيت جثث اللاوند مطروحة في شوارع المحلة حيث

لم تجرأ الحكومة على دخول المنطقة لحمل جثث موتاها .

وكان قبلا الشيخ ثويني وحمد الحمود شيخ الخزاعل وسليمان الشاوي قد أقاموا في البصرة مجلساً استشاريا يساعد على الحكم ولكن العثمانيين ألغوا هذا المجلس وباتوا يحكمون حكما استبداديا حتى فقدت المواد الضرورية من الاسواق وأخذ البعض يخزن المؤن والطعام لبيعه في السوق السوداء خوفا من المجاعة التي حدثت فعلا ويقال بأن مَن الطحين (٦٠) حقة بصرية ارتفع سعره من ٦ قرانات الى ٣٠ قران .

وكانت عادة البصريين تموين بيوتهم أيام الشتاء خاصة بكميات كبيرة من التمر والدبس والدهن والحبوب لأيام البرد والأمطار ولما انتهى هذا الفصل وانتهت معه المواد المذخورة زاد ارتفاع أسعار الحاجيات وهكذا الى أن بات الناس يأكلون الحيوانات ومنها الحمير والبغال ثم الضفادع والسلاحف والجرذ والكلاب

ثم زاد الطين بلة الهجوم الوهابي وظهور دعوتها ونهب الوهابيون المواشي والمزروعات في بادية منطقة البصرة ومزارعها الجنوبية فكان أن زادت هذه الأعمال في المجاعة وكان أن فكر والي بغداد سليمان باشا في ايجاد شخص قوي يقف في وجه الهجوم الوهابي فاختار ثويني وعفا عنه وأعطاه خمسين الف قرش ومائة ناقة ومائة فرس ومائة خلعة ثم أمره ان يسير لحرب الوهابيين .

ولقد كان ثويني قبل العفو عنه في الكويت فجاء ونظم جيشه الممارس للحروب في أول هجوم له على الوهابيين غنم منهم مائة الف رأس من الغنم بعث بها الى البصرة فاستقبلها الناس بالفرح وكانت النساء تزغردن ثم ذبحت الأغنام ليتذوق الناس طعم اللحم بعد أن حرموا منه لمدة طويلة .

وبينما كان ثويني في منطقة - الشباك - او الشبكة وهو في خيمة على غدير ماء يستريح واذا بعبد من عبيد جبور بني خالد واسمه طعيس يغتاله .

وكان طعيس قد بايع على قتل ثويني وتبرع على اغتياله باي ثمن كان فضرب المثل المشهور في منطقة البصرة والكويت والزبير ونجد فقيل - باع بيعة اطعيس - ويراد بذلك لمن صمم على عمل شيء ولو كان مصيره الموت حيث قتل طعيس في حينه ولكن جيش ثويني رجع وانقلبت افراح البصرة الى أتراح .

وبعد تلك الفترة جاءت فترة جديدة لتغمر البصرة بالامية والجهل والفقر وكانت حوادث النهب والسلب والاصطدام الايراني التركي يحدث من جراء مطامع الدولتين وتكون البصرة ضحية تلك الاصطدامات .

* * *

وكانت من حوادث البصرة الاخيرة انظمة المزايدة والالتزامات حيث اعطيت القبانية والقصابية والدلالية والمصبغة والجسور والابلام والبيعة والدباغة وصيد الاسماك وتقشير الفواكه والتمور وارضية الشواطيء وغيرها .

أما الكودة - وهي ضريبة الاغنام - فلم تعط بالالتزام بل انيطت الى موظفي الدولة الذين راحوا يتلاعبون بها ايضاً .

ومن حوادث سنة ١٨٧٢ م - ١٢٨٩ هـ القحط الذي دام في العراق ولمدة سنتين بسبب قلة المطر وقد تحكم المحتكرون في بيع الاطعمة باضعاف أقيامها دون وجود رقيب ولكن أخيراً منعت سلطات البصرة تصدير الاطعمة حتى الى باقي مدن العراق خوفا من المجاعة .

ومن مذكرات صبري أفندي حول أوائل سنة ١٩٠٠م بأن الملابس البصرية

الرجالية كانت تتكون من دشداشة ـ ريمة ـ وزبون عليه سترة شعري أو كتان او الحرير الصيني المسمى ـ چيناوي ـ وفي الشتاء الصوف من الجوخ ثم المزوية أو العباءة من شعر أو صوف كما هناك العقال من الوبر أو الصوف وهو على عدة أنواع ومنه المذهب أو المطرز بالزري ويلبس على الكوفية البيضاء او الصفراء أو اليشماغ وهو من القطن او النيمة وهو خام يطرز بالشعري .

أما رجال الحكومة فقد استعملوا السترة الطويلة والبنطلون وكان الرسمي يختلف عن ـ الباشبزغ ـ .

وكان اللباس البصري القديم يتكون من لباس طويل مع قنباز او القباء ـ الزبون ـ ثم القلانس والطراطير والقمصان التي كان ازار بعضها من فضة او ذهب وكانت تتباين ايضاً بالنسبة للاكمام والعرض حيث تربط جهتي الزبون بخيط نازك وحمل .

وكانت العمائم بالوانها حيث تتميز نسبة لرجالها ومراكز أصحابها كما كانت هناك ألبسة الامراء واكثرها محلى بالذهب وعليه حمائل سيف تارة تكون عارية ومرة يحمل بها السيف الذي كان يختلف ايضاً بالاشخاص ومراكزهم ورتبتهم .

كما كانت هناك طرابيش ـ فينة ـ وهي تارة تكون حمراء فاقعة ومرة حمراء غامقة كما كانت النياشين والسراويل الحمراء ذات الخط الجانبي الازرق او الزرقاء ذات الخط الجانبي الاحمر تجلب من استانبول او من حلب او دمشق وكانت هذه المدن الثلاث مراكز لخياطة البسة الحكومة ثم أسست الحكومة العثمانية في آخر أيام عهدها محلا لخياطة الملابس العسكرية في البصرة .

أما أهم البلدان التي كانت تجلب منها الاصواف والطرابيش فهي بيروت والقاهرة كما كانت تجلب من بغداد بواسطة البواخر النهرية والسفن الشراعية ثم تنتقل الى امارات الخليج وخاصة الاحساء والقطيف .

أما بعد الحرب العظمى الاولى ودخول الغرب الى البصرة فقد تبدلت الحالة ودخلت المنسوجات الصوفية والقطنية منها من مانجستر ولانكشاير وكشمير وحتى العقال والعباءة والدشداشة فقد تحور كل منها وادخلت عليه تحسينات كبيرة .

وفي كل يوم خميس كانت تصل الباخرة الهندية ـ دوار كا ـ او الباخرة ـ واسرا ـ أو غيرهما من البواخر الانكليزية ثم الالمانية واخيراً اليابانية والفرنسية والبلجيكية وهي تحمل أنواع هذه الاقمشة والمواد الكمالية من عطور وبودر وشرائط وغيرها .

ومع هذه الملابس الخاصة كانت ملابس الاطفال ذات الالوان الزاهية والتي كانت ترصع بالودعة والخضرمة .

والودعة نوع من الخرز الابيض جاء ذكره في كتاب ـ محيط المحيط ـ على انه يستخرج من البحر ويتفاوت بالكبر والصغر وله شق كشق النواة والجمع ودعات وودع .

وكانت ملابس الاطفال الجديدة تخاط وعليها هذه الودعة ومعها الخضرمة والتي هي ايضاً عبارة عن نوع من الفص الاخضر الذي يكون أحياناً لونه يميل الى الزرقة

وكذلك كانت أبواب البيوت الجديدة والغرف لا تسكن الا بعد وضع هذه الودعات والخضرمات مصحوبة احياناً بدعاء مكتوب ومطوي بشكل مثلث ومخاط حوله بقماش او جلد تعلق على الابواب لتطرد الشياطين وتفقس العيون

المالحة وبعض قرون الحيوانات والاحذية القديمة لتبعد الحساد .

كذلك كانت قطعة من الرصاص تضاف الى هذا الحرز لتبعد ـ ام الصبيان ـ والتي كانت تسمى ـ تابعة ـ واسمها يتردد كثيراً على ألسنة النسوة باعتبارها السبب في موت الاطفال لذا كان الدعاء يكتب بالزعفران ويلف بسبعة خيوط ملونة مع أوراق شجرة السداب ويعمل من الجميع وسادة ينام عليها الطفل .

وكان الشائع في البصرة اسماء الابطال وفي مقدمتهم الاسد المصور الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ولذا كانت النسوة يطفن على سبعة رجال كل منهم اسمه (علي) ويطلبن من هؤلاء الرجال بعض النقود حيث يشترين بها قطعة ذهبية او فضية تكون على صورة سيف أو خنجر يكتب عليها اسم الكرار علي(ع) تيمناً به ليصبح الطفل شجاعاً فى مستقبله .

كذلك كانت تملأ جيوب الاطفال بالملح والشب حتى اذا ما خرجوا فلطريق ثم رجعوا الى البيت أخذت هـــذه المواد ودبرت على رؤوسهم ثم القيت فى النار .

أما اذا تمرض الطفل فكانت العادة ان توضع تحت وسادته قطعة من الشب وفي المساء تحرق هذه القطعة ويسحقها المريض ثم ترمى فى الماء ثم يؤخذ ذلك الماء ويغسل به وجه المريض ويفضل أن تقوم بهذه العملية امرأة عجوز .

وكان سن الفيل ـ وام سبع عيون ـ تعلق ايضاً على كتف الطفل وكانت توضع احياناً في اطار من فضة أو ذهب ويكتب بها اسم الله ومحمد وعلي .

وهذه العادات بالحقيقة ليست عربية الاصل ولا اسلامية بحتة فقد تكون عراقية قديماً توارثناها وقد يجزم البعض على انها كلدانية او فارسية قديمة .

وكانت زنجبار والصومال وارتيريا من أهم البلدان التي تصدر للعراق عظام الفيلة (العاج) كما كان ريش النعام متوفر في البصرة وهناك ايضاً ـ الطاووس ـ وانواع من الفراء لحيوانات افريقية .

وقد سجل أحدهم في مذكراته ان سوق السيمر في البصرة ويقع خلف بناية البلدية الحالية كما كان سوق كاظم أغا (١) وهو في محلة القبلة أن كل من السوقين كان مملوء بالبضائع الافريقية وكان الحاج محمد المرجان وحاج صليوي والحاج مبروك والحاج الماس من تجار افريقيا الذين سكنوا البصرة وصارت لهم علاقة بتجار العراق ايضاً كما كانوا يراسلون التجار الافريقيين وهكذا توثقت عرى التجارة بين البصرة وساحل البحر الاحمر حيث اصبحت البصرة مركزاً لتوزيع التجارة الافريقية على جميع منطقة الشرق الادنى وروسيا ودول البحر الابيض المتوسط ودول البحر الأسود .

---

(١) سوق كاظم اغا كان من احسن وانظم الاسواق وكانت مسقفة على شكل طاق وكأنها قبب الاضرحة وكان في وسطها جامع كبير يدرس فيه الملا علي والد ابي هاني الاولاد ، وامام وخطيب الجامع الشيخ علي الحداني مفتي البصرة وفى آخره مقهى للتجار الاشراف ثم جامع (ابو منارتين) الشهير وبقي هذا السوق حتى اواخر الثلاثينات ثم تهدم واندرس نهائياً مع الاسف .

(الناشر)

البصرة كتبت تاريخ الحضارة

١ — ماذا تعرف عن أم قصر وتاريخها..؟

٢ — ما عدد الجرائد التي كانت تصدر في البصرة أيام العهد العثماني مع أسماء محرريها.. ؟

٣ — معلومات عن تاريخ الصيرفة والشركات التجارية في البصرة..

٤ — هل كانت في البصرة محاكم قبل العهد الوطني سنة ١٩٢١ م ؟ وما هي درجاتها..؟

كان أول من كتب عن تاريخ أم قصر مفصلا السيد هاشم الرفاعي احد ابناء البصرة وفي عدة اعداد من جريدة العراق لصاحبها رزوق غنام.

أما أنا فاقول ان ميناء ام قصر قد حدد بخط طول ٤٧ درجة و٥٧ دقيقة و ١٢ ثانية شرقا وخط عرض ٣٠ درجة ودقيقة واحدة و ٤٠ ثانية شمالا.

وكانت هذه المنطقة قديما تسمى ـ الصابرية ـ وقد بنى فيها الشيخ يوسف آل ابراهيم النجدي ـ وهو من منطقة الوشم ـ منذ اكثر من ثلاثة قرون قصرين في بقعة تدعى ـ الحجيجية ـ وكان القصر الاول في شمالها والثاني في جنوبها وهو يقصد بذلك النزهة والصيد ثم لأن ساحلها يصلح لرسو السفن فقد أصبحت هذه المنطقة نقطة تفريغ حمولات السفن القادمة من خليج البصرة..

كما وانها لا تبعد عن البصرة اكثر من ـ٧٥ـ كيلومتراً فقد أصبحت

تجارة البصرة ايضاً تنقل عن طريقها الى السفن البحرية كما اتصلت بمنطقة الزبير فكانت البضائع الآتية من الصحراء ومن شمال العراق ومن سوريا الواردة من اوربا عن هذه الطرق تشحن من منطقة ام قصر لتحمل بالسفن وتنقل الى الهند والصين وامارات الخليج العربي .

ويقال انها سميت بالصابرية نسبة الى جماعة الصوابر الذين كانوا يسكنونها او لأن ماءها كان مراً بطعم ثمرة الصبر فكان اسم المنطقة اولا ـ صبرية ـ ثم حرف الى صابرية .

ومنطقة ام قصر عالية عن سطح البحر ولذا فهي آمنة من الفيضان كما وان تربتها صالحة للزراعة زيادة على صلاحها لمد الطرق والسكك الحديدية .

ولقد رفعت كميات كبيرة من الطمى بلغت ـ ٢٥٠ر٢٩٧ر٥ ـ طناً بعد ان تم الحفر في هذه المنطقة وهكذا اوجد المسلك المائي الذي بواسطته أمكن ادخال بواخر ذات ـ ٣٢ ـ قدما الى الميناء .

ومما تجدر الاشارة اليـه ان الشيخ يوسف آل ابراهيم النجدي اسس أول قصر بن فى هذه المنطقة فلما مات اندثرت معه معالمها بينما سميت المنطقة بام قصر نسبة الى أحد تجار البصرة واسمه ـ احمد ابن رزق ـ الذي بنى فيها اولا بعض الاكشاك والبناء الطيني البسيط ثم لما رغب فيهـا بنى قصراً فخما وسوره بسور حصين ثم مونه بجميع الحاجيات واتخذ منه مشتاً وداراً ربيعياً للصيد ثم اتخـذه كهمزة وصل لنقل البضائع واستيرادها .

وأحمد بن رزق هذا اول من نزل قرية الزبارة في البحرين وعمرها ثم انتقل الى الكويت مع تجار اللؤلؤ وكان من الرجال الذين يحبون الملابس الحريرية الغالية

وقد ذكره نعمة الله عبود فى مذكراته كما وانه مدحه برسالة كتبها الى صديقه ـ الطرابلسي ـ فى حلب وأثنى عليه وقال عنه بانه من التجار الذين لهم شغف بالعلم والأدب حتى كاد ذلك أن يلهيه عن تجارته .

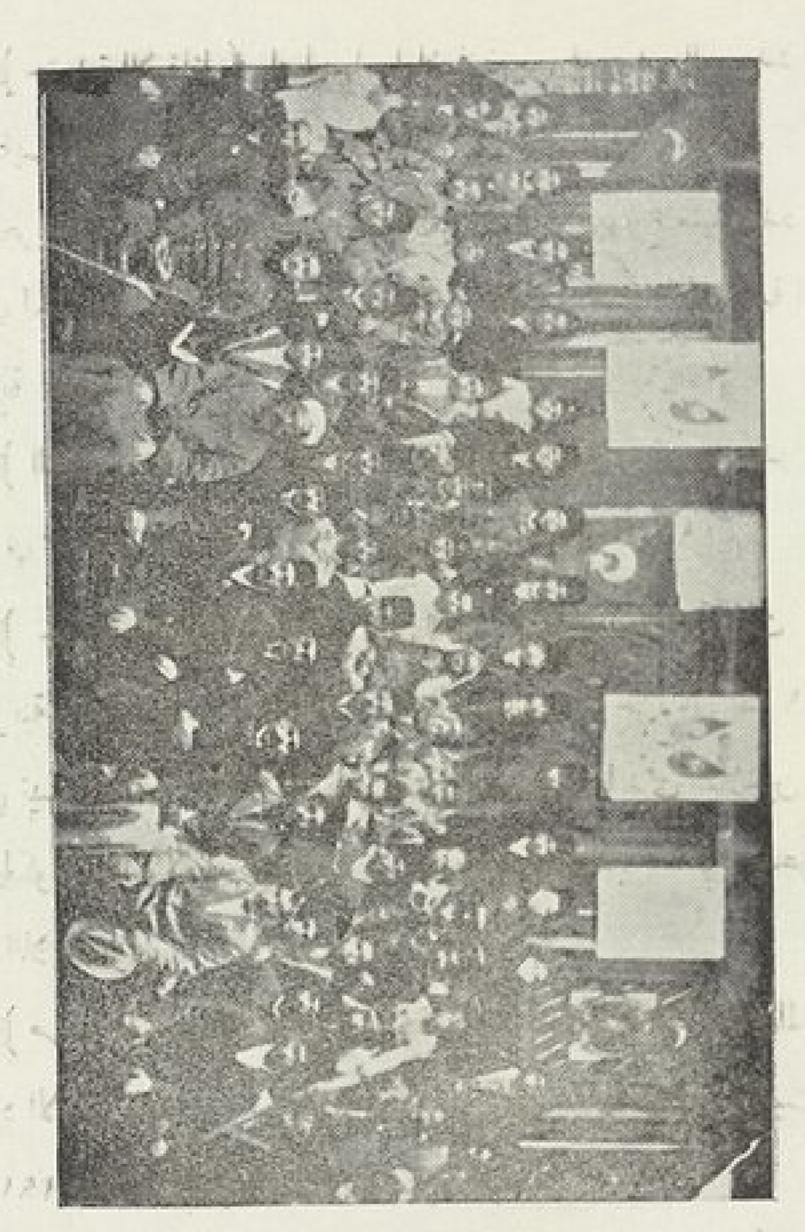
وذكر نعمة الله عبود فى مذكراته ايضاً بان احمد بن رزق شرع فى بناء قصر له يتم بناؤه سنة (١٨١٦ م ـ ١٢٣٢ هـ) وانه رغب فى أن يخلد هذا التأسيس في قصيدة .

وكان الشيخ احمد الكروي والشيخ احمد بن جامع والشيخ عثمان بن سند قد نظم كل منهم قصيدة يؤرخ فيها تاريخ بناء القصر وقد أنعم عليهم صاحب القصر بهدايا ثمينة .

ان الميناء اليوم يتكون من ثلاثة ارصفة خرسانية تستوعب ثلاث بواخر من ذوات ٣٢ قدماً في وقت واحد وان طول هذا الميناء بارصفته الثلاثة ٦٤٠ متراً وان هذه الارصفة مضاءة بالكهرباء ومجهزة باحدث الأجهزة .

كما وان المنطقة بما فيها من بيوت عمال وموظفين ومهندسين جاهزة بكل وسائل الراحة وكان الاميركان في الحرب العظمى الثانية قد نقلوا المعدات الى روسيا عن هذا الطريق ثم مرورها على جسر هول في الكرمة .

وقد ترك الميناء موقتا الى أن اعادت الحكومة العراقية الكرة عليه ففي ٢٦ آذار سنة ١٩٦١ م ٨ شوال سنة ١٣٨٠ هـ وضع الحجر الاساسى لهذا الميناء ثم افتتح رسمياً في ١٤ تموز سنة ١٩٦٧ م حيث تم العمل فيه وكان الفضل فى ذلك يرجع الى احمد بن رزق الذي كان أول من فكر في هذه المنطقة ولم يفكر بانها ستكون من موانيء العالم المهمة بعد قرن ونصف من بناء قصره



﴿ مدرسة يادكار حريت « تذكار الحرية » تأسست في البصرة سنة ١٩٠٨ م ﴾

الجرائد التي كانت تصدر في العهد العثماني بالبصرة :

١ - ﴿ جريدة البصرة ﴾ وهي حكومية صدرت في كانون الثاني سنة ١٨٩٥م ١٣١٣ هـ وكان يشرف عليها محمد علي باشكاتب الذي لم تعجب والي البصرة حمدي باشا سياسته واتجاهه فامر باغلاق الجريدة ثم عادت بعد مدة الى الصدور فأرخ بعض الشعراء عودة الجريدة بقوله : (عادت جريدتنا والعود أحمد ١٣١٣هـ)

٢ - ﴿ جريدة الايقاظ ﴾ لصاحبها سليمان فيضي وقد صدر العــدد الاول منها في ٢ مايس سنة ١٩٠٩ م والغيت في تشرين الاول سنة ١٩١٠ م .

وهي جريدة اسبوعية اشتهرت بنزعتها العربية وكان يوزع منها العدد الكبير على امارات الخليج والمحمرة والهند وسوريا ومصر وكانت الحكومة التركية تشدد الرقابة عليها .

٣ - ﴿ التهذيب ﴾ : وكانت لأمين عالي باش اعيان وقــد صدر العدد الاول منها في ٣ حزيران سنة ١٩٠٩ م واغلقت في اذار سنة ١٩١٠ م .

٤ - ﴿ جريدة اظهار الحق ﴾ : وهي للسيد قاسم جلبيران وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية وقد صدر العدد الأول منها في ١٣ حزيران سنة ١٩٠٩م واغلقت في نيسان سنة ١٩١٠ م على اثر مقتل صاحبها على ايدي الفلاحين الذين حرضتهم الحكومة ضده لأنه كان يقف ضدها وهو من الذين كانوا يدعون الى الحكم اللامركزي .

٥ - ﴿ مرقعة الهندي ﴾ : وهي جريدة فكاهية لصاحبها احمد حمدي المشراقي وكان العدد الاول منها قد صدر في ٢١ تشرين ثاني سنة ١٩٠٩ م وبقيت الى آب سنة ١٩١٠ م حيث ابدل اسمها الى البصرة الفيحاء .

٦ - ﴿ البصرة الفيحاء ﴾ : وقد ساهم في تحريرها كل من السيدين احمد حمدي المشراقي ومحمد حمدي وصدر العدد الاول منها في ١٠ آب سنة ١٩١٠ م وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية .

٧ - ﴿ الفيض ﴾ : وقــد صدرت باللغتين العربية والتركية وصاحبها داود نيازي وكان العدد الأول منها قد صدر بتاريخ ٦ أيار سنة ١٩١٠ م واغلقت

على اثر انتحار صاحبها في نيسان سنة ١٩١١ م .

٨ ـ ﴿ الرشاد ﴾ : وهي للسيد يوسف السامرائي أحد الذين اراد أن يجعل من الجريدة رشاداً لابناء العروبة فكان عددها الاول قد صدر في ٢٩ آب سنة ١٩١٠ م واغلقت في تشرين الثاني سنة ١٩١١ م بعد أن شددت الحكومة العثمانية الرقابة عليها .

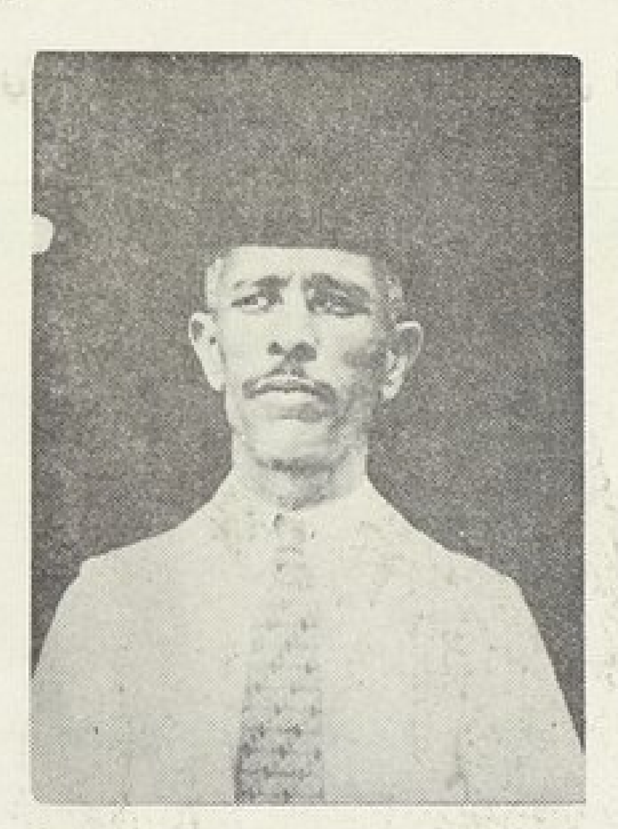
٩ ـ ﴿ الأني ﴾ : وهي للمحامي عمر فوزي احد المقربين الى عميد الحركة



﴿ الشيخ صالح باش اعيان وعلى يساره المحامي عمر فوزي ﴾

العربية في البصرة السيد طالب باشا النقيب وقد صدر العدد الاول منها في ٢٣ تشرين الاول ١٩١٠ م واغلقت في كانون الأول سنة ١٩١٢م وكانت الحكومة العثمانية تضايق صاحبها كثيراً لموقفه العربي الأصيل .

١٠ ـ ﴿ جريدة التاج ﴾ : جريدة سياسية فكاهية وصاحبها محمد نجيب المشراق(١) وقد صدر العدد الأول منها في ٢٢ تموز سنة ١٩١١ م واغلقت في مايس ١٩١٢م



﴿ المرحوم محمد نجيب المشراقي ﴾

١١ ـ ﴿ المنبر ﴾ : اسبوعية عربية كان صاحبها احمد جودت كاظم صدر العدد الأول منها في ١٢ تشرين اول سنة ١٩١١ م ولقد أراد صاحبها ان ينتقد الحكومة العثمانية المهملة فقام والي البصرة علي رضا باشا باغلاق الجريدة وذلك

(١) هو والد أم يوسف البصري مجل ناشر هذا الكتاب .

في أواخر شهر كانون الاول سنة ١٩١١ م ولم تدم اكثر من ٤٥ يوما .

١٢ ـ ﴿ جريدة الدستور ﴾ : لصاحبها عبدالوهاب الطباطبائي احد المساهمين مع المرحوم طالب باشا النقيب لخدمة الامة العربية وقد صدر العدد الاول في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٩١٢ م وكانت لسان حال جمعية الاصلاح في البصرة والتي كان يرأسها المرحوم طالب باشا ثم اغلقت الجريدة في ايلول سنة ١٩١٣ م .

١٣ ـ ﴿ صدى الدستور ﴾ : لصاحبها عبدالوهاب الطباطبائي ايضاً وكانت



﴿ المرحوم عبدالوهاب الطباطبائي ﴾

لسان حال جمعية الاصلاح وقد صدر العدد الاول منها في ٢٥ ايلول سنة ١٩١٣م وبقيت الى احتلال البصرة من قبل الانكليز سنة ١٩١٤م حيث باع مطبعته التي صارت نواة لمطبعة التايمس الموجود في البصرة حتى الآن .

* * *

الصيرفـــة : وهذه اللفظة تطلق على جماعة من الناس يتعاملون في بيع وشراء السندات كما يقومون بالتحويلات ومناقلة النقود المختلفة والتبديل والتصريف والاتصال بالتجار خارج البلد وداخله والتوسط لاخراج البضائع من المخازن ومنها اخذت لفظة الصيرفي .

وأصل الكلمة الصرف وهو التحويل والرجوع بالشيء الى أصغر صور أصله وبالنسبة للنقود هو المبادلة بالعملات او البضائع والسندات .

وفي البصرة كانت هذه الحالة أيام الدولة الاموية والعباسية ولكنها في زمن الدولة العثمانية تعرضت الصيرفة للمخاطر حيث كانت العصابات تدخل المدينة نهاراً وتجبر الصرافين على تقديم نقودهم والا كان مصيرهم القتل .

وكان الرحالة ناصر خسرو عندما زار البصرة في ٢٠ شعبان ٤٤٣ هـ ٢٨ كانون اول ١٠٥١ م قد تحدث عن ذلك فقال : ان الغريب الداخل الى البصرة لا يحمل معه نقوداً بل يودعها عند أحد الصرافين ثم يأخذ منه تحويلا يمكنه ان يتصرف به اثناء وجوده في المدينة .

ولما بنى القائد العباسي الموفق مدينة الموفقية (البصرة الحديثة) لتكون على ضفاف شط العرب وبالقرب من مدينة المختارة عاصمة الزنج في ثورتهم سنة ٢٥٥ هـ كتب الى عماله بارسال البضائع إلى هذه المدينة كما اتصل بالمدن

العالمية وخاصة البحرية منها بعلمها بفتح الطريق المائي اليها فاخذت السفن تأتي الى الموفقية وهي محملة بالاموال بينما كانت المختارة في ايامها الاخيرة تشكو من الحصار الذي ضربه حولها جيش الموفق .

ثم شجع الموفق التجارة وفتح محلات التجار والباعة واتخـــذ داراً لضرب النقود وامر بتوزيع العملة العباسية بسرعة فكان الصيارفـة الواسطة السريعة والامينة والمنظمة التي ساعدت على انتشار العملة (الموفقية) الجديدة .

وكان الزنج ايام امتداد دولتهم قد سكوا النقود وانتشرت عملتهم ولكن لما أوشكت حكومتهم على الانهيار أمر الموفق بعدم قبول العملة الزنجية وأعطى فرصة للذين يمتلكونها ان يبدلوها بعملة عباسية وهكذا انقرضت العملة الزنجيـة واخذ الناس يحتفظون فقط بالقطع الذهبية مما ساعد الصيارفة في الموفقيـــة على الاستفادة من هذا الذهب .

ثم بعد قتل صاحب الزنج سـنة ٢٧٠ هـ والقضاء على ثورتهم أصدر الموفق أمراً صارما يحكم فيه بالموت على من يعثر عليه وعنده عملة زنجية .

ولما كانت الرقعة التي استولى عليها الزنج تمتد من شمال الاهواز الى حدود بغداد كان من الصعب على الناس تبديل عملتهم الزنجيـــة وعليه ارسل الموفق الصرافين ومعهم الحرس والكتاب واخـذوا يجوبون المناطق لتبديل العملة التي صهرت وأعيد سكها باسم العباسيين حتى اننا اليوم لا يمكننا ان نعرف شيئاً عن النقود الزنجية سوى ما نشره الاستاذ (كازانوفا) من وجود قطعة ذهبية يرجع تاريخها الى سنة ٢٦٤ هـ وهي موجودة في متحف باريس كما نشر الاســتاذ (ووكر) عن وجود قطعة ذهبية ثانية تاريخها ٢٦١ هـ وهي موجودة في المتحف البريطاني .

وكان الصيارفة البصريين محلات محكمة البنيان مع صناديق حديدية ومفاتيح قوية كما كانت لهم دفاتر تسجيل وسجلات للمعاملات وكان اكثر اعتمادهم على الكتاب والحرس من السنديين والأحباش وكانت النقود توضع في اكياس ويكون السندي او الحبشي عليها اميناً .

كذلك كان تجار الأقمشة وتجـار الخزف وبنادرة البربهارات يعتمدون على الغلمان الاحباش والزنج لامانتهم .

والبنادرة هم التجار الذين يخزنون البضائع والمعادن لمدة فى مخازن ينتظرون الغلاء ليربحوا كثيراً على حساب قوت الشعب والبندر معناه الميناء .

أما البربهارات فهي الادوية بصورة عامة بما فيها العقاقير والحشائش والورود التي تستعمل كأدوية او كطيب أو بخور كما فيها انواع من التوابل .

وكان من أشهر الصيارفة البصريين ايام الحكم العباسي (زبيدة حميد) الذي ذكره الجاحظ في كتابه البخلاء فقال انه كان يمتلك مائة الف دينار ، كما وانه كان يستخدم العديدين من الغلمان وهو اكبر اقطاعي ايضاً وكان يضرب غلمانه الجياع الذين عبر أحـــدهم عن جوعه قائلا : نسمع بالشبع سماعا من أفواه الناس . .

كما ذكر الطبري بان (زبيدة حميد) هذا كانت له علاقة بالرشيد وانه كان يمول مشروع انشاء جسر على باب الشعير فى بغداد .

وكانت محلات الصيارفة تبنى بالآجـر والصخر والجص ثم تبنى الصناديق الحديدية في الحائط كما وانها كانت تربط بسلاسل حديدية قوية تطمر في الارض ويبنى عليها حتى لا يمكن تقويضها .

و كذلك عمل الصيارفة في السكورتا و كانوا يطلقون عليها لفظة ـ شوكراتس ـ
وكانت السكورتا تؤخذ من سنة ١٨٢٥م على الاموال بين الهند والبصرة خمسة بالمائة

كما جاء في احدى نشرات الصيارفة الصادرة في البصرة بتاريخ ١ شباط ١٨١١ م بأن اليلدز اليوم سعره تسعة وربع والريال سعره اربعة وثمن واليوزلي في قرشين .

وكانت نشرة اخرى صدرت في ٢١ تموز ١٨١١ م تقول بان اليلدز في ثمانية وسبعة اثمان القرش والريال في اربعة وثمن واليوزلي في اثنين وربع قرش .

و كان الصرافون يأخذون من الناس الاموال لتشغيلها ويدفعون لهم ارباحا وصلت احياناً الى خمسين بالمائة من القيمة الاصلية .

وعلى هذا الاساس جاء في نشرة صدرت بالبصرة بتأريخ ١٣ تموز ١٨١١م بان دافع ١٠٠ قرش ياخذ ١٥٠ قرشاً بعد دفع الكمرك فتصور مقدار الربح .

ويظهر لنا أثر الصيارفة في الحادث الذي جرى في ٦ كانون الثاني ١٨١٢ م حيث أصدر والي بغداد عبدالله باشا أمراً الى والي البصرة ابراهيم اغا بأن يزيد الكمرك على البضائع بمقدار عشرة بالمائة فما كان من صيارفة البصرة الا أن يحتجوا على ذلك ببرقيـة الى الاستانة ثم ارسلوا وفدا الى بغـــداد حتى الغي الامر قبل تنفيذه .

ولقد اشتغل الصيارفة ايضاً ببيع وشراء التمور حتى ان أحد وكلاء الشركات الذي كان يشتغل في البصرة في ٢٠ تشرين الثاني ١٨١٣ م ســجل مقدار الكمرك الذي كان يؤخذ على الصادرات والواردات فقال ان كمرك بغداد يستوفي اربع بغداديات على كل صندوق سكر يرد من البصرة كما كان يأخذ

على كل طغار من الدبس يرد من البصرة ثلاث بغداديات وكان الصيارفة يتوسطون في دفع أجور الكمارك .

كذلك جاء في سالنامة سنة ١٨٦٧ م وتحت توقيع الوالي نامق باشا بان الدلالية تدفع نقداً من قبل المشتري والمتعهد بالشراء على ان لا تزيد عن عشرة بالمائة .. ولكن الصيارفة كانوا يضاربون في دلالية بعض المواد للاستفادة منها .

ومما يلاحظ أن اكثر الصيارفة في البصرة كانوا من غير المسلمين واذا كان هناك صيرفياً مسلماً فهو حلبي الاصل حيث كانت التجارة تنقل من حلب الى آسيا من طريق البصرة وقد ذكر الرحالة ـ بارسنس ـ الذي زار البصرة سنة ١٧٧٤ م بأن الحلبيين يجلبون الى البصرة أموالا اوربية معظمها يرد من البندقية في ايطاليا .

وكذلك ذكر الرحالة ـ ديلافالة ـ الذي سافر من البصرة بتاريخ ٢٢ أيار سنة ١٦٢٥ م فوصل حلب بتاريخ ٣٠ تموز من السنة نفسها بأن الرحلة بدأت من البصرة الى حلب رأساً وعن طريق بري دون أن يمر ببغداد اوأي مدينة اخرى سوى مضارب الاعراب كما وانه ذكر بان الحلبيين يسكنون البصرة بكثرة وهم تجار المدينة وصيارفتها .

ومما تجدر الاشارة اليه ان بعض السواح كانت تعجبهم الحياة في العراق فيسكنونه ويفتحون لهم المحلات التجارية وكان منهم ـ مستر هكتر ـ احد افراد (بعثة جسني) التي زارت العراق حوالي سنة ١٨٣٢ م وكان ـ هكتر ـ قد فتح له محلا تجاريا في بغداد كما كان من افراد البعثة (الربان بلوص لنج) الذي أسس شركة بيت لنج وكانت له بواخر وتجارة تسير بين البصرة وبغداد والمدن العراقية الاخرى .

وكان هؤلاء التجار الاجانب يتعاملون مع الصيارفة والعمل على النفع والقروض حيث كانت الامور تهمهم من قبلهم اكثر من الغير .

ومن تجار حلب في البصرة ميخائيل يوسف عبود الذي وصل البصرة في ٢٤ كانون ثاني ١٨١١ م ومكث فيها الى ٢٦ كانون الثاني سنة ١٨١٤ م ثم سافر الى الهند فوصل كالكتا في ٣٠ تموز ١٨١٤ م وسكن عند التاجر الحلبي - فتح الله حنا اصفر - وذلك لتوثيق عرى التجارة بين الهنود والبصريين كما قام بعدة اطلاعات على انواع البضائع الهندية وتعرف على حاجيات الشعب الهندي من السلع العراقية وكتب الكثير في مذكراته واتصل بالمصارف والبنوك والصيارفة في الهند وسهل لهم طريقة الاتصال بالصيارفة البصريين كما اتصل بشركات التأمين والسيكورتا ولكن المنية عاجلته فقد ظهرت عليه علامات الأعياء فتدهورت صحته وتوفي بالهند بتأريخ ٣٠ آب سنة ١٨١٤ م .

* * *

أما عن المحاكم ودرجاتها :

فقد كان في البصرة منذ الحكم العباسي قضاة للتجارة وكان مع هؤلاء القضاة مستشارين ثم خصص كتاب حقوق (كتاب عدل) .

أما في زمن الدولة العثمانية فقد نظمت المحاكم في البصرة على درجات ثلاث هي البدائية وكانت توجد في مركز كل ولاية وتتألف من حاكم جزاء وحاكم تحقيق ورئيس محكمة التجارة والمدعي العام .

ثم تأتي محاكم الاستئناف ومركزها بغداد واختصاصها النظر في القضايا المستأنفة من جميع محاكم العراق البدائية وكانت تتألف من حكام رسميين وهيئة

أهليـة منتخبة وفي القضايا التي كان لا يمكن حلها كانت تحال الى المحـــاكم العليا في استانبول .

وهناك محاكم التمييز ومركزها عاصمة الدولة استانبول كما كان هناك ديوان التدوين القانوني الذي كان يسمى (مجلس شورى دولت) .

وكان راتب العضو الاهلي في المحاكم الاستئنافية ليرتين ونصف شهريا بينما راتب عضو (مجلس شورى دولت) خمسة وعشرين ليرة ولذا كانت تعطى هذه الرتبة الى الشخصيات المشاغبة والقوية والتي تخشى الحكومة منها فيتم تعيين هؤلاء في العاصمة دفعـاً لشرهم .

وعمل الصيارفة والتجار البصريون على تصدير الحنطة البصرية والتمر الى الهند مقابل استيراد بعض السلع والموز الهندي الذي زرعته البصرة بعـد ذلك فانتج ثمراً طيباً وقد شاهدته السائحة الفرنسية ـ مدام ديو لافوا ـ عند زيارتها للبصرة سنة ١٨٨١ م ـ ١٢٩٩ هـ فقالت انها شـــاهدت غابة من أشجار الموز على ضفاف شط العرب .

ولقد أصبحت البصرة يوماً ما مصدراً من مصادر المـوز والبرتقال والرمان والليمون زيادة على الحبوب والارز والتمر فـلم يترك الصيارفة هذه النعمة تذهب بل صدروها الى الخارج وتقبلوا عن اثمانها بضائع اخرى .

ويقال ان تجار البصرة وصيارفتها قاموا منذ عهد حاكم البصرة الشيخ مغامس ـ ١٧٠٥ م ـ ١١١٧ هـ ـ بالاتصال بالشركات الاجنبيـة وخاصة الهولندية منها والانكليزية حتى اذا ما جاء القرن العشرين وعرف الغرب بوجود النفط في جنوب العراق حيث ان المنطقـة المحددة بالسماوة شمالا والفاو جنوبا هي مصدر

من مصادر القير والنفط ازدادت البصرة اهمية .

ويقال ان (ابو المظفر نانكين) قال قبل سنة ٦١٦ هـ ـ ١٢١٩م وفي الحادث الذي وقع لبني معروف قصيدة منها :

يا وقعة شفت النفوس وغادرت	تل المقير ما بـه من غابر
وسقت بنو المجهول كأساً مرة	تركت مواردهم بغير مصادر
وتوهموا ان المقـير معقل	ممتنع من كل ليث خادر

وكان بنو معروف الذين سماهم الشاعر (بنو مجهول) يسكنون منطقة المقير الى البصرة وهم يعملون في استخراج القير ونقله الى البصرة وبيعه للتجار البصريين والصيارفة وقد شجعت هذه الفـكرة الاوربيين على التنقيب عن النفط في منطقة البصرة حتى وجدوه بهذه الـكمية الوافرة .

وكانت الحكومة البريطانية قد اسست اول محكمـــة مدنية في البصرة في اواخر سنة ١٩١٥م برئاسة (الكرنل نوكس) الذي كان يجيد العربية وكان مراحم الباچه چي مترجماً فيها وهي تعمل بالقوانين الهندية .

ولقد عمل التجار والصيارفة فى البصرة على الغاء القوانين الهنـــدية التي لا تتفق والحالة فى العراق حتى اذا ما جاءت سنة ١٩١٩م تشكلت محكمة جديدة في البصرة برئاسة مستر (نوربس) وعضوية السيدبن خان بهادر والمرحوم سليمان فيضي وكانت اكثر تجاوبا مع الروح العراقية .

ومن أشهر رؤساء المحاكم التجارية في البصرة قديمـاً المرحوم ناجي السويدي وقد عين سنة ١٩٠٨م بعد افلاس شمل الـكثير من تجار البصرة في ذلك العهد فعمل السويدي على حل المشاكل هـــذه ونظم السحب والدفع وجمع التجار

من شباب البصرة الى العمل في هذا السلك وقد تفنن البصريون بعد ذلك فكان أن برز منهم العدد الوافي من السفانة وصناع السفن .

ولقد اشتهرت الاشرعة البصرية كما اشتهرت البصرة بعمل نوع خاص من الابلام سميت (العشاري) وكانت طويلة ورفيعة ومجهزة بظلال يوقي عن الشمس يسمى (ذلال) وقد أصبحت هذه الابلام من أهم وسائط النقل في البصرة كما كانت تستخدم للسفرات النهرية وللانس ولا يزال أهل البصرة مولعين بها علما بان هناك نوع خاص من الابـلام الاخرى كانت تستخدم وتصنع في البصرة وهي الابلام النصارية .

وكان الرحالة بكنغهام قد سمى الضفة اليمنى من نهر العشار بالمقام حيث يقول انه يسكن فيه القائمقام كما قال ان الجهة الثانية من النهر كلها تسمى بالمناوي .

وأنا أقول ان قول الرحالة كان غلطـاً لان منطقة المناوي كانت على نهر المناوي وفيها قرية المناوي التي كانت مسورة وهي على شكل ميناء رئيسي للبصرة وطريق نهري يوصل القادم الى البصرة فيدخل المدينة .

ومنطقة المناوي كـانت تقع غرب نهر العشار ولـكن لا على صورة مباشرة بل كانت هناك بساتين ونخيل ومسافات تفصلها عن النهر ومع ان بكنغهام زار البصرة سنة ١٨١٧ م فان آثار سور المناوي كانت باقية ولكنه لم يشاهدها .

والبصرة مسورة من جهتها الغربية الى أن ينتهي السور بعض الانهار والبساتين فكانت بعض الاماكن والقرى القريبة من شط العرب لا تدخل ضمن السور ولـكن حسين باشا بن علي باشا أفراسياب حاكم البصرة قام سنة ١٠٥٧هـ ـ ١٦٤٧ م لتجديد السور فادخل قرية المناوي داخله وانهاه عند شط العـــرب

فكانت المناوي بمزارعها و حقولها داخل السور حتى اصبح أهالي البصرة لايخافون الجوع او الحرمان لكثرة المخضرات والحبوب والفواكه اثناء حصار مدينتهم

ثم اخذت أهمية المناوي تزداد فبنيت على فم النهر قلعة حربية كبيرة شاهدها (تكسيرا)قبل ذلك عند زيارته للبصرة سنة ١٦٠٤م و كانت محاطة بسور خاص وخندق خاص من جميع جهاتها لكي يزداد تحصنها ولكن القلعة التي شاهدها تكسيرا لم تكن القلعة التي شاهدها بكنغهام سنة ١٨١٧ م حيث بنيت الثانية على انقاض تلك القديمة وبصورة اكثر مناعة منها .

وتحدث الرحالة عن نفوس البصرة فقال انها تختلف باختلاف الازمنة فهي بين الخمسمائة الف وخمسين الف ثم يقول ان الاخير هو الحد الادنى لنفوس البصرة حيث بلغه بعد الطاعون الذي هاجم البصرة سنة ١٧٧٣ م وفتك بأهلها فكان ضحيته ثلاثمائة الف نسمة .

أما نفوس البصرة حين زيارة الرحالة لها فكان مائة الف نسمة ستين بالمائة منهم عرب أما الباقين فهم الارمن والايرانيين والاكراد والهنود والصابئة واليهود والمسيحيين الكاثوليك .

والحقيقة ان محلات البصرة كانت في ذلك التاريخ خمسة وعشرين محلة او اكثر بقليل وكان يتراوح عدد بيوت كل محلة بين ١٨٠ داراً الى ٣٠٠ داراً مع عدة ضواحي كانت متصلة بالمدينة .

وكانت اكبر المحلات اتساعا جسر العبيد والمشراق والسيمر والسبخة والعروة والجبل كما كانت هذه المحلات تسع لاكبر عدد من السكان واكثر سكانها من العرب وهي أعمر الاقسام حتى قال الرحالة ان الطبقات العليا من العرب

النهرية في شط العرب والخروج الجماعي الى البساتين والخلاء ترويحاً عن النفس في كل وقت ومناسبة وسموها (كشته) كما وانهم جعلوا من عيد النوروز (كسلة) عيداً ربيعياً باهراً فكان يوم ٢١ آذار من السنة عيد الشموع والصواني والفواكه والحلويات والانس والسهر مع الملابس الجميلة وقبلات العيد الطاهرة .

ولكن سليمان أغا عند رجوعه من الأسر أبدل هذه المراسيم الى عيد لعب وشراب ورقص وغلمان وأبدل الحلويات والبخور الى رقص ولثم الثغور فكانت النحور بدل الزهور .

ويقال ان سليمان أغا أراد أن يرفه عن البصريين الذين لاقوا مرارة الحكم الايراني ويذكر الرحالة الايطالي (سيستيني) كما يذكر الرحالة الفرنسي(اوليفيه) حوادث وصور متنوعة عن هـذا الوالي فلقد تحدثوا عن شجاعته وجماله وحزمه كما تحدثوا عن مجونه وبخله كذلك ذكروا مجالسه الدينية التي كان يشجعها ويحضرها

وكان هذا الوالي يقرب التجار والصيارفة الذين اخذوا يسيرون في طريقه في الانس والمرح واللهو حتى قيل ان نوعا خاصا من القوارب (الابلام) ظهر للوجود وعليه الظلال - ستار عن الشمس - وتمتاز هذه القوارب بالوانها واصباغها الزاهية وأفرشتها الجميلة ومجاذيفها اللطيفة فكان الناس ومعهم (السماورات) والطعام والشاي كما معهم الخس وشربة - السكنجبيل - يجوبون الانهار .

والحقيقة ان الولاة الاتراك كانوا يتصفون بصفات متضاربة فهو سكير عربيد وهو مصلي متدين وهو مرتشي نهم وهو صوفي عفيف .

وكان منهم الوزير مرتضى باشا في بغداد الذي احبه الناس لانه رفع الحجاب عن دار حكومته وكان يقرأ المولد النبوي الشريف ويكثر من تلاوة القرآن الكريم

وهو مفرط في معاشرة النساء والاعمال الجنسية الشاذة فكان مجلسه يضم العلماء ويضم الشعراء كما يضم الشاربين المارقين وفي عهده كثرت معاشرة الصبيان وذلك سنة ١٠٦٣ هـ - ١٦٥٢ م حيث كانت البصرة تحت حكم حسين باشا افراسياب الذي شجع العلماء والأدباء ومجالس الشعر ولكن هذه المدينة تحملت عدوى حكم مرتضى باشا في بغداد حيث كان التجار والصيارفة البصريون يسافرون الى بغداد ثم يرجعون للبصرة ليتحدثوا عن حياة الانس في بغداد ثم يأخذون مجاراة بغداد وهكذا شاعت الموسيقى والطبول - الزنجاري - والرقص في البصرة وكان أن يصبح العود والدف في كل منزل ومجلس.



البصرة في العهد العثماني

نظام التعبات خاص بالبصرة فقط فتى وجد ... ؟

متى دخلت شط العرب اكبر حوت وكان طول ذيلها ١٢ قدماً .

عصابة في العهد العثماني زيفت النقود في البصرة . . .

وفاة شخصيات كبيرة في البصرة جلهم من العلماء والفضلاء . .

الاراضي الأميرية وكيف كان يصادرها السلطان عبدالحميد . . .

مباحث نشرتها جرائد الرقيب والتهذيب والزوراء والجوائب في العهد العثماني

حول نظام التعبات :

ان نظام التعبات خاص بمنطقة البصرة وحدها دون أي منطقة اخرى من العالم وهذا قد جاء مع نشوء المدنية وتمصيرها سنة ١٦ هـ .

واذا كان ابن سلام قد ذكر في كتابه الاموال كما ذكر احمد كمال زكي في كتابه الحياة الأدبية في البصرة وذكر شارل بلات في كتابه الجاحظ وذكر غيرهم من الكتاب والمؤرخين بان الخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما كانا قد اقطعا بعض رجالات الاسلام في البصرة اقطاعيات وأراضي واسعة وضياع من ارض السواد والأراضي المفتوحة وأملاك الدولة وذلك نظراً للخدمات التي قام بها هؤلاء . .

نعم ان بعض المسلمين منحوا أراضي واسعة لا طاقة لهم على ادارتها وزرعها واستثمارها مما جعلهم يركنون الى الايدي العاملة وكان جلهم من الاجانب ثم كثر بعد ذلك العبيد والزنوج فكان منهم العدد الكبير من الفلاحين القسم منهم مربوط بالنسبة للرق يعمل لسيده وقسم يعمل بالاجور وقسم يعمل حسب شروط المناصفة التي تدرجت بعـــد ذلك فاصبحت داخلة تحت شروط وقوانين اضطر الفقه الاسلامي أحياناً للتطرق اليها كما عرفتها انظمة الدولة والقوانين ولكن مع ذلك فان نظام العرف والعادات والتقاليد كانت هي المسيطرة على هذا النظام ولذا كان كل من الطرفين صاحب الارض والتعاب يلتجؤون الى التحكيم والى العرف لحل مشاكلهم اكثر من لجوئهم الى القضاء .

وأحكام الفقه الاسلامي عندما تعرضت احكامه ـ للمساقات ـ ودفع الزكاة لم تعط الموضوع حقه كما واننا برجوعنا الى انظمة الطابو وفي فصل تسجيل حقوق المغارسة نراها تقول :

١ ـ ان المغارسة شركة تؤسس على كون الأرض من طرف والعمل من طرف آخر ويشترك الطرفان فى حصة معينة حسب الترتيب التالي :

أ ـ في ثمـرة الأشجار فقط .

ب ـ في الثمرة مع الانتفاع من سطح الأرض لمدة معينة .

ج ـ في ملـكية المغروسات .

د ـ فى ملـكية المغروسات والارض .

ثم شرح نظام الطابو هذا الفصل فقال انه بدون حقوق المغارسة ويعترف بها الا المغارسة التي تكون فى مال غير مسجل في قيود الطابو فهو لا يعترف بها

حتى يجري تسجيله .

وكذلك يعتبر مقدار المغارسة المصرح به في قيود الطابو صحيحاً وثابتاً وعلى من يدعي خلافه ان يراجع المحاكم المختصة .

ومما ساعد على انتشار نظام التعبات ثورة الزنج وفقدان الايدي العاملة بعد أن أخذ الموفق القائد العباسي بالفتك بالزنوج اينما وجدوا وكذلك ساعد على ذلك فقدان الأمن في العهد العثماني واهمال الملاكين للاراضي بسبب بعد سكناهم عنها أو عدم وجود مال كاف لاعمارها وان بعض رجالات البصرة أرادوا أن يشغلوا البطالين ليصرفوهم عن السلب والنهب والفوضى فاعطوهم الاراضي الزراعية حسب شروط وسمي ذلك الشخص ـ التعاب ـ .

واللفظة مأخوذة من حقيقة مسماها فالتعاب من ـ تعب ـ أي عمل بعرق جبينه بينما الجانب الثاني تكون مشاركته بالملك فيسمى الملاك وعلى ذلك تكون هذه المشاركة مرة في الارض والغرس ومرة تكون في الغرس فقط وذلك حسب ما هو وارد في المشارطة .

التعبات في البصرة على نوعين :

١ ـ الطينية . ٢ ـ التثمينية .

١ ـ التعبة الطينية : تثبت في مقاولة تحريرية وفيها يكون للتعاب بعد اكمال الاعمار والغرس حق في تملك قسم مثبت من الارض والغرس .

وهذا الحق يكون على نوعين :

أ ـ مرة يكون للتعاب الحق في الربع او الثلث من مجموع مساحة الأرض مع مغروساتها .

ب ـ مرة يكون للتعاب الربع او الثلث من مجموع مساحة الأرض مع مغروساتها بعد اخراج رقبة الارض من المجموع ونعني برقبة الارض على مايعادل الربع الكامل من مساحة الأرض المتعوبة مع الغرس الذي عليها .

٢ ـ والتعبة التثمينية : وهي التي يكون فيها للتعاب بعد اكمال الغرس والاعمار حق في ثمن قسم معين من الغرس فقط .

وفي هذا النوع من التعبات أيضاً يجب النظر الى الاتفاق التحريري الذي يرجع اليه في حالة وجود خلاف بين الملاك والتعاب وعند عدم وجود الاتفاق التحريري يرجع الى العرف والعادات في التثمين التي تخضع الى نوعية الارض المتعوبة ومغروساتها وموقعها وغير ذلك .

ونخرج من نظام التعبات اراضي الوقف حيث لا يجوز لدائرة الاوقاف أو المتولي اعطاؤها الى تعاب بتعبة طينية ولكن يجوز للاوقاف او المتولي اعطاء ارض الوقف الخالية الى تعاب على شروط التعبة التثمينية حيث يجوز الاتفاق على مقاسمة حاصلات الغرس فقط .

أما الاراضي المملوكة للمجانين أو هي املاك اطفال صغار فلا يجوز للاوصياء او الاولياء اعطاء تلك الاراضي الى تعاب بأي نوع كان سواء كانت التعبة طينية او تثمينية مالم تصدر موافقة من حاكم محكمة مختصة بهذه الامور .

ومن حق الملاك اخراج التعاب من الارض على أن ينذره انذاراً رسمياً وان يعلن استعداده لاعطاء التعاب حقوقة كاملة وفي حين امتناع التعاب ورجوع الملاك الى الحاكم فان التعاب يتحمل جميع مصاريف المحاكم .

ودعوة التعبة لا تقام في محكمة الصلح بل تقام في محكمة البداءة وتبقى مستأخرة

في محكمة الصلح لان اثبات التعبة خارجة عن اختصاصها .

كـذلك من حق التعاب اقامة الدعوى على الملاك وخاصة في التعبات الطينية حيث عليه أن ينذره اولا وفي حالة امتناع الملاك عن الانذار ولجوء التعاب الى المحاكم يتحمل الملاك مصاريف المحكمة .

وتنتقل حقوق التعبة من التعاب الى ورثته الشرعيين فيما اذا توفي وتكون للورثة نفس حقوق المشروطة مع الملاك وعلى ان لا يقوم الورثة بتقسيم التعبـــة فيما بينهم لان ذلك يضر بحقوق الجانب الآخر وهو الملاك .

كما يجوز للورثة تعيين غيرهم للقيام بالعمل على شرط أن يكون قادراً على العمل وعلى موافقة الملاك . أما في حين عجز الورثة على القيام بواجباتهم ورغبتهم في الانسحاب من الارض بعد حصولهم على حقوقهم فعلى الملاك تقدير حقوقهم وفق الشروط وعلى أن تشرف هيئة تحكيمية على ذلك فيما اذا ما حدثت منازعات بين الجانبين لتقسم الحق بين الورثة الشرعيين حسب القسام الشرعي .

وكذلك في حالة خروج التعاب من الارض ينظر الى مسكنه فان كان ـ صريفة ـ فلا يلتفت لها أما اذا كان مبنياً من الطين وفيه سقوف وأبواب من خشب فيخير التعاب بقلع هذه الاخشاب وتصرفه بها واستيفاء اجرة بناء الحيطان فقط أما قيمة التراب فلا ينظر اليها لانها من اصل الارض .

وللتعاب أن يختار تقدير كلفة مسكنه واخذها من الملاك وفي حين وجود بناء ضخم ينظر حينئذ للوثائق فان كان التعاب قد حصل على اذن تحريري من الملاك أو سبق للملاك أن شاهد ذلك ولم يعترض عليه تعتبر كلفة البناء رسمية والا فليس للتعاب الا رضاء الملاك او قلع ذلك البناء بدون مقابل .

ويجب أن لا ننسى وقت الحاصل والتلقيح عند حدوث الاختلافات بين الملاك والتعاب فالتعاب هو الذي يقوم بعملية التلقيح والدلاوة وكذلك المزروعات الخضريه والبرسيم وغيرها . فهي تكون للتعاب وعند تركه للارض يجب مراعاة ذلك .

كذلك فان لجنة تسوية حقوق الاراضي في الفقرة ـ ٢ ب ـ من المادة ـ ١٣ ـ من قانون التسوية فقد اعطت نصوصاً خاصة للتعاب والملاك .

وفي نهاية الموضوع المختصر هذا نرجو أن نقول بان سلامة الاحكام ومحافظة حقوق الطرفين ترجع الى العرف كما قلنا والتحكيم والخبراء المعروفين في العدالة ونظراً لان البصرة هي مدينة التعبات فان لجان التحكيم والخبراء اصبحوا معروفين وكان من أشهر الخبراء في العهود السابقة والعهد الحديث هم :

الحاج ابراهيم ليلو والحاج طه الموصلي والحاج اسماعيل الزنبور والحاج طه السلمان والحاج احمد النعمة والحاج احمد البكر والحاج عبدالرحمن الكامل والسيد اسماعيل الرديني والشيخ عبدالواحد باش اعيان والحاج محمود العبدالواحد والحاج عبد السيد العويد والحاج معتوق الحاج طه والحاج منصور السلمان والحاج معتوق النعمة والشيخ احمد باش اعيان والسيد محمد سعيد الرديني والحاج حمد الذكير والسيد حامد النقيب والسيد محمد صالح الرديني والحاج غانم الهارون والحاج عامر الكامل .

* * *

الاراضي الأميرية :

ومصدر الاراضي الاميرية في البصرة أربعة :

١ — الاراضي الخالية من البناء أو الغرس أو الزرع والتي لم يتصرف بها أحد وهذه عادة تكون بعيدة عن العمران .

٢ — أراضي مزروعـة أو مشيدة ولكنها دون وريث شرعي أو مالك يدعي بها .

٣ — أراضي ظهرت من البحر أو الشط أو انهار البصرة الكثيرة ثم رممها الملاكون وضموها الى أملاكهم باعتبارها جزء من هذه الاملاك .

٤ — هناك أراضي كان السلطان عبدالحميد العثماني قد سجلها في الطابو باسمه بدون حق وقد أسس لها ادارة خاصة واستخدم لها موظفين خاصين وولاة ولكن هذه الاراضي عادت الى مالية الدولة العثمانية بعـــد خلع عبدالحميد ثم انتقلت ملكيتها الى الحكومة العراقية بعد الحرب العظمى الاولى وأطلق عليهـا اسم الأملاك المدورة .

وكان الوالي سليمان نظيف بك أحد معارضي السلطان عبدالحميد قد ألف كتابا سماه ـ چالنمش أولكه ـ أي المملكة المسروقة .

وبهذه المناسبة ان نظام الطابو كان قـد صدر في ١٤ صفر سنة ١٢٧٦ هـ ثم اجريت عليه تعديلات ولكنه لم يطبق كل التطبيق في منطقة البصرة الا بعد تسجيل اراضي السلطان عبد الحميد ثم كانت اعادتها الى مالية الدولة بتاريخ ربيع الاول سنة ١٣٢٧ هـ .

وفي الحقيقة ان للوالي مدحت باشا الفضل الاكبر في تأسيس نظام الطابو ومع ان الايام لم تمهل هذا الوالي على تطبيقه فقد نشرت جريدة الزوراء البغدادية الرسمية بعددها رقم ٣٢٣ الصادر في ٢٠ ذي الحجة سنة ١٢٨٩ هـ بان بغداد

أصبحت تخضع كلها لنظام الطابو .

وكانت التسجيلات قبل ذلك تجري في البصرة للمسلمين في المحكمة الشرعية أما لغير المسلمين فكان المسيحيون يسجلونها في كنائسهم واليهود يسجلونها في التوراة بواسطة معاملة تسمى الشيطار أي الحجة او الوثيقة وكان الحاخام الاكبر في كل كنيس يهودي يعتني في سجلات خاصة لهذه المعاملات ويسمى (شيطاروث) واللفظه مأخوذة من - شيطار - التي اصلها - سطر - او - تسطير - وهو الشيء المدون او المكتوب وقد بقي اليهود يتعاملون بهذه الطريقة الى سنة ١٩٥١ أي قبل اسقاط الجنسية العراقية عنهم وبالرغم من سجل الطابو .

وفي الحقيقة ان الأراضي الأميرية كانت بدون نظام في منطقة البصرة حتى انني لما سألت احد الشخصيات الكبيرة المعمرة من زمن العثمانيين عن كيفية سيطرت الحكومة العثمانية على هذه الاراضي أجاب بأن الأراضي المملوكة كانت - تائهة - ولم تضبط فكيف بالاراضي الاميرية ؟

وكان عرق السوق من أهم حاصلات المناطق الاميرية في البصرة . ولم تتمكن الحكومة من ضبطه الا سنة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م حيث يذكر الاستاذ العزاوي بأن الحكومة العثمانية أحالت عرق السوس بالمزايدة وكان قبل ذلك نهباً للايدي العابثة .

* * *

من أحداث البصرة :

نزلت على البصرة سنة ١٦٥٧ م - ١٠٦٨ هـ أمطار دامت لمدة عشرة أيام متتالية بلياليها حيث كانت مرة تنقص ومرة تزيد فحدثت فيضانات في دجلة

والفرات وكانت بغداد قد غرقت حتى غرقت منطقة باب المعظم وتخربت (تابية الفتح) ففاض شط العرب لعدم تمكنه من استيعاب مياه الامطار زيادة على مياه الفيضان فتكونت بحيرة جنوبية في البصرة امتدت الى اكثر من ـ ١٥٠ ـ ميلا وعرضها ٥٠ ميلا .

وكان والي البصرة حسين باشا افراسياب الذي تحدث عنه الرحالة الفرنسي ـ تافرنييه ـ فقال ان الاجانب ازداد عددهم في البصرة في ايامه كما تحدث عنه لونكريك في كتابه ـ اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ـ فقال انه كان يتساهل مع الأقليات والغربيين والتجار مما ادى الى ازدياد الحركة التجارية في البصرة وعمت روح الحرية والامان وعين رئيس الكرمليين سنة ١٦٧٩ م ـ ١٠٩٠ هـ قنصلا لفرنسا في البصرة وكان هذا القنصل يعمل على مساعدة الفقراء والمرضى والمعوزين .

ويقال ان الامطار التي حدثت سنة ١٦٥٧ م مبكرة اخذت الناس على حين غرة ولذا كان عدد كبير من الناس قد تهدمت بيوتهم واصبحوا من دون مأوى مما جعل الحكومة ان تسكن هذه العوائل في المساجد ثم اجبرت ابناء الشعب الذين لم تنهدم بيوتهم على اسكان المضررين معهم .

ولما انقطعت الامطار عادت الارسالية الكرملية على مساعدة الناس وساهمت في بناء بيوتهم وتزويدهم بالافرشة والاواني والملابس والنقود كما وان الحكومة زادت في رسوم الكودة على الاغنام ورسوم الكمارك لتجمع الاموال للمتضررين.

وفي هذه السنة ظهر ـ رشاد البر ـ وهو نوع من الخضرة حيث ينبت طبيعياً فكانت سطوح المنازل والطارقات والبراري والبساتين البصرية مملوءة به .

كما وقد ظهر ـ الكمأ ـ بصورة عجيبة لم تعرف لها البصرة مثيلا زيادة على ظهور الاسماك وخاصة ـ الروبيان ـ الذي بيعت الوقية البصرية (ثلاثة كيلوات) منه ـ بخمس بارات ـ أقل من فلسين .

كذلك هرع الرعاة ومعهم الوف الاغنام والمعز كما جاء البدو وابلهم وخيولهم لمواضع العشب والمياه وانقلبت الصحراء الى ارض خضراء بما في ذلك الورد والازهار البرية من حرمل والزعتر وورد البنوشة وغيرها كما جاءت اسراب الطيور المائية والبرية فكان القطا والخضيري قد ملأ كل بيت وكل سوق

ومن أحداث البصرة :

ما ذكرته جريدة الجوائب البغدادية بعددها ٦٩٦ الصادر في ٢٠ ربيع الاول ١٢٩٧ هـ بأن مجاعة حدثت في بغداد والموصل سميت ـ البرسيمية ـ ومعناها بالكردية ـ الجوعان ـ وان الموتى كانت تشاهد في طرقات بغداد والموصل وكردستان وبيعت البنات والاولاد في الطرقات وهاجر الاكراد الى بغداد واخذوا يقولون ـ برسيمية ـ كما هاجر قسم منهم الى البصرة وسكنوا العراء اولا ثم اشتغلوا في البيوت كما تزوجوا بالبصريين .

اما في الموصل فسميت السنة ـ سنة الليرة ـ لان الغلاء جعل وزنة الحنطة تباع بليرة ولكن البصرة وقاها الله هذا الوباء العظيم .

وقد نشرت جريدة الجوائب بعددها رقم ٩٩٧ الصادر في ٤ جمادى الاول ١٢٩٧ هـ نقلا عن ميزانية الدولة بأن راتب والي البصرة ـ ١٧٠٠٠ ـ قرش وراتب والي الموصل ١٥٠٠٠ قرش .

ومن حوادث البصرة ما ذكرته جريدة الزوراء في عددها ٥٦٨ الصادر

في ٢٣ جمادى الاول سنة ١٢٩٢ هـ بأن سعر الربية الهندية عشرة قروش ونصف والربية هذه كانت تستعمل في البصرة فقط أما في باقي مدن العراق فكانت نادرة الاستعمال وكان في هذه السنة نمن ـ الشامي ـ وهو عملة تركية يساوي ٩ قروش و ٣٠ بارة حسب نظام خزينة الحكومة أما في تداول الناس فيساوي عشرة قروش .

وفي سنة ١٢٩٦ هـ القت الحكومة القبض على عصابة تزييف النقود وكانت قد اتخذت من الحدود العراقية الايرانية مقراً لها .

وقد ذكرت جريدة الزوراء في عددها رقم ٨٥٩ الصادر في ٢٦ رمضان ١٢٩٦ هـ بأن هذه العصابة كانت بغاية المهارة تقلد المجيدي والربية والمناط ـ وهي عملة روسية تساوي ١٧ ونصف قرش ـ .

ولقد حدثني المرحوم صبري افندي امين صندوق البصرة بأن من بين افراد العصابة كان تركيا واحداً وايرانيا واحداً وهنديا واحداً وثلاثة من العراقيين ليس فيهم من البصريين أحد .

وكانت هذه النقود تسمى عند الاهالي ـ فلوس قلب ـ او ـ جلب ـ وقد حدثني المرحوم صبري بأن البصرة عرفت نقداً مزيفاً هو ـ ابو دبيلة ـ وكان سهل التزييف نظراً لانه مصنوع من فضة على صورة قرش مكتوب عليه بالتركية

ومن حوادث البصرة ما حدث سنة ١٨٨٠ م ـ ١٢٩٨ هـ حيث صادفت الباخرة المسماة ـ كلوص ـ في منطقة ـ الغميجة ـ حوتا طولها ٤٨ قدماً على مقربة من مشهد العزير وكان أصحاب المنطقة قد أخذوا باطلاق النار عليها دون أن يؤثر ذلك فيها .

ثم صادفت الحوت منطقة ضحلة بالقرب من الساحل فركب الناس اليها بالزوارق ولكنها تحركت الى المياه العميقة وأخذت تجول قاذفـــة بالمياه من فمها ومحدثة أصوات عالية سمعها كل اهالي المنطقة ثم أخذت تعوم بسرعة وبحركة تمكنت من قلب احد القوارب بمن فيه .

ثم سارت حتى وصلت القرنة وهناك تمـكن ربان الباخرة (مسكنة) المدعو محمد مع زملائه من قتل الحوت قرب (سد ابو روبة) وقد جاء الربان محمد بذيل الحوت الى البصرة وكان طوله ١٢ قدما .

ولقد قطع الأهالي الحوت وذوبوا اجزاء جسمها واستخرجوا دهنها الذي كان من أحسن انواع الدهون حيث ان دهن الحوت كان ولا يزال يستعمل لدهن وطلاء الابلام والسفن الشراعية وكان اهالي البصرة يستعملون دهن الكوسج والذي يسمونه (بربور) في طلاء قواربهم وسفنهم .

ومن احداث تاريخ البصرة ضرب النقود :

والنقود على نوعين ورقية ومعدنية وكانت التسمية بالاوراق النقدية حديثة العهد حيث كانت تدعى بالقوائم النقدية المعتبرة وكان العرب قد استعملوها منذ ايام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما وان اول دولة غربيـــة استعملت الاوراق النقدية هي السويد سنة ١٦٦١ م ثم بريطانيا سـنة ١٦٩٠م أما الدولة العثمانية فقد استعملتها سنة ١٨٤٠ م ١٢٥٦ هـ .

وعندما عزمت الحكومة العراقية على اصدار عملة وطنية بدلا من العملة التي كانت مستعملة فى العراق وهي العملة الهندية نظم المرحوم الشاعر الزهاوي يقول:

قالوا ستصدر عملة   للناس فيها تعـلة

فقلت ان صح هذا   تزيد في الطين بـلة

وقد صدر اول نقد عراقي وطني يوم الاول من نيسان سنة ١٩٣٢ م وقد نجحت العملة العراقية الوطنية خلافاً لما كان يفكر به الزهاوي وفي ٨ تموز سنة ١٩٣٣ م منع تداول العملة الهندية نهائياً .

أما من حيث ضرب العملة في البصرة فقد كان السلطان محمد بن بولقتلغ بن تيمور سلطان المتغلبة قد ضرب النقود في البصرة سنة ٧٣٨ هـ .

وفي زمن الايلخانيين ضرب محمود غازان الذي دام حكمه من ١٢٩٥ ـ ١٣٠٤ م نقوداً في البصرة وكان هذا السلطان وثنياً ثم أسلم .

ثم تولى اخوه محمد خدابندة الحكم في ٢ ذي الحجة ٧٠٣ هـ ـ ١٣٠٤ م وقد أعلن تشيعه واخذ يضرب النقود باسم الأئمة الاثني عشر وقد ضرب نقوداً في البصرة كتب عليها (علي ولي الله) .

وضربت النقود في البصرة ايام (اويس بن الشيخ حسن الكبير) ملك الجلايرية وكان قد لقب نفسه بالواثق بالملك الديان وقد وجد درهم فضي قد ضرب في البصرة كتب على وجهه ـ لا اله الا الله محمد رسول الله ـ وعلى الوجه الثاني لفظة (سلطان محمد) وتحتها (بصرة) ثم كتب كلمة خلد الله ملكه .

ولما استولت حكومة الزنديين على البصرة في أواخر صفر سنة ١١٩٠ هـ ـ ١٧٧٦ م ودام حكمها ثلاث سنوات استعملت في البصرة نقوداً كتب عليها بالفارسية (سكة برزر ميزنم تاصاحبش بيدا شود) ومعناها اننا نضرب السكة على الذهب الى ان يظهر صاحبها) أي المهدي المنتظر .

ومن احداث البصرة : ما نشرته جريدة الجوائب في عددها ٢٩٢ الصادر

في ٢٩ ربيع الأول ١٢٩٧ هـ بأن نقيب اشراف أهل البصرة السيد محمد سعيد النقيب قد انعم على الفقراء باطعمة .

كذلك نشرت جريدة الزوراء في عددها ١٠٧٨ الصادر في ٢ ربيع الآخر سنة ١٣٠٠ هـ بأن قاسم باشا الزهير صار عضواً في مجلس شورى الدولة وكانت جريدة الجوائب قبل ذلك قد ذكرت عنه بانه حلبي المولد سكن البصرة وانه في ١٤ جمادى الاخرة من سنة ١٣٠٠ هـ بلغ عمره ٤٠ سنة وانه كان رئيس مجلس التجارة في البصرة وكان قد سافر من البصرة الى بغداد بطريق النهر حاملا معه مضبطة من اهالي البصرة يندّدون فيها بمنصور المنتفكي وجماعته وكان من جملة من وقع المضبطة الشيخ احمد باش اعيان والحاج طه الياسين والحاج محمود .

ومن احداث البصرة زيارة والي طربزون عالي بك وكان يشغل ايضاً مدير الديوان العامة في الحكومة العثمانية وقد ابتدأ رحلته من استانبول سنة ١٣٠٠ هـ فوصل البصرة سنة ١٣٠٤ هـ وذلك عن طريق الموصل وبغداد ودجلة وكان قد كتب عن بغداد وكان يحكمها الوالي تقي الدين باشا وانه ذكر ولايات العراق الثلاث بغداد والبصرة والموصل ثم كتب تقريراً وافيا عن منطقة البصرة من حيث أهميتها العسكرية والتجارية والزراعية وقد جمع كل ما كتبه في كتاب سماه (سياحت زور نالي) اي تقرير السياحة وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٣١٤ هـ .

ومن أحداث البصرة ايضاً انشاء المدارس :

ففي ٢٧ تشرين ثاني سنة ١٩٠٨ م افتتحت اول مدرسة اهلية في البصرة باسم مدرسة يادكار حريت ـ تذكار الحرية ـ .

وفي ٨ تشرين أول سنة ١٩٠٩ م افتتحت اول مدرسة صناعية في البصرة

ولكنها اغلقت قبل ابتداء الدراسة فيها .

وفي ١ شباط سنة ١٩١٠ م تأسست اول مدرسة مسائية لتعليم اللغة التركية

وفي ٨ نيسان سنة ١٩١٠ م تأسست اول جمعية علمية لخدمة الأدب والعلم في البصرة .

وفي ١ ايلول سنة ١٩١٤ تأسست اول مدرسة سلطانية (رسمية) في البصرة .

وكانت اول مدرسة اهلية أسست في الزبير بعد الحكم الوطني هي مدرسة (النجاة الأهلية) التي اسسها الشيخ محمد الشنقيطي سنة ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٠ م وقد ساهم في تشييدها آل الذكير الكرام .

ولقد اجري سنة ١٩٠٥ م احصاء لمعلمي وطلاب البصرة فكانت مدرستان رشديتان ملكيتان وهما على مستوى ابتدائية واثنتا عشر مدرسة اولية كان اكثر ملاكها معلم واحد او معلمين للمدرسة .

وكان عدد المعلمين ٥٢ معلماً اما عدد الطلاب فهو ٨٤٢ تلميذاً كما كانت هناك مدرسة اسرائيلية ومدرسة مسيحية تسيران بنظـام دقيق وتدرس فيها العربية والأدب العربي كما تدرس فيها اللغة الفرنسية والانكليزية والتركية .

وكان عدد الطلاب اليهود ٢٨١ أما عدد الطلاب المسيحيين ١٢٤ تلميذاً .

ومن احداث البصرة : افتتاح محلات التصوير وكان اول استوديو منظم افتتح للتصوير في البصرة هو استوديو دومونيك الذي جاء البصرة سنة ١٩٢٣ وعمل مصوراً فيها وكان قد درس هذا الفن على يد خاله (فكتور) في الهند ثم اخذت استوديوات التصوير بالازدياد .

كما افتتح اول معمل منظم للكاشي في البصرة سنة ١٩٣١ م وكان صاحبه

يعقوب الياس الذي قدم البصرة من الموصل سنة ١٩٠٠ م وعمل في الكمارك ثم فتح سينما رويال في البصرة وعمل محاسباً في البلدية كما ساهم في تأسيس معمل السيكاير ولكنه استقر اخيراً على معمل الكاشي الذي يديره الآن ولده .

وكانت اول لجنة انضباط المحامين تأسست في البصرة في ٩ كانون الأول سنة ١٩٣٣ م ولم يكن عدد المحامين يزيد على عشرين محامياً .

وكان اول رئيس لهذه اللجنة السيد عبدالكريم السامرائي ومعه الأعضاء وهم كل من المحامي عبدالجليل برتو وسلمان الشواف وابراهيم ناجي وارتين المحامي .

وأما اول صيدلية اسست في البصرة في ايام الحكم الوطني فهي صيدلية العراق اسسها ابراهيم ريحان سنة ١٩٢١ م ثم جاءت صيدلية جوليس لصاحبها القس جوليس وذلك سنة ١٩٢٢م ثم صيدلية الفيحاء سنة ١٩٢٣م وكان صاحبها بشير نعوم ثم صيدلية البصرة سنة ١٩٢٥ م لصاحبها الياهو ابراهيم جداع .

ومن احداث البصرة افتتاح المطار المدني الذي كان في وقته يعتبر ثالث مطار دولي في العالم وقد افتتحه الملك غازي الاول في ٢٥ آذار سنة ١٩٣٧ م عند زيارته الرسمية للبصرة .

ومن احداث البصرة ايضاً بيع الحكومة العثمانية – الادارة النهرية – لشركة لنج بمبلغ ٢٥ الف ليرة فكان أن احتج نواب العراق في مجلس المبعوثان التركي كما احتج الأهالي وكتبوا البرقيات خوفا من سيطرة الشركة على اجور النقل وقام المرحوم السيد طالب باشا النقيب والمرحوم سليمان فيضي وهما من نواب البصرة ليعلنا رفض الشعب لهذا البيع ولكن الشركة عملت حيلة وذلك بتخفيضها الاجرة ٣ بارات عن الطن انحداراً و ٦ بارات صعوداً .

وكان الصدر الأعظم التركي رئيس الوزراء قــد أعلن انه لا نية في بيع الادارة النهرية ولكن الغرض توحيد المساعي مع الشركة . ولكن الحكومة العثمانية باعت الشركة حصصاً اخذت في تزايد مبتدأة من البصرة واعتباراً من ١٣ آذار سنة ١٩١٤ م .

ومن احداث البصرة في العهد العثماني : قانون الجندية الجديد الذي اعلن في رجب سنة ١٣٢٧ هـ حيث اصبح بموجبه محتما على كل عثماني مسلما كان أو غير مسلم أن يقوم بالخدمة العسكرية لمدة ٢٥ سنة منها ٣ سنوات نظامية و ٥ احتياط و ١٢ رديفية و ٥ مستحفظة وذلك في الجيش البري أما في البحرية فتكون الخدمة ٢٠ سنة وذلك باسقاط مدة المستحفظة كما حدد عمر المجند بـ ٢١ سنة .

ومن الأحداث ايضاً وفاة الحاج حمد العساني حيث توفي بالزبير يوم الثلاثاء ٩ صفر سنة ١٣٣٢ هـ وهو من التجار المعروفين وكان عمره ٦٩ سـنة وترك من الأولاد عبدالله ومحمد وعبداللطيف وعبدالصمد .

ويذكره صاحب العراق بين احتلالين بانه كان يشتغل مع والده وأخيه الحاج صالح ولكنه بعــد ذلك عزل عنهم وفي شوال سنة ١٣٢٧ هـ ترك التجارة واختار العزلة للتعبد .

ومما نشر في جرائد البصرة القديمة وفاة العالم العلامة طه بن عبدالرزاق الشواف وذلك يوم الخميس ١٤ صفر ١٣٢٨ هـ ودفن في مقــبرة الحسن البصري وكـان مفتياً للبصرة منذ سنة ١٣١٧هـ وهو من الادباء والفقهاء الشعراء وقد خلف اولاداً منهم عبدالملك الشواف قاضي بغـداد والذي صار بعد ذلك رئيساً لمجلس التمييز الشرعي وقـــد توفي يوم الثلاثاء ٣ شباط سنة ١٩٥٣ م ١٨ جمادى الاول

سنة ١٣٧٢ هـ ودفن ببغداد .

ومن احداث البصرة : ما نشرته جريدة الرقيب في عددها رقم ٧ الصادر في ١٨ صفر ١٣٢٧ هـ بان مجلس الاعيان العثماني قرر الغاء الفاظ التعظيم وبذلك زالت عثرة كبيرة من اسلوب التحرير .

هذا ما قالته جريدة الرقيب ولكن الفاظ التعظيم بقيت قائمـة من أفندي وحضرتلي وبك وباشا وچلبي والافخم المعظم المبجل المعزز المكرم .

كذلك نشرت جرائد البصرة خبر وفاة الاستاذ عبدالحميد بك الشاوي مميز قـلم مكتوبي ولاية البصرة وذلك في ٨ ربيع الاول سنة ١٣١٦ هـ وكان من الادباء الفضلاء .

ونشرت جريدة الزوراء في عددها رقم ١٨٨٨ الصادر في ٦ صفر سنة ١٣١٧ هـ خبر وفاة احمد بك الشاوي مميز قلم مكتوبي البصرة على اثر داء عضال ألم به .

وقالت بان المرحوم كان اديباً عارفاً كاملا مضطلعاً في علوم اللغة ونحوها .

ومن الاحداث العظام التي هزت البصرة : الدستور العثماني الذي اعلن في ٢٣ تموز سنة ١٩٠٨ م ـ ٢٤ جمادى الثاني ١٣٢٦ هـ وكان على اثره تم انتخاب مجلس الامة العثماني من جميع انحاء الدولة وقد افتتح اول مجلس للمبعوثين في ٢٣ ذي الحجة ١٣٢٦ هـ ـ ١٧ كانون الاول ١٩٠٨ م وكان من نواب البصرة السيد طالب باشا النقيب وأحمد باشا الزهير .

ولم يقم هذا المجلس بواجبه للضغوط التي كانت تجرى عليه من قبل الحكومة الى أن صدرت الارادة الملـكية ـ البادشاهية ـ في ٢٨ محرم ١٣٣٠ هـ بحل المجلس على أن تجرى انتخابات حرة .

وفي المجلس الثاني فاز عن البصرة كل من السيد طالب باشا النقيب وعبدالله الزهير صاحب جريدة الدستور وعبد الوهاب القرطاس وهو ملاك توفي سنة ١٩٢٤ م واحمد نديم بك رئيس محكمة جزاء البصرة .

أما في المجلس الثالث فقد فاز عن البصرة كل من السيد طالب باشا النقيب والمحامي سليمان فيضي وعبدالرزاق النعمة (١) والحاج عيسى روحي وهم من حزب الاصلاح العربي الذي شكله المرحوم طالب باشا النقيب وهو يطالب بالحكم اللامركزي ويدافع عن حقوق العرب .

وقد ذكر صاحب كتاب العراق بين احتلالين بان من حوادث بغداد وصول كل من نائبي البصرة عبد الرزاق النعمة والحاج عيسى روحي وذلك في يوم الاحد ١٦ شوال سنة ١٣٣٢ هـ ومكوثهما في بغداد يوم وليلة ثم سفرهما الى البصرة بمناسبة تازم الوضع بين الحكومة ونواب البصرة الاحرار .

ومن الاحداث ايضاً ما نشرته جريدة الزوراء في عددها رقم ٢٠٧٧ الصادر في ١٨ ربيع الاول ١٣٢٤ هـ الموافق سنة ١٩٠٦ م وذلك عن انفصال الفريق مخلص باشا والي البصرة وقائدها عن ولاية البصرة التي احيلت الى والي بغداد مجيد بك

كذلك ذكرت الجريدة في عددها رقم ٢٠٩٦ الصادر في ٤ شعبان ١٣٢٤ هـ تعيين حسن بك لولاية البصرة ووصوله الى بغداد يوم الجمعة ١٤ شوال ١٣٢٤ هـ وفي ١٦ منه توجه الى البصرة .

كما نشرت جريدة التهذيب البصرية بعددها رقم ٣١ الصادر في ٣ محرم ١٣٢٨ هـ بان الاستاذ ناجي السويدي كان رئيس محكمة تجارة البصرة وجرى تحويله الى عضوية محكمة الاستئناف في بغداد وذلك بطلب منه لانه مكث في البصرة مدة طويلة .

---

(١) المعروف انه كان عبدالرزاق العامر . — الناشر —

اعرف البصرة في تاريخ
الفتـــرة المظلمـــة

١ ـ سواح زاروا البصرة في القرن التاسع عشر فماذا قال عنها الرحالة بكنغهام؟

٢ ـ متى ظهر في البصرة حصان مجنح فسماه الناس بالبراق ؟

٣ ـ من هي شجرة در البصرة . . ؟

٤ ـ أعظم لاعب شطرنج دولي كان من البصرة . .

٥ ـ أعرف كوت الافرنكي وكوت السيد . .

٦ ـ بعض حوادث البصرة في القرن التاسع الهجري . .

ضربت البصرة رقماً قياسياً في زيارة السواح لها والكتابة عنها في القرن التاسع عشر الميلادي فلقد زارها ميرزا ابو طالب خان سنة ١٨٠٢ م وهو رجل هندي كتب رحلته ـ رحلات في آسيا واوربا وأفريقيا ـ وطبعت هذه الرحلة في لندن سنة ١٨١٠ م وكانت تحتوي على وصف ساحر لمدينة البصرة .

ثم زارها الرحالة الانكليزي بكنغهام سنة ١٨١٦ ـ ١٨١٧ م وسنذكر مفصلا كتابته عنها .

وبعده زار البصرة مستر ـ و. هود سنة ١٨١٧ م وكتب عنها في كتابه : (رحلة في الخليج الفارسي) الذي طبع في لندن سنة ١٨١٩ م .

ثم جاء بعده الاونورابل ج . كيبل سنة ١٨٢٤م و كان من المتصلين بشركة الهند الشرقية وكتابه المسمى (سياحات في بابل وآشور وميدية وسكيثية) وطبعت الرحلة في لندن سنة ١٨٢٧ م .

ثم زارها الرحالة المستعار اسمه بالحروف (آر . سي . أيم) الذي تحدث في كتابه (رحلة في ايران) وقد ذكر البصرة في سياق كلامه ومدحها بالحسن والطيب وقد طبعت رحلته في لندن سنة ١٨٢٨ م .

وبعد ذلك جاءها مستر آر . مينيون سنة ١٨٢٧ م فكتب (سياحات في بلاد الكلدان) وطبعت الرحلة في لندن سنة ١٨٢٩ م وكان هذا الرحالة من رجال شركة الهند الشرقية وقد ذكر بعض الحوادث عن البصرة ملخصة عن كتاب زاد المسافر .

وفي سنة ١٨٣١ م زارها مستر ج . آر . ويلستيد وهو من المنتمين الى الاسطول الهندي وقد كتب رحلته (رحلات في مدينة الخلفاء) وقد ذكر الطاعون الذي حل بالعراق سنة ١٨٣١ م وطبعت رحلته بلندن سنة ١٨٣٠ م .

وفي سنة ١٨٣١ م زارها مستر ج . ه . شوكلر وهو صحفي جاء ليكتب للصحف وكان كتابه « خمسة عشر شهراً من زيارة لجهات غير معروفة في خوزستان وايران » وكانت الرحلة في جزءين وقد احتوى الجزء الاول منها وصفاً مهما للبصرة وقد طبع الكتاب في لندن سنة ١٨٣٢ م .

ثم كتب عنها المسيو فونتانييه وهو القنصل الفرنسي في البصرة سنة ١٨٣٥ـ ١٨٣٦ م وكان من اعداء الانكليز وقد وصف البصرة وعلاقتها بالعرب وبغداد والشمال والمحمرة وتركيا والهند وقد طبع كتابه بباريس سنة ١٨٤٤ م .

وزارها بين سنة ١٨٤٠ ـ ١٨٥١ م مستر أ. هـ. لايارد وكتب رحلته: « المغامرات الأولى في ايران وسوسيانا وبابل » وكان كتابه طريفاً باسلوب أدبي شيق اكثر مما هو تاريخي وقد طبعت الرحلة في لندن سنة ١٨٩٤ م .

وكتب عن البصرة الكوماندر فيلكس جونز وهو الذي كان مع لنج وسيلي حيث يعدون خرائط مسح دجلة والفرات لتشغيل البواخر فيها وكان فيلكس قد زار البصرة اثناء مكوثه في العراق سنة ١٨٤٨ ـ ١٨٥٥ م وكتب مشاهداته في العـــدد رقم ٩ و ١٠ و ١١ من مجلة جمعية بومبي الجغرافية وكان ذلك بين سنتي ١٨٤٩ ـ ١٨٥٦ م .

ثم كتب عن البصرة المستر لوفتس وهو احد أعضاء لجنـة تخطيط الحدود بين العراق وايران سنة ١٨٤٩ م وكان كتابه « رحلات وتنقيبات في بلدان الكلدان وسوسة » طبع في لندن سنة ١٨٥٧ م .

وجاء بعده المستر جي كبري وهو صحفي كتب رحلته «في تركيا الاسيوية» وكانت زيارته للبصرة سنة ١٨٧٨ م أما كتابته الصحفية فكانت سطحية اكثر مما هي علمية وقد طبعت الرحلة في لندن سنة ١٨٧٨ م .

وكان آخر الرحالة الاجانب الذين زاروا البصرة في القرن التاسع عشر الميلادي المستر (كاوبر) وهو من السواح الكتاب وقد وصل البصرة سنة١٨٩٢م وكتب رحلته « في بلاد العرب الآسيوية » وكان قد وصف الفرات وبغـــداد والبصرة التي أعجبته بجمالها الطبيعي وقد طبعت رحلته في لندن سنة ١٨٩٤ م .

من هو الرحالة بكنغهام وماذا كتب عن البصرة ..؟

هو رحالة انكليزي زار الخليج العربي والبصرة سنة ١٨١٧ م ـ ١٢٣٣ هـ

ومكث فيها اكثر من ثلاثة أشهر وسجل معلوماته عن هذه المنطقة في رحلته المسماة «رحلات الى ميديا وآشور» وقد طبعت هذه الرحلة بلندن سنة ١٨٣٠ م .

ويقول الرحالة ان البصرة هي ميناء الخليج الرئيسي .. كما قال انها تقع على الضفة الغربية لشط العرب وهي على شكل مربع متطاول تحيطه أسوار من اللبن غير منيعة ولها خمسة أبواب كبيرة هي باب المجموعة وباب السراجي وباب الزبير وهذه الثلاثة تقع في جهتها الجنوبية الغربية كما هناك باب الرباط وهي قريبة من المقام ثم باب بغداد وعندها تزدحم بيوت المدينة .

ثم يرجع الرحالة فيقول انه شاهد باباً جديدة تبنى بين باب بغداد وباب الزبير وقد سميت باب «بيكنا» ومعناها بالتركية باب المتسلم .

ومع ان الرحالة اعتبر هذه الابواب حقيرة وليست ذات اهمية فان من المعروف لدينا بانها كانت مبنية من الطابوق والجص والصخر القوي وعلى شكل يصعب تسلقها من الخارج او هدمها بسهولة كما لها منافذ للمقاومة والرمي وقذف النار على المهاجمين .

ويظهر لي ان الرحالة لم يبتعد عن المدينة كثيراً ولذا فهو يقول ان للمدينة ثلاثة جداول كبيرة تتفرع من شط العرب وتخترق اجزاءها فتعم الفائدة لري كل بقعة من البصرة كما يتم بواسطتها نقل السلع والبضائع لسد حاجيات السكان في الضواحي .

والمعروف انه كان يعني بالانهر الثلاثة هي نهر الرباط والسراجي والعشار ومع انه لم يذكر اسماء هذه الانهار فانه يقول بان النهر الشمالي والجنوبي يدخلان المدينة من الشمال الى الجنوب ويعني بها «نهر الرباط والسراجي» ثم يقول :

وبعد أن يخترقانها كل الى جهته المقابلة الثانية يبدئان بالاتحاد في خارج سور المدينة فيكونان خندقا طبيعياً يحمي المدينة ويزيد من قوة السور في الدفاع ثم يرجع متحدثاً عن النهر الثالث وهو نهر العشار فيقول انه يتجه الى الجهة الغربية من الشط مخترقا المدينة وعليه يعتمد السكان بتزويدهم بمياه الشرب والسقي والمواصلات حيث تسير الابلام والقفف والدوناق - زورق كبير للشحن - .

ولقد اعجب الرحالة الانكليزي بكنفهام بظاهرة المد والجزر فقال انها تساعد السكان على السقي والتنقل ولم يذكر لنا طرق السقي والتنقل اثناء زيارته للبصرة

كما وانه لم يحدثنا عن مجالس البصرة في الانس والطرب والاجتماعات على ضفاف هذه الانهار وخروج الناس كل يوم وخاصة اوقات العصر والليل للنزهة في القوارب او الجلوس بمجاميع على ضفاف الانهار بين العشب والازهار والنخيل والاثمار كما وانه لم يحدثنا عن طرق نقل المياه من هذه الانهار الى البيوت لاستعمالها للشرب والطبخ والغسل ولا عن الاوامر التي صدرت مشددة بمنع الناس من رمي الزبل والاوساخ في الانهار او التبرز او التبول على ضفافها وذلك دفعاً لأخطار المكروبات .

ولكن بكنفهام يصف الداخل الى شط العشار الذي سماه بالشط الوسطي فيقول انه اذا أراد أن يدخل البصرة أي قادم من الخارج وغير الطريق البري فانه لابد وان يمر من صدر هذا النهر الضيق حيث اقيمت على جهته اليسرى قلعة مدورة الشكل مع مسجد له منارة ليست كبيرة تقع على الجهة اليمنى .

وأظن الرحالة يعني بالمسجد هو مسجد المقام الحالي حيث تؤيد التواريخ بانه كانت للمسجد منارة صغيرة ولكنها جميلة وقوية قاومت الزمن بالرغم من

الاهمال الذي اصابها من قبل المسؤولين أخيراً .

أما القلعة التي يعنيها الرحالة فهي دار المتسلم او القائمقام كما وان الى جوارها كانت بناية الكمرك - لا تزال موجودة الى اليوم - مع عدد من بيوت الموظفين ومقهى للاستراحة مع حانوت .

وفي مذكرات صبري افندي امين صندوق البصرة انه سمع سنة ١٩٠٧ م بأن الكمرك كان مبنياً من الطين وله عدة مخازن وغرف للموظفين وان عدة مقاهي على شكل اكشاك كانت موجودة بالقرب منه كما كانت هناك عدة بيوت من الطين شبه منظمة ولها نوافذ للموظفين كما كانت هناك صرائف للخيول والحمير للايجار حيث كانت هي واسطة المواصلات فاذا أردت ان تذهب من الكمرك الى البصرة او تحمل بعض الاحمال اجرت حماراً او بغلا او حصانا حسب رغبتك للوصول الى داخل المدينة او محلك المقصود .

كما كانت هناك محلات تؤجر وخاصه للسفانة - أصحاب السفن - الذين يأمون البصرة لنقل البضائع وهذه المحلات على شكل فنادق تسمى - مسافرخانة - يمكن ان يرتاح فيـه الشخص او يبيت الليل او عدة أيام باجور زهيدة وأحياناً كان يقدم للمسافر الفراش والطعام .

ولم يذكر الرحالة النقطة العسكرية الصحية ولا المحجر الصحي الذي كان لابد للقادم الى البصرة أن يدخله وان لم تكن هناك امراض لأن - الكرنتينة - كانت تستعمل حسب ما تقتضيه مصلحة والي البصرة وموظفيـه حتى يبتزوا الرشوة من الناس لأن الذي لا يدفع الرشوة يعرض نفسه للحجز عشرة أيام ولو كان صحيحاً والذي يدفع - الخاوة - فانه يخرج سالماً ولو كان مريضاً .

وكانت مدام ديو لافوا الرحالة الفرنسية قد تحدثت عن هذه الكرنتينة عند زيارتها البصرة سـنة ١٨٨١ م وتعرضت لموظفيها ووصفتهم بالمرتشين ونعتتهم بعدم الفهم (ترجمت وطبعت رحلتها دار منشورات البصري) .

وكذلك كان عند مدخل النهر أسياف وبيادر منتشرة للحبوب وشريعتين كبيرتين لرسو السفن والأبلام والمهابل وهي تودع المسافرين وتستقبل آخرين أو انها تحمل حاصلات البصرة أو ترد لها بالحاصلات .

وكانت الشريعتان على جانبي نهر العشار تقابل احداهما الأخرى اما القلعة التي يتحدث عنها الرحالة فهي القلعة التي كانت تسمى (قلعة القمندان) او (القمندار) وهي ثكنة بحربة كانت تحمي البصرة من الغزاة الذين كانوا يهاجمونها من جهة نهر العشار وكان فيها عدة محلات للمدافع والبنادق ومخزن للبارود كما كانت (سوبيرات) خنادق خارج القلعة وفيها عدة نقط مبنية بالطابوق وفيها ثقوب لرمي الرصاص .

ويذكر بكنفهام انه توجد على جانبي العشار بيوت وابنية وان البيوت على الجهـة اليسرى كانت عبارة عن سكلات خشبية ـ أرصفة ـ ومخازن كبيرة للحاجيات المطلوبة لبناء السفن والزوارق .

ولقد كان الرحالة مصيبا في قوله لأن البصرة أصبحت يوما ما مدينة خاصة لصنع الزوارق والسفن الشراعية لان طبيعة البصرة وشط العرب تساعدان على هذا العمل كما كان الابحار من شط العرب سهلا وعلى هذا الاساس بنت الحكومة العثمانية معملا لتصليح السفن فى البصرة وأرسلت المهندس ـ بير بك ـ مع عدد من الضباط والمهندسين والمشرفين ليقفوا على العمل وسيره ولقد انظم عدد كبير

من شباب البصرة الى العمل في هذا السلك وقد تفنن البصريون بعد ذلك فكان أن برز منهم العدد الوافي من السفانة وصناع السفن .

ولقد اشتهرت الاشرعة البصرية كما اشتهرت البصرة بعمل نوع خاص من الابلام سميت (العشاري) وكانت طويلة ورفيعة ومجهزة بظلال يوقي عن الشمس يسمى (ذلال) وقد أصبحت هذه الابلام من أهم وسائط النقل فى البصرة كما كانت تستخدم للسفرات النهرية وللانس ولا يزال أهل البصرة مولعين بها علما بان هناك نوع خاص من الابـلام الاخرى كانت تستخدم وتصنع في البصرة وهي الابلام النصارية .

وكان الرحالة بكنغهام قد سمى الضفة اليمنى من نهر العشار بالمقام حيث يقول انه يسكن فيه القائمقام كما قال ان الجهة الثانية من النهر كلها تسمى بالمناوي .

وأنا أقول ان قول الرحالة كان غلطـاً لان منطقة المناوي كانت على نهر المناوي وفيها قرية المناوي التي كانت مسورة وهي على شكل ميناء رئيسي للبصرة وطريق نهري يوصل القادم الى البصرة فيدخل المدينة .

ومنطقة المناوي كـانت تقع غرب نهر العشار ولـكن لا على صورة مباشرة بل كانت هناك بساتين ونخيل ومسافات تفصلها عن النهر ومع ان بكنغهام زار البصرة سنة ١٨١٧ م فان آثار سور المناوي كانت باقية ولكنه لم يشاهدها .

والبصرة مسورة من جهتها الغربية الى أن ينتهي السور بعض الانهار والبساتين فكانت بعض الاماكن والقرى القريبة من شط العرب لا تدخل ضمن السور ولـكن حسين باشا بن علي باشا أفراسياب حاكم البصرة قام سنة ١٠٥٧هـ ـ ١٦٤٧ م لتجديد السور فادخل قرية المناوي داخله وانهاه عند شط العـــرب

فكانت المناوي بمزارعها و حقولها داخل السور حتى اصبح أهالي البصرة لايخافون الجوع او الحرمان لكثرة المحضرات و الحبوب والفواكه اثناء حصار مدينتهم

ثم اخذت أهمية المناوي تزداد فبنيت على فم النهر قلعة حربية كبيرة شاهدها (تكسيرا)قبل ذلك عند زيارته للبصرة سنة ١٦٠٤م و كانت محاطة بسور خاص وخندق خاص من جميع جهاتها لكي يزداد تحصنها ولكن القلعة التي شاهدها تكسيرا لم تكن القلعة التي شاهدها بكنغهام سنة ١٨١٧ م حيث بنيت الثانية على انقاض تلك القديمة وبصورة اكثر مناعة منها .

وتحدث الرحالة عن نفوس البصرة فقال انها تختلف باختلاف الازمنة فهي بين الخمسمائة الف وخمسين الف ثم يقول ان الاخير هو الحد الادنى لنفوس البصرة حيث بلغه بعد الطاعون الذي هاجم البصرة سنة ١٧٧٣ م وفتك بأهلها فكان ضحيته ثلاثمائة الف نسمة .

أما نفوس البصرة حين زيارة الرحالة لها فكان مائة الف نسمة ستين بالمائة منهم عرب أما الباقين فهم الارمن والايرانيين والاكراد والهنود والصابئة واليهود والمسيحيين الكاثوليك .

والحقيقة ان محلات البصرة كانت في ذلك التاريخ خمسة وعشرين محلة او اكثر بقليل وكان يتراوح عدد بيوت كل محلة بين ١٨٠ داراً الى ٣٠٠ داراً مع عدة ضواحي كانت متصلة بالمدينة .

وكانت اكبر المحلات اتساعا جسر العبيد والمشراق والسيمر والسبخة والعروة والجبل كما كانت هذه المحلات تسع لاكبر عدد من السكان واكثر سكانها من العرب وهي أعمر الاقسام حتى قال الرحالة ان الطبقات العليا من العرب

كانت بيدها التجارة كما كان من العرب العمال والفلاحون أما الوظائف فبيد الاتراك على قلتهم وكان الحل والعقد بايديهم .

وكان متسلم البصرة بكر أغا وهو بصري المولد ولكنه تركي الأصل ونظراً لبقائه في استانبول عدة سنين واشتراكه باكثر الحروب التي خاضتها تركيا وخاصة ضد الروس فهو يعتبر تركي وقد دام حكمه للبصرة من سنة ١٢٢٩ ـ ١٢٣٦هـ ـ ١٨١٣ ـ ١٨٢٠ م .

ولقد كانت سياسة الحكومة التركية ان تمسك بزمام الامور ولا تدع الوظائف الحساسة بايدي غير الاتراك ولذا فان ـ القاووق ـ وهو اللباس التركي التقليدي لباس هؤلاء الذين يحكمون البلد بمساعدة الجنود الاتراك والكرج والايرانيين والعرب الذين على قلتهم التي لا تزيد عن خمسمائة كانوا مسيطرين على الوضع .

وكانت الرواتب تدفع لبعض المرتزقة للدفاع عن المدينة وعدد هؤلاء كان يقدر بالف وخمسمائة خيال وخمسمائة من المشاة ولكن الوالي ـ المتسلم ـ كان له حرس خاص من الاتراك المخلصين للدولة العثمانية وكان عـــددهم يقدر بسرية واحدة ولهم لباسهم الخاص يتألف من سترة حمراء مزينة بقياطين ســـوداء وسراويل زرقاء مع عمامة بيضاء نظيفة وزاهية .

وكانوا يحملون البنادق الانكليزية الجيدة واحزمة سوداء مملوءة بالخراطيش كما كان رؤساءهم يستعملون السيف او المسدس الفرد .

وكانت هناك ايضاً الصابئة الذين يقول عنهم الرحالة ان اصلهم من يوحنا المعمدان وفي البصرة كانت ثلاث أسر منهم أما في القرنة فمائة اسرة وخمسين اسرة في سوق الشيوخ وجميعهم يشتغلون بالصياغة والسباكة الى اليوم .

والملاحظ ان الرحالة لم يتطرق الى عادات الصابئة وطرق معيشتهم كما تطرق الى آخرين بل قال انهم يلبسون الملابس العربية ويتسمون باسماء اسلامية .

ثم رجع الى الارمن فقال انهم يبلغون في البصرة خمسين اسرة وهم أمناء نشيطين يمتهنون المهن المالية والتجارية ولباسهم لا يختلف عن لباس السكان وانهم يتمتعون بعطف المقيم البريطاني .

ان قول الرحالة هذا غير صحيح لان الارمن كانوا يرتدون الملابس الاوربية ولا يرتدون العباءة واليشاغ او الزبون ولم يكن الجميع في حماية المقيم البريطاني اذ ان قسما كبيراً منهم كان من التبعية اليونانية او العثمانية .

وقال الرحالة ان النصارى الكاثوليك كانوا قليلين فهم عشرين اسرة فقط بينهم عدد من سكان البصرة النصارى القدماء وهم يتعاطون التجارة وكانت لهم كنيسة ترتبط بمستشفى الاخوان الكرمليين .

وانا أدرى بان الرحالة المذكور لم يعرف شيئاً عن تاريخ هؤلاء النصارى الا القليل ولم يعرف بانهم من أصل سكان المنطقة الجنوبية من العراق وقد كانوا زمن الدولة العباسية والراشدية والاموية وان الشيخ مغامس المنتفكي عند حكمه للبصرة وتوطيد علاقته بالهولنديين وقع معاهدة صداقة وتجارة وتعاون معهم وتعهد بحماية كنيسة الكرمليين وذلك سنة ١٧٠٥ م ١١١٧ هـ وكان الكرمليون قد سكنوا البصرة منذ سنة ١٦٢٣ م .

ثم يرجع الرحالة الى يهود البصرة ويقول بانهم مائة اسرة وأظن بأن الرحالة أخفق في تقديره لان عدد اليهود في البصرة كان اكثر من عدد أي طائفة اخرى وكان منهم الكتاب والموظفون والتجار والصاغة والصيارفة وكانت لهم مدرسة

خاصة بهم وهي على صورة كبيرة موسعة من الكتاتيب الاسلامية .

ويكفي ان نعرف ان عدد اليهود في البصرة كان سنة ١٨٨٠ م نحو من ثلاثة آلاف وهذا العدد يذكره صاحب كتاب مباحث عراقية ويقول ان عددهم أخذ بالنقصان في أواخر الايام لكثرة هجرتهم الى حلب والهند .

ولم يذكر لنا الرحالة شيئاً عن حالة اليهود الاجتماعية ولم يصف لنا ازياءهم وطرق اجتماعاتهم الدينية علماً بانه كانت هناك كنيسة - توراة - مع مقبرة خاصة لليهود ومع حاخام ومحل لذبح الدجاج والاغنام ومعملا لاستخراج الشيرج .

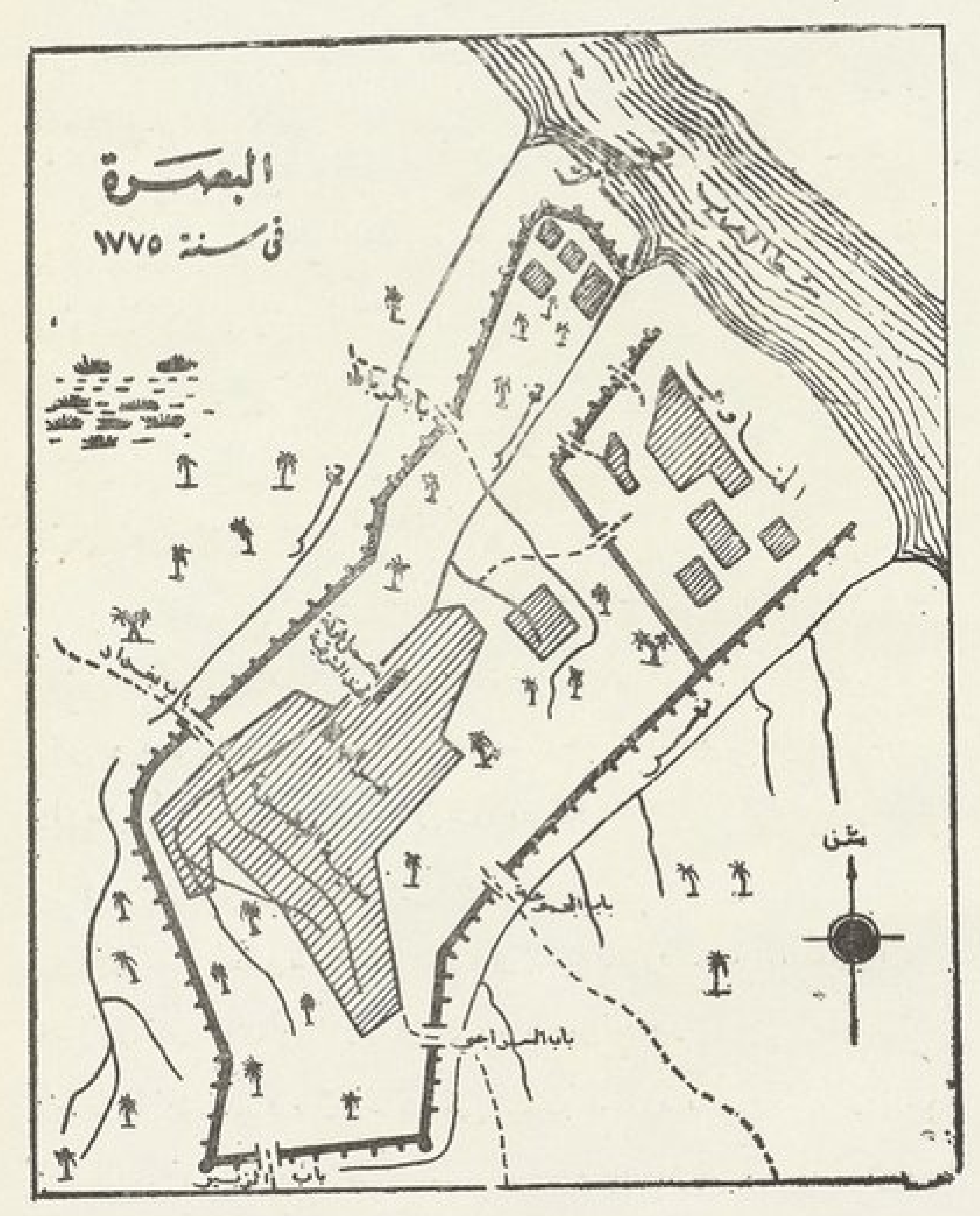
ثم يتحدث الرحالة عن الهنود ويقول انهم من البانيان وكانوا يشتغلون بالدلالة والخياطة والحياكة اليدوية ووكلاء اخراج ومضمدين وطباخين وحراسا وفراشين للقنصلية البريطانية .

والحقيقة ان الهنود في البصرة كان اكثرهم من المسلمين ولم يكن فيهم من البانيان الا عشرة بالمائة وكان هناك عدد اكبر من السيك والبراهمين وغيرهم وكان عددهم يبلغ نحو من ١٢٠٠ نسمة وقد اختلطوا بالسكان وخاصة الاسلام منهم واصبحوا لا يختلفون عن اهل البلاد في شيء .

أما توفيق بكنفهام فكان في وصفه لشط العرب والنخيل والحاصلات الزراعية وطيبة الارض وحالة الفلاح ووفرة الميـــاه وأخلاق أهل البصرة التي قال بانها كانت جيدة مع الاجانب لانهم قد اختلطوا بهم عكس سكان العراق الباقين فهم يكفرون الاجنبي غير التركي ولا يتقربون اليه ويتنجسون منه .

ولم يحدثنا الرحالة عن مجالس البصرة وخاصة في لياليها كما وانه لم يتصل بالعلماء والمثقفين غير الذين عرفهم بواسطة المقيم البريطاني وعليه فان رحلته الى

البصرة وكتابته عنها ولو كانت فيها بعض المتعة الا انها ناقصة ومع ذلك فقد أطرفنا بحديثه عن البصرة قبل قبل ١٥١ سنة .



﴿ خارطة البصرة عند زيارة الرحالة بكنغهام لها ﴾

حول كوت الافرنكي وكوت السيد :

الكوت في اللغة معناه البيت المربع ويصغر على شكل كويت وهو اسم علم مشهور وكانت مدينة الكويت الحالية كوت صغير بناه آل عريعر من الخوالد .

وكذلك عرف هذا الاسم باللغة الهندية والايرانية فكان معناه يقارب المعنى العربي حيث هو الحصن او الملجأ او القلعة او البيت الكبير المسور الذي يكون لرئيس العائلة وتبنى حوله بيوت الأهل والاولاد .

ومما يجب ان لا ننساه ان لفظة الكوت لا تقال الا للبناء الذي يكون قريباً من الماء دون الالتفات الى نوعية الماء من حيث هو بحيرة او نهر او بحر .

وبمرور الزمن تحورت هذه اللفظة فاصبحت تشمل كل أرض خصبة تنبت العشب وهي قريبة من الماء أملا بانها لابد وان تسكن من قبل الفلاحين والرعاة .

ويقول المؤرخون ان هذه اللفظة ليست حديثة الاصطلاح بل انها آشورية الاصل او بابلية او كلدانية فلقد ورد في سفر الملوك ١٧ ـ ٢٤ قوله : وأتى ملك آشور يقدم من بابل و كوت دعوا وحماة .

وكانت تلفظ ايضاً كوتا وكوتي وهي المدينة المعروفة بمدينة ابراهيم وتسمى ـ كوتي ربي ـ أي بيت الرب وتدعى اليوم جبل ابراهيم .

وفي كوت الافرنكي عرفنا معنى الكوت أما الافرنكي فهذه مأخوذة من ـ الافرنج ـ والمصدر افرنجي حيث كانت هذه المنطقة من البصرة تسكن من قبل الافرنج حيث كانت هناك مزرعة للاوربيين ومنذ زمن الدولة العثمانية كان

اتجاه الانكليز والفرنسيين اليها حتى اذا ما جاءت الحرب العظمى الاولى حفر الانكليز قناة فيها وبنوا مسفناً ومعملا لتصليح السفن وسموا المنطقة الداخلية منها - بورت مارين - أي منطقة الميناء البحري وتسمى منطقة كوت الافرنگي اليوم - حي الاندلس - .

أما كوت السيد فلقد كانت بساتين تابعة للارمني مسروبيان وفيها من فلاحين التعابة ثم في سنة ١٩٢٢ م اشترت شركة هلس اخوان - بيت الجوك - هذه الارض من مسروبيان واعطت الفلاحين التعابة ثلاث ربيات عن كل نخلة فيها وكان عدد نخيلها لا يزيد عن عشرة آلاف نخلة .

ثم أرادت أن تعطي هذه الارض الى موظف قدير يديرها فعينت (دوسن) لادارتها وكان يعاونه في ذلك السيد عبود شبر واسست مزرعة كوت السيد .

وكان الناس قديماً يسمون هذه المنطقة بمنطقة مسروبيان ولكن نظراً لأن سكان هذه المنطقة اكثرهم سادة وان الفلاحين التعابة كانوا من السادة أيضاً اقترح دوسن أن تسمى المنطقة بمنطقة كوت السيد خاصة وانها مملوءة بالاكوات - جمع كوت - وكان يسكن كل كوت منها اناس من السادة الاجلاء .

ومن أشهر اكوات منطقة البصرة كوت الجوع وكوت الشيخ وكوت السادة وكوت ابن نعمة وكوت الزهير وكوت الباشا وكوت الـكوام وكوت الخليفة وكوت غضبان وكوت العصيمي وكوت بندر وكوت الفداغ وكوت عباس وكوت ابن جلاوي وكوت السني وكوت اليوم وكوت زغير كما هناك عدة اكوات اخرى

بعض حوادث البصرة في القرن التاسع الهجري :

في سنة ٨٤٠ هـ - ١٤٣٦ م حدث في البصرة أعظم مد ارتفع فيه الماء حتى

غمر اكثر ارض البصرة مما سبب في دمار المزروعات وهلاك الحيوانات وانتشار البعوض وفقدان المواد الغذائية وتكدس الناس باعداد كبيرة في محلات مرتفعة وضيقة مما أدى الى ظهور الامراض وخاصة الحمى التي فتكت بالبصريين حتى يقال انه كان يموت بالبصرة يومياً ٣٠٠ نفس .

ثم روعت البصرة سنة ٨٦٠ هـ - ١٤٥٦ م باعظم زلزال خرب وسبب في قتل الناس وارتفاع المياه في الانهار وقلع بعض الاشجار .

ومما تجدر الاشارة اليه ان في هذه السنة تعرضت كل من الكوفة وبغداد للزلزال ايضاً وكانت بغداد قد تعرضت الزلزال ثلاث مرات في ساعة واحدة .

وفي سنة ٨٦٨ هـ - ١٤٦٣ م ظهر في البصرة فرس له جناحان يطير بهما نحو مائة ذراع .

وكان هذا الحيوان يخرج نهاراً من البحر ويدخل ضواحي البصرة وكان الناس يطاردونه وهم على ظهور الجياد العربية الاصيلة التي كانت تشتهر بها البصرة وتتاجر بها مع الاقطار العالمية وخاصة الهند .

وكان هذا الحيوان البحري أسرع من الجياد كلها بل انه بسرعة البرق وكان اذا حاصرته الرجال وهم على الخيول فانه يطير مستعملا جناحيه .

وقيل ان هذا الفرس البحري الطيار كان يركن الى البحر ليلا فاذا اصبح الصباح ظهر للعيان متبختراً سائراً وهو رافع رأسه الى الاعلى فاتحاً جناحية مرة ثم يطبقهما أخرى .

وقيل ان اكثر من خمسمائة فارس حاولوا صيده وطاردوه ولكن بدون جدوى حيث يستعمل الطيران في الهروب .

وكان جسمه بقدر جسم الحصان الاصيل وهيئته جميلة ولم يعرف انه تناول طعاماً أو شيئاً من الاعشاب سوى انه كان أحيانا يشرب من مياه الغدران والانهار

ولقد أقام على ذلك عشرة أيام ثم اختفى وقد بقيت اخباره تتناقلها الالسن الى ما قبل نصف قرن حيث ذكر ان شعره كان ذهبي اللون ورقبته طويلة مجللة بالشعر فاذا أشرقت الشمس شع النور من شعره حتى سماه البعض بالبراق .

ومن حوادث القرن التاسع الهجري استيلاء ـ دوندي ـ على البصرة بعد أن أخذتها من أمير العرب مانع . وكان مانع هذا قد انتزعها من ـ الجلايرية ـ في امارة السلطان أحمد بن أويس .

وقد ماتت دوندي سنة ٨٢٢ هـ فكان استيلاؤها علي البصرة سنة ٨٢٠ هـ ١٣١٧ م وقد اقيم ولدها أديس مكانها .

وقد ذكر العزاوي (دوندي) في كتابه تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ٥٥ فقال انها بنت السلطان حسين الجلايري وكانت بارعة الجمال ذهبت مع عمها السلطان احمد الى مصر فتزوجها هناك الملك الظاهر برقوق ثم فارقها فتزوجها ابن عمها شاه ولد بن الشيخ علي بن أويس الذي دبرت (دوندي) في قتله وذلك في سنة ٨١٩ هـ .

وقد ملكت دوندي غير البصرة واسط والحويزة وضربت السكة باسمها في البصرة كما كان يدعى لها على المنابر وفي كل الصلوات .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الدولة الجلايرية انقرضت سنة ٨٣٥ هـ ويقال أن الجلايريين ماعوا في البصرة . وخوزستان ولم يعرف لهم أثر علماً بأن أصلهم من المغول .

ومن حوادث هذا القرن ايضاً انه في شهر شعبان من سنة ٨٣٨ هـ - ١٤٣٤م ملك البصرة ابراهيم بن شاه رخ. الذي أراد اولا العدل ثم انقلب على أهل البصرة فحدثت معركة بين جنده وأهل المدينة ليلة عيد الفطر وكان نتيجتها انهزام جيش ابراهيم بعد أن قتل منه عدد كبير.

وكان ابراهيم شابا جميلا ويحب الفنون الجميلة ومنها الخط ويقال انه كان خطاطا ماهراً وقد جمع حوله الخطاطين وأخذ يشجعهم. مات في رمضان سنة ٨٣٩ هـ.

ومن حوادث القرن التاسع الهجري ايضاً وفاة ابن دليم محمد بن يوسف بن احمد بن محمد القريشي الزبيري البصري وكانت وفاته سنة ٨٤٤ هـ.

وقد توجه من البصرة سنة ٨٤٣ هـ الى مكة ثم رحل منها الى طيبة وبقي مدة وفي طريق عودته الى مكة وفي محل قريب من ساحل جدة توفي هناك وكان ذلك في شهر ذي القعدة وقد حمل الى مكة ودفن بها.

وابن دليم هذا فقيه متكلم وكان حديثه يمتاز بالتروي والثقة ويقال ان له بعض التفاسير المخطوطة وقد ضاعت وكان يريد تبييضها في مكة ولكن المنية عاجلته

ومن الحوادث ايضاً وفاة - الحاجة - ملك ابنة محمد بن حسن بن محمد البصري ويعرف ابوها بالكواز وكانت قد ذهبت الى الحج مرتين وفي الثانية بتاريخ ليلة الجمعة ١٨ شوال سنة ٨٤٥ هـ توفيت في مكة تحت هدم.

وكانت الحاجة المذكورة كريمة النفس والنسب تعمل للبر والخير متدينة تنفق من مالها للفقراء والمساكين وعلى خدام بيت الله الحرام.

وكذلك توفي في هذا القرن عطاء بن عبدالعزيز بن عبدالكريم بن عبد الله

ابن الـكحال محمد بن سعد الدين محمـد بن ابي الفرج بن ابي العباس بن زماخنة الاديب شجاع الدين ابو حسين بن العز الجلال القحطاني البصري الشافعي الذي يعرف بابن لوكة .

وسمي بذلك نسبة الى اللوكة وهو القطن الجديد المحلوج الخالي من الشوائب وقد اشتهرت اسرته بتجارته وكانت البصرة تنبت القطن بكثرة وتتاجر به مع امارت الخليج العربي وايران وتركيا .

ولد ابن لوكة في البصرة في شهر ربيع الاول سنة ٧٩٤ هـ نشأ بها حيث تعلم القرآن والفصاحة وكان شعره من النوع الجيد .

وقد سافر الى الحلة وبغداد واجتمع بادبائها وشعرائها كما سافر الى ششتر ثم اخذ يتردد على الحجاز واليمن والهند .

ولقد تعرف على الكثيرين من ابناء الهند والجالية العربية الذين أحبوه وكانت نيته ان يمكث نهائياً في مكة او المدينة ولكنه مات في مدينة كلكتا بالهند في شوال سنة ٨٦٠ هـ .

ومن الحوادث ايضاً وفاة الشيخ عبد الله البصري وهو ابن عبدالواحد بن محمد زيد جمال الدين بن زكي الدين الشيرازي الأصل البصري الشافعي .

ولد في البصرة سنة ٨١٩ هـ ونشأ بها وتعلم على ابراهيم بن احمـد بن زقزق وعلى ابنه محمد كما وانه كان يتعلم اللغة الفارسية .

وفي سنة ٨٤٨ هـ قصد مكة حاجا ثم رجع الى البصرة واصطدم مع المشعشعين الذين كانوا يحتلون المنطقة الكبيرة من جنوب العراق ومنطقة عربستان والحويزة وقد فر الى مكة سنة ٨٦٣ هـ وهناك اجتمع بعلمائها ورجالاتها .

وقد ذكره المؤرخون فقالو انه كان عالماً جليل القدر شاعراً يميل الى الجدل ولكنه احياناً كان يروي الاحاديث غير المستندة ليدافع بها عن رأيه .

ومن تصانيفه كتاب فتح الرحمن في مسألة دور الضمان كما له بعض الشروح والتعاليق التي لم تشتهر كثيراً .

توفي ليلة السبت ١٨ صفر سنة ٨٩٣ هـ عن عمر يبلغ الرابعة والسبعين وقد دفن بالمعلاة بمكة .

وممن توفي من البصريين في القرن التاسع للهجرة أيضاً ابن زقزق وهو محمد ابن ابراهيم بن محمد بن احمدالبصري وكان ابوه وأخوه محمد من علماء البصرة ايضا

لقد رحل ابن زقزق الى مكة وسكنها وقد رآه السخاوي في مكة سنة ٨٩٣هـ وتحدث عنه . كما وانه سكن المدينة المنورة عدة سنين .

وقد أخذ عنه الشيخ عبدالله البصري صاحب كتاب فتح الرحمن في مسألة دور الضمان كما ذكره المؤرخون فقالوا انـه كان ممن أخذت عنهم القراءات كما تميز بالعربية والفقه .

ومن مؤلفاته شرح الجواهر الذي يقال انه أجاد فيه كل الاجادة .

توفي في شهر رمضان سنة ٨٩٨ هـ ـ ١٤٩٣ م .

ويقال ان ابن زقزق كان بشعره متأثراً بابن الكبوش البصري وهو عزالدين عبدالسلام بن صالح البصري الشاعر المعروف .

وكان ابن كبوش قـد نشأ في البصرة وبرز بها وصارت له مدرسة خاصة وكان قد سكن في آخر حياته في المدرسة النظامية .

ولم يكن ابن كبوش بالشاعر الأديب فحسب بل كان صناعياً كيماويا وله

قصيدة في رثاه عزالدين عبدالعزيز بن جعفر النيسابوري منها قوله :

يزدحم القول حين امدحه   كجوده والوفود تزدحم
كأنما النظم من سهولته   بنظمه قبل نظمه الكلم

وقد ذكره صاحب كتاب الحوادث الجامعة في ج ٥ وفي عدة صفحات . كما نسب المؤرخون قوله :

عطا ملك عطاؤك ملك مصر   وبعض عبيد دولتك العزيز
تجازي كل ذي ذنب بعفو   ومثلك من يجازي أو يجيز

وقد توفي ابن الكبوش سنة ٦٧٦ هـ ـ ١٢٧٧ م ولكن شعره بقي حياً تتناقله الأفواه وقد حدثني أحدهم بان العلامة محمد الامين الشنقيطي المتوفى في الزبير في ١٤ جمادى الثانية سنة ١٩٣٢ م ـ ١٣٥١ هـ والشيخ محمد بن عبد الله العوجان المتوفى في جمادى الاولى سنة ١٩٢٤ م ـ ١٣٤٢ هـ كانا من الذين تأثروا بشعر وأدب ابن كبوش الذي بدوره كان قد تاثر به ابن لوكه وهناك العدد الكثير من أدباء وعلماء وشعراء البصرة الذين كانوا قد تأثروا بهذا البصري الكبير .

لاعب الشطرنج البصري العالمي :

هو حماد الاعمى البصري من مواليد نهاية القرن التاسع للهجرة قيل انه ولد سنة ٨٩٠ هـ أو بعدها او قبلها بسنتين وقد تربى في البصرة وفقد بصره وهو في العقد الثالث وكان قبل ذلك من اشهر لاعبي الشطرنج في البصرة والعراق ولكنه عندما فقد بصره زادت فيه حذاقة اللعب فقد ذهب الى الشام سنة ٩٣٦هـ ونزل بالبادرائية ولما علم به لاعبوا دمشق اجتمعوا به ـ وتراهنوا ـ معه فغلبهم جميعاً . ولقد علم به لاعبوا الحجاز ومصر فقدموا دمشق وتراهنوا معه بعد أن قرر

أن يلعب مع خمسة لاعبين منهم دفعة واحـــدة وعلى خمس رقع وقد غلب اللاعبين الخمسة .

ومما تجدر الاشارة اليـه انه قبل أن يفقد بصره كان يلعب مع أي لاعب ماهر على أن تربط عينيه ربطا محكما ومع ذلك فكانت الغلبة له .

وقد كتب ابن الفرات الناصر للدين محمد بن عبدالرحيم في الجـزء الاول ص ١٩١ من المجلد الرابع من تاريخ ابن الفرات وفي حوادث سنة سبع وستين وخمسمائة حادثة حول رجل غني كان له ولد يلعب القمار وكان كثيراً ما يضطر الى التجاوز على أموال والده والتجاسر عليها ولكن والده كان يحبه ولذا فهو لا يريد ان يؤلمـه ولكن الوالد لما أحس بالوفاة وعلم ان هذا الولد لابد وانه سيخسر جميع أموال والده فلذا نصحه على انـه بعد موته اذا اراد أن يلعب القمار فليلعب مع أحذق الناس بهذه اللعبة .

ولقد مات الرجل الغني وكان يعيش في دمشق وأخذ ولده بالوصية وسأل عن أحذق لاعب قمار فقيل له انه بالكرخ فقدم بغداد والتقى بالرجل وأخبره بالقصة فقال له الرجل اذاً فليكن لعبك مع استاذي بمدينة واسط واعطاه عنوانه فقصد الغلام واسط والتقى بالرجل وقص عليه القصة فقال له اذاً فليكن لعبك مع استاذ الجميع وهو في البصرة لان البصرة مدينـة الملاهي والنرد والشطرنج ولعب القمار ومجالس الشباب .

ولقد التقى الغلام باللاعب البصري الذي وجده يشتغل عاملا يوقد النار للحمامات وهو في حالة رديئة وعيشة ضنكا .

وقد اخذه اللاعب البصري الى بيته الذي وجده في حالة سيئة ثم اخـــذ

يعظه ويقول له يا ولدي أنا أعظم لاعب قمار في الدنيا وأحذق من عرف بهذه اللعبة ومع ذلك هذه حالتي وان والدك أراد أن يعطيك درساً بعاقبة اللاعبين وانك ستكون مثلي توقد نيران الحمامات .

وفي الحقيقة ان الحياة البصرية لم تفقد روعتها ومجالسها سواءاً كان في العهد الصفوي الذي ابتدأ من سنة ٩١٤ هـ وانتهى سنة ٩٤١ هـ أم في عهد حاكم واسط ابن شنكا الذي استولى على البصرة سنة ٥٦١ هـ بعد أن كان قد هاجمها قبل ذلك سنة ٥٥٤ هـ زمن الوالي كشتكين .

والى عهد قريب وقبل حتى في نهاية الحكم العثماني للبصرة سنة ١٩١٤ م ١٣٣٣هـ كانت هناك عدة محلات وبيوت داخل المدينة وخارجها للانس والطرب كانت تتخللها موائد لعب القمار على انواعه من شطرنج وورق ونرد ودومنا ومحيبس ومنقلة ومربعة التي كان يسميها البعض ـ صبت ـ كما هناك الرهان على الخيول والكلاب والديكة والبزاة والصقور والابلام والقوارب والسباحة والغطس وغير ذلك من أنواع الالعاب التي كان يتراهن عليها الناس ويخسرون الاموال وهي في ذلك تارة كنوع من التسلية لهم وتارة طلباً للربح والمال .

فهرس الجزء الاول من كتاب البصرة في الفترة المظلمة

صفحة

صفحة

سواح زاروا البصرة في القرن التاسع عشر فماذا قال عنها الرحالة بكنغهام متى ظهر في البصرة حصان مجنح فسماه الناس بالبراق ، من هي شجرة در البصرة ، اعظم لاعب شطرنج دولي كان من البصرة ، اعرف كوت الافرنكي و كوت السيد، بعض حوادث البصرة في القرن التاسع الهجري .

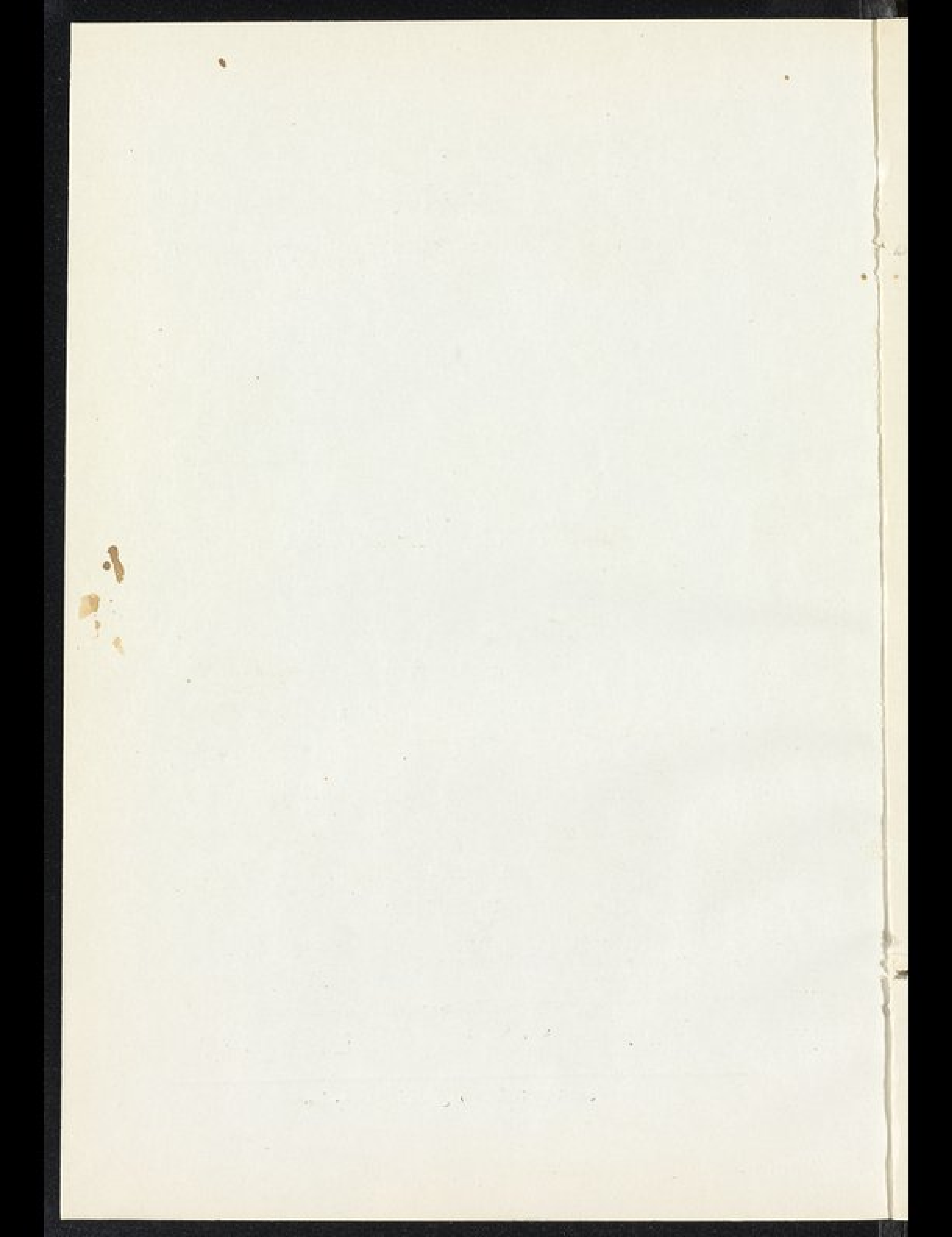


﴿ احد مناظر تدلية النخيل في البصرة ﴾

فهرس الصور

انتهى طبع الجزء الأول من هذا الكتاب

في مطبعة دار البصري ٣ / ٢٠٠٠ / ١٥ / ٢ / ١٩٧٠



BASRAH

DURING THE OTTOMAN PERIOD

VOLUME 1

BY

Hamed AL-Bazey

PUBLISHED BY

AL- Basri's publication house

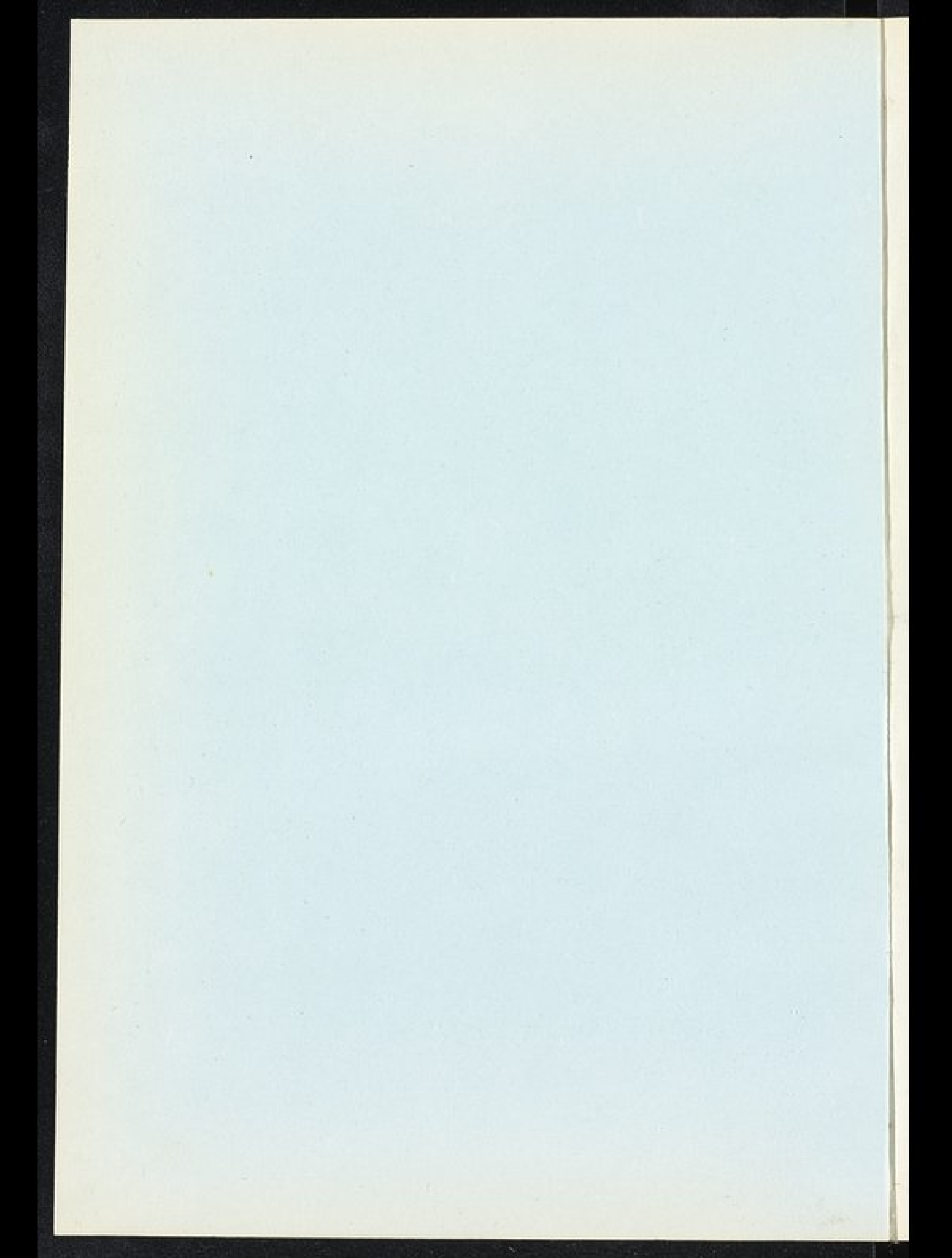
Tel ; 89279

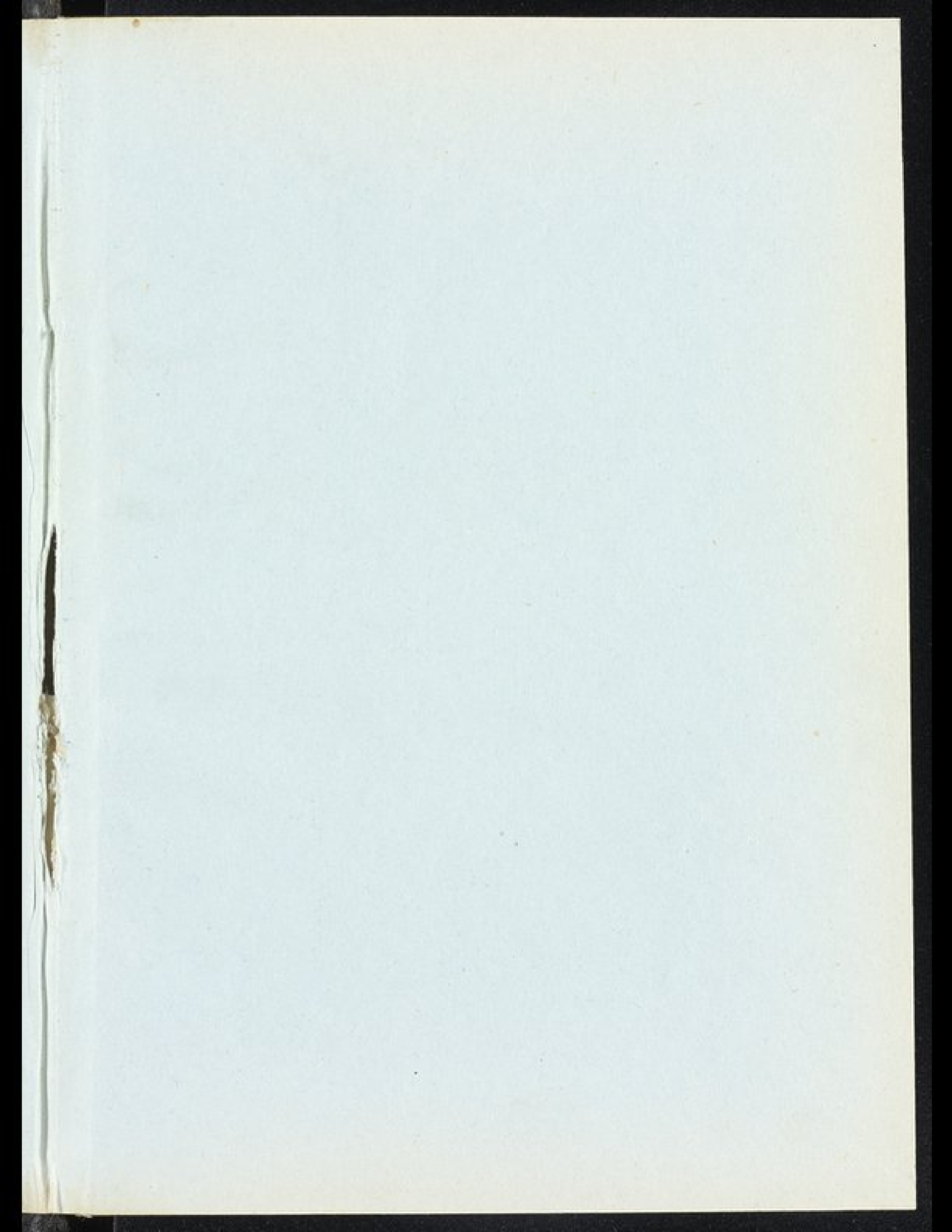
Baghdad - IRAQ

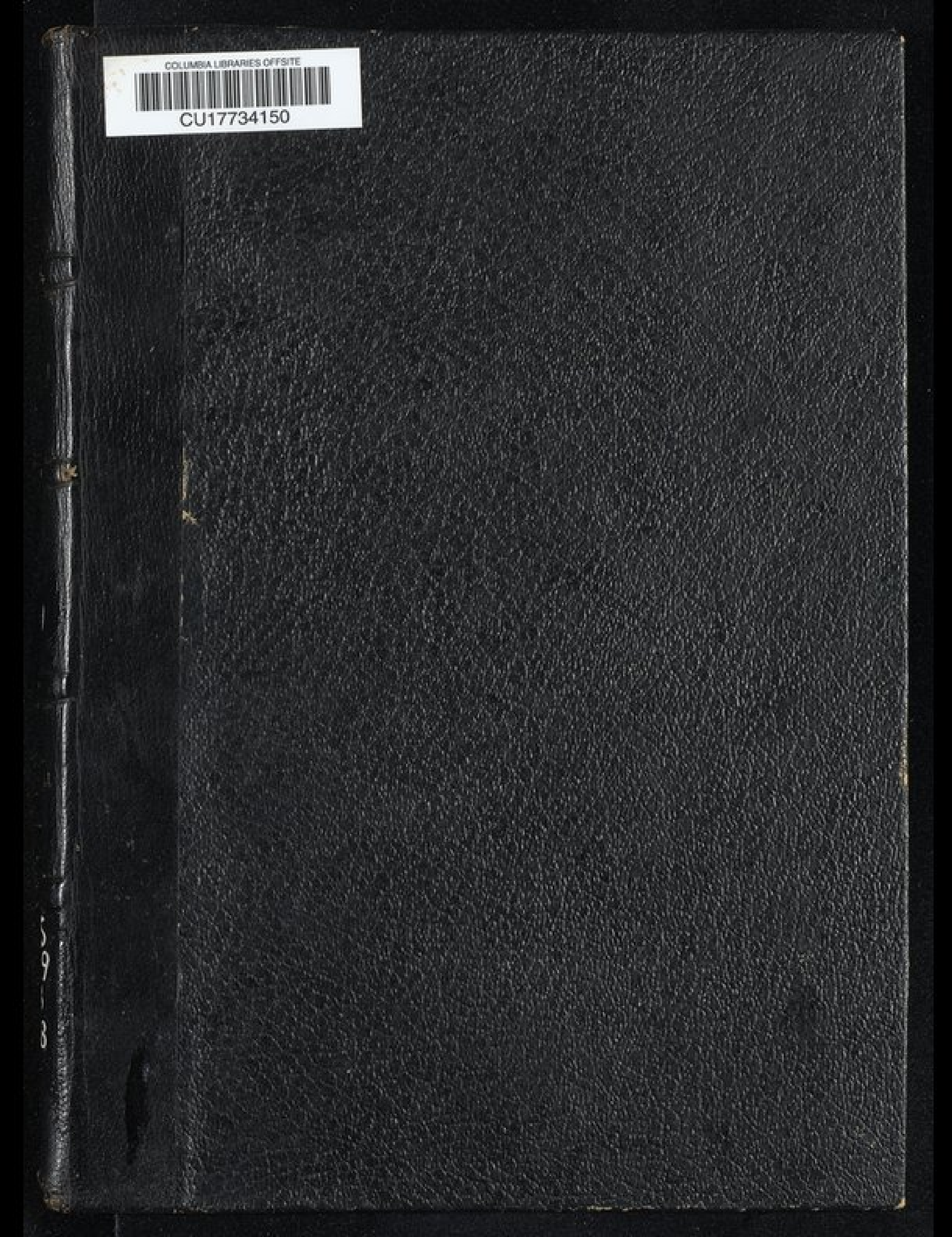
1970 - 1389

PRICE 250 FILS — الثمن (٢٥٠) فلساً

مطبعة دار البصري (هاتف٨٩٢٧٩)






COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU17734150